مَوسُوعة النَابُلسِي للعُلوم الإسلاميّة

دروس و ندوات تلفزيونية



www.nabulsi.com

info@nabulsi.com

الفصل الأول : دروس تلفزيونية

الدرس(1-30) : القلب

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قَلْب الجَسَد من أعجب ما خلق الله، إنه مضخَّه مزدوجة تضخُّ الدم الذي يحمل الغذاء والوقود إلى كل خلية، ونسيج، وعضو، وجهاز عن طريق شبكة من الأوعية يزيد طولها عن مئة وخمسين كيلومتر.

إنه يعمل منذ الشهر الثاني من حياة الجنين، وحتى يحين الحين، لا يغفل ولا يغفو، لا ينسى ولا يسهو، ولا يقعد ولا يكبو، ولا يمل ولا يشكو، يعمل من دون راحة، ولا مراجعة، ولا صيانة، ولا توجيه..

والإنسان بجبروته يؤذيه، وبنار الحِقْد يَكويه، وبالأحزان يُبْليه، وهو أساس حياة الإنسان، وشمس عالمه، عليه يعتمد في كل أعماله، وأحواله، ومنه تنبع كل قواه، وحركاته.. وهو آلة خارقة !.. لا يعرف التعب إليها سبيلاً، تزداد قدرتها أضعافاً كثيرة، لتواجه الجهد الطارئ، إنها عضلة من أعقد العضلات، بناء وعملاً وأداء، ومن أمتنها وأقواها، تنقبض وتنبسط ثمانين مرة في الدقيقة، ويصل النبض في الجهد الطارئ إلى مئة وثمانين، ويضخ القلب ثمانية آلاف لتر في اليوم الواحد، أي ما يعادل ثمانية أمتار مكعبة من الدم، ويضخ القلب من الدم في طول عُمُر الإنسان ما يكفي لملء مستودع بحجم إحدى أكبر ناطحات السحاب في العالم..

وينفرد القلب في استقلاله عن الجهاز العصبي، فتأتمر ضرباته وتنتظم بإشارة كهربائية من مركز توليد ذاتي هي أساس تخطيطه، وتتغذى عضلة القلب بطريقة فريدة !! ومن أعجب ما فيه دسَّاماته المحكمة التي تسمح للدم بالمرور باتجاه واحد، وهو مبدأ ثابت في المضخات.

حتى إذا سَكَن القلب في قفصه، واستراح من غُصصه، خلَّف وراءه جثة هامدة، كأنها أعجاز نخل خاوية.. فلقد صدق رسول الله صلى الله عليه وسلَّم إذ قال:

((ألا وإن في الجسد مضغةً إذا صلحت صلح الجسد كلّه، وإذا فسدت فسد الجسد كلّه، ألا وهي القلب " (1)))

ورحم الشاعر إذ يقول(2):

دقاتُ قلبِ المرءِ قائلةٌ له إن الحياةَ دقائقٌ وثواني

فارفعْ لنفسكَ قبل موتَك ذِكرَها فالذكرُ للإنسان عمرٌ ثاني

(1) جزء من حديث صحيح رواه البخاري (1/ 52) ومسلم (1599) أوله:

((الحلال بيّن والحرام بيِّن..))

الحديث.

(2) الشاعر أحمد شوقي رحمه الله.

والحمد لله رب العالمين

الدرس(2−30) :حليب المرأة

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ سَنُرِيهِمْ آَيَاتِنَا فِي الْآَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ﴾

(سورة فصلت: من آية " 53 ")

لبن المرأة الذي يُعدُّ مدهشاً ومُبهراً ، تعجز عن تركيبه بخصائصه قوى البشر ، ولو اجتمعت، وأضخم المعامل ولو تضافرت ، فتركيبه في تبّدل مستمر ، بحسب حاجات الرضيع ، ومتَطلباته، وبحسب احتمال أجهزته وأعضائه ، وهو أكثر ملائمة ، وأكثر احتمالاً ، وهو آمن طرق التغذية، من حيثُ الطهارة ، والتعقيم ؛ إذ يؤخذ من الحُلْمة مباشرة ، دون التعرُّض للتلوث الجرثومي ، وحرارته ثابتة خلال الرضعة الواحدة، ومتناسبة مع حرارة الرضيع ، ويصعُب توافر هذه الشروط ، في الإرضاع الصناعي ، وفوق ذلك فهو لطيف الحرارة صيفاً ، دافئ في الشتاء ، وهو سهل الهضم فلا تتجاوز فترة هضمه ، الساعة والنصف ، بينما تزيد فترة هضم حليب القوارير، عن ثلاث ساعات.

والطفل الذي يرضع من ثدي أمه ، يكتسب مناعة ضدّ كل الأمراض ؛ لأن في حليب الأم كلّ مناعتها ، وفيه مواد مضادة للالتهابات المعوية ، والتنفسية ، وموادّ تمنع التصاق الجراثيم بجُدُر الأمعاء ، ومواد حامضية لقتل الجراثيم ، والإرضاع يقي الأم أورام الثدي الخبيثة ، ويقي الرضيع الآفات القلبية والوعائية ، وأمراض التغذية والاستقلاب.

بل إن الفطام السريع يُحدِث عند الطفل ، رضاً نفسياً وانحرافات سلوكية ، وهو . أي حليب الأم . سهل التحضير ليلاً ونهاراً ، في السفر وفي الحضر ، لأنه جاهز دائماً بالحرارة المطلوبة ، والتعقيم المثالي ، والسهولة في

الهضم ، والمناعة الشاملة.. قال تعالى:

﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ (4) أَيَحْسَبُ أَنْ لَنْ يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ (5) يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالاً لُبَداً (6) أَيَحْسَبُ أَنْ لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ (7) أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ (8) وَلِسَاناً وَشَفَتَيْنِ (9) وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ (10)﴾

(سورة البلد)

قال عكرمة وابن المسيب: النجدان هما الثديان.

* * *

تداركتنا باللطف في ظلمة الحشا

وخير كفيل ف ي الحشا قد كفلتنا

وأسـكنت قلب الأمهات تعطفاً

علينا وفي الثديين أجريت قوتنـا

وأنشـأتنا طفلاً وأطلقت ألسناً

ونـتـرجم بـالاقرار أنـك ربـنا

وعرفتنا إياك فـالحمـد دائمـاً

لـوجهك إذ ألـهمتنا منك رشـدك

* * *

والحمد لله رب العالمين

الدرس(3−30) :الشمس والأرض

بسم الله الرحمن الرحيم

روى الإمام مالك في موطئه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلَّم قال:

((ألا أخبركم بخير أعمالِكم، وأزكاها عند مليككم، وأرفعِها في درجاتكم، وخير لكم من إنفاق الذهب والفضة، وخير لكم من أن تَلْقَوا العدوّ فتضربوا أعناقهم، ويضربوا أعناقكم ؟!..))

قالوا: بلى يا رسول الله، قال: " ذكر الله ".

يبدو من خلال هذا الحديث الشريف، أن الذكر له شأن كبير في حياة المؤمن، كيف لا وقد وَرَد الذكر في القرآن الكريم في أكثر من ثلاثمئة آية.. تؤكد هذه الآيات في مجموعها، أن الذكر ينبغي أن يدور مع الإنسان، في كلّ شؤونه وأحواله وأطواره ؛ لأنّه عبادة القلب، والفكر، واللسان.. فمن الذكر.. أن تذكر الله في آياته الكونية.. وفي آياته القرآنية، وفي آياته التكوينية، وأن تذكره من خلال نعمه الظاهرة والباطنة، وأن تذكره في أمره ونهيه، وأن تذكره لعباده معرفاً به.. وأن تذكره في قلبك، وعلى لسانك مُسبِّحاً وحامداً وموحِّداً ومُكبَّراً، وأن تذكر ربوبيته لك فتدعوه وحدَه، في أحوالك كلّها، وأطوارك جميعها، وأن تذكره ذكراً كثيراً ؛ ليطمئن قلبك، ولينجلي همّك، ولينشرح صدرك، وليتَّسع رزقك، ولتنتصرَ على عدوّك.

فمن الذكر التفكُّر في آيات الله في الآفاق وفي الأنفس، وهذا التفكُّر من أجل أن نعرف الله جل وعلا، وأن نُقَدِّره حقَّ قدره.. قال تعالى:

﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآَيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ (190) الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ (191)﴾

(سورة آل عمران)

فمن هذه الآيات التي بثَّها الله في الآفاق، التجاذب الحركي فيما بين الكواكب والنجوم.. قال تعالى:

﴿ اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا﴾

(سورة الرعد: من آية " 2 ")

فكلمة (ترونها) تفيد . فيما تفيد . أن الله جل وعلا، رفع السماوات بعمد لا نراها، إنها قوى التجاذب التي تنظم الكون كلّه، بدءاً من الذرَّة وانتهاء بالمجرَّة..

فالشمس مثلاً تجذِب إليها الأرض بقوة هائلة، بحيث تجري الأرض في مَسَار مُغلق حول الشمس، ولو انعدم جذب الشمس للأرض، لخرجت الأرض عن مسارها حول الشمس، ولاندفعت في متاهات الفضاء الكوني، حيث الظلمة والتجمد، وبزوالها عن مسارها . أي بانحرافها عنه . تزول الحياة فيها، إذ تصل درجة حرارتها إلى مئتين وسبعين درجة تحت الصفر.. وهي درجة الصفر المُطلق التي تنعدم فيه حركة الذرات. قال تعالى:

﴿ إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا﴾

(سورة فاطر: من آية " 41 ")

ولكي ندرك قوة جذب الشمس للأرض، نفترض أن هذه القوة، انعدمت لسبب أو لآخر، ومن أجل أن تبقى الأرض مرتبطة بالشمس، تجري في مسارٍ حولها، لابدَّ من أن نربطها إلى الشمس بأعمدة مرئية من الفولاذ، والفولاذ من أمتن المعادن، ومن أعظمها تحمّلاً لِقوى الشد، فالسلك الفولاذي الذي قطره ميلمتر واحد، يتحمل من قوى الشد ما يعادل مئة كيلو غرام، إننا بحاجة إلى مليون مليون حبل فولاذي، طول كل حبل مئة وستة وخمسون

مليون كيلو متر، وقطر الحبل الواحد خمسة أمتار، والحبل الواحد من هذه الحبال يتحمل من قوى الشدّ، ما يزيد عن مليوني طن، فكم هي قوة جذب الشمس للأرض ؟.. إنها مليونا طن مضروبة بمليون مليون، ثم إذا زرعنا هذه الحبال على سطح الأرض المقابل للشمس، لفوجئنا أننا أمام غابة من الحبال الفولاذية، بحيث تقلُّ المسافة بين الحبلين عن قطر حبل ثالث، هذه الغابة تحجب عنا أشعة الشمس، وتعيق كل حركة وبناء ونشاط.. كل هذه القوى الهائلة من أجل أن تحرف الأرض في مسارها حول الشمس ثلاثة ميلمترات كل ثانية.. لقد صدق الله العظيم إذ يقول:

﴿ اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا﴾

(سورة الرعد: من آية " 2 ")

﴿ إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا﴾

(سورة فاطر: من آية " 41 ")

هذه آية من آيات الآفاق، فماذا عن آيات النفس ؟؟ قال تعالى:

﴿ وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ (21)﴾

(سورة الذاريات)

لو أن رجلاً كان يتنزَّه في بستان، ولَمَح فجأة كائناً مؤذياً قاتلاً، فما الذي يحدث في جسمه ؟!

ينطبع خيال هذا الكائن على شبكية العين، إحساساً، وينتقل هذا الإحساس الضوئي إلى المُخّ، فيصبح إدراكاً للخطر، وعندها يأمر المُخ . وهو ملك الجهاز العصبي . الغدة النخامية . وهي ملكة الجهاز الهرموني . بأن تواجه هذا الخطر !! هذه الملكة، تصدر أمراً لغدة الكظر لكي تعطي الجسم الجاهزية القصوى، لمواجهة الخطر، والكَظَر بدوره يعطي أمراً هرمونياً إلى القلب، ليُسرِّع نبضاته، (فالخائف تزداد ضربات قلبه) والكظر يعطي أمراً هرمونياً ثانياً، للرئتين، لتوافق وجيبها مع ازدياد نبضات القلب، (فالخائف يزداد وجيب رئتيه فيلهث)، والكظر

يعطي أمراً ثالثاً للأوعية الدموية فتضيق لمعتها، ليتحول الدم إلى العضلات (فالخائف يصفرُّ لونه)، والكظر يعطي أمراً هرمونياً رابعاً للكبد، ليطرح في الدم كمية من السكر إضافية، والسكر مادة الوقود في العضلات، والكظر يعطي أمراً هرمونياً خامساً، للكبد ليزيد من هرمون التجلط منعاً من نزيف الدم. كلّ هذا في ثوان معدودة؟!!..

﴿ هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ﴾

(سورة لقمان: من آية " 11 ")

وقال صلى الله عليه وسلَّم فيما رواه البخاري ومسلم:

((مثل الذي يذكر ربّه، والذي لا يذكر ربّه، مثل الحي والميت))

والحمد لله رب العالمين

الدرس(4-30) :ضعف الإنسان لا يقويه إلا معرفة

بسم الله الرحمن الرحيم

أعزائي المؤمنين إخوتي المشاهدين

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

وبعد فالإنسان مفطور على حب وجوده وحب سلامة وجوده وحب كمال وجوده وحب استمرار وجوده، وقد " خلق هلوعاً إذا مسه الشر جزوعاً وإذا مسه الخير منوعاً إلا المصلين " وهذا الضعف ركب فيه في أصل خلقه لصالحه، لقد خلق ضعيفاً ليفتقر إلى الله بسبب ضعفه، فيسعد بافتقاره، ولو خلقه قوياً لاستغنى عن الله بسبب قوته فشقي باستغنائه

لذلك يبحث الإنسان . دائماً . عن جهة قوية يحتمي بها ويعتمد عليها ويلجأ إليها . وهذا أصل التدين في الفطرة الإنسانية . فإن وصل من خلال بحثه العفوي أو الواعي إلى الله خالق السماوات والأرض، والذي بيده ملكوت كل شيء، ومن إليه يرجع الأمر كله، فقد اهتدى وأفلح وسلم وسعد في الدنيا والآخرة، وإن توهم جهة أخرى لا تملك له نفعاً ولا ضراً ولا موتاً ولا حياة ولا نشورا فقد ضل الطريق وأخطأ الهدف وشقي في الدنيا والآخرة ذلك لأن في القلب شعثاً لا يلمه إلا الإقبال على الله، وفي القلب وحشة لا يزيلها إلا الأنس بالله، وفيه حزن لا يذهبه إلا السرور بمعرفة الله، وفيه قلق لا يسكنه إلا الاجتماع عليه والفرار إليه، وفي القلب نيران حسرات لا يطفئها إلا الرضى بأمره ونهيه وقضائه وقدره والصبر على ذلك إلى يوم لقائه، وفي القلب فاقة لا يسدها إلا محبته والإنابة إليه ودوام ذكره والإخلاص له.

من أعجب الأشياء أن تعرفه ثم لا تحبه، وأن تسمع داعيه ثم تتأخر عن الإجابة، وأن تعرف قدر الربح في معاملته ثم تعامل غيره، وأن تعرف قدر غضبه ثم تتعرض له، وأن تذوق ألم الوحشة في معصيته ثم لا تطلب

الأنس بطاعته، وأن تذوق العذاب عند تعلق القلب بغيره، ولا تهرب منه بنعيم الإقبال عليه والإنابة إليه. وأعجب من هذا علمك أنك لا بد لك منه، وأنك أحوج شيء إليه، وأنت عنه معرض، وفيما يبعدك عنه راغب. والآن... كيف نعرفه ؟ إن الكون بسماواته وأرضه وما بث فيهما من دابة مظهر لأسماء الله الحسنى وصفاته الفضلى، والتفكر في خلق السماوات والأرض سبيل إلى معرفته، ومعرفة منهجه سبيل إلى عبادته

قال تعالى:

﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآَيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ (190) الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ (191)﴾

(سورة آل عمران)

قال تعالى:

﴿ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ﴾

(سورة السجدة)

القرآن يخاطب أناساً يعتمدون السَنة القمريةَ، فالقمر يدور حول الأرض كلَّ شهر دورةً، فلو قِسنا بُعدَ مركزِهِ عن مركزِ الأرض أي نصفَ قطرِ الدائرةِ التي هي مسارُ القمرِ حولَ الأرضِ، وحسبْنا محيطَ هذه الدائرة بعد معرفةِ نصفِ قُطرِها، لعرفنا كمْ من الكيلو مترات يقطع القمرُ في دورته حولَ الأرض كلَّ شهر، لو أخذنا طولَ محيطِ هذه الدائرة، وضربناه باثني عشر شهراً، لعرفنا كم يقطعُ القمرُ من الكيلومترات في رحلته حول الأرض في عامٍ، هذه الكيلو مترات التي يقطعها القمرُ في رحلته حول الأرض في العام، لو ضربناها بألف، لعرفنا كم يقطع القمر في رحلته حول الأرض في ألفِ عام، هذا الرقم يساوي المسافةَ مقدرةً بالكيلو مترات التي يقطعها القمر في رحلته حول الأرضِ في ألف عام

﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ﴾

(سورة السجدة)

فما يقطعه القمر في ألفِ عام، يقطعه الضوءُ في يوم، بدليل أننا لو قسمنا ما يقطعه القمر في رحلته حول الأرض في ألف عام وهي المسافة على ثواني اليوم، وهي أربعة وعشرون ساعةْ ضرب ستينْ ضرب ستين وهي الزمن، لو قسمنا المسافة على الزمن لظهر معنا الرقم التالي وهو مئتانْ وتسعٌ وتسعونَ ألفاً وسبعُمئةٍ واثنانِ وخمسون كيلومترٍ ونصفْ وهذه النتيجة تتفقُ تماماً مع سرعة الضوءِ المعلنةِ دولياً طبقاً لبيان المؤتمر الدولي المنعقدِ في باريسَ وسرعةُ الضوءِ هي أهمُّ قانون عرفتهُ البشرية في القرن العشرينْ وهذه السرعةُ أعلى سرعةٍ في الكون، فالشيءُ إذا سار بسرعة الضوءِ أصبح ضوءاً، وأصبحت كتلتُه صفراً، وحجمُه لا نهائياً، وعندئذ يتوقف الزمنُ، فإذا سار الجسمُ أسرع من الضوءِ تراجع الزمنُ، فإذا قصَّر عن الضوءِ تراخى الزمن. فالمسافة التي يقطعها القمرُ في مداره الخاص حول الأرض في ألف سنةٍ قمريةٍ تساوي المسافةَ التي يقطعها الضوءُ في يوم أرضي واحد.

وهذه هي النظرية النسبية التي يتيه الغرب بها .

هذا عن آيات الله في الآفاق !!! فماذا عن آياته في النفس ؟

يؤكد علماء نفس الطفل، أن الطفل حينما يولد لا يملك أية قدرة إدراكية، بل إن كل ما يتمتع به الراشد من إمكانات وقدرات، و مفهومات و معقولات، وخبرات ومؤهلات، إنما هي نتيجة تفاعله مع البيئة، وهذا فحوى الآية الكريمة:

﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾

(سورة النحل)

لكن منعكساً . على حدّ تعبير علماء النفس . يولد مع الطفل، ولا يحتاج إلى تعليم، إنه منعكس المص، إذ لولاه

لما وجدت إنساناً واحداً على سطح الأرض في قاراتها الخمس، إن الطفل الذي يولد من توِّه لا يستطيع أن يتلقى توجيهات والده في ضرورة التقام ثدي أمه، وإحكام إطباقهما، ثم سحب الهواء، كي يأتيه الحليب، لا يستطيع أن يتلقى هذه التوجيهات بالفهم فضلاً عن التطبيق .

حليب الأم من آيات الله الكبرى الدالة على عظمته فهو يتغيَّر تركيبه خلال الرضعة الواحدة، يبدأ حليب الأم بماءٍ كثير، يقلُّ الماء ويزداد الدسم، إلى أن تصبح المواد الدسمة في نهاية الرضعة أربعة أمثال .

هل بالإمكان أن تغذي طفلاً بقارورةٍ وتتغيَّر نسب الدسم، والمواد السكرية والمواد البروتينية، في أثناء الرضعة الواحدة ؟

شيءٌ آخر.. تتغيَّر تراكيب مقوّمات لبن الأم، بالكميات المعادلة لنمو الصغير، كلّما نما الصغير الرضيع، تزداد الأحماض الأمينية، والأملاح المعدنية، والمعادن النادرة، والفيتامينات .

أما الشيء الذي يلفت النظر... فهو أن هذا الطفل الذي خلقه الله عزَّ وجل، أودع فيه خمائر هاضمةً بمقادير تتناسب مع حليب الأم، فلو أرضعناه حليب البقر، ولو كان طازجاً، أو كان مجففاً، يعجز الطفل عن هضمه، وتبقى كميّاتٌ كبيرة من المواد الدسمة والبروتينيات والأحماض الأمينية دون هضم، وطَرْح هذه المواد عن طريق الكلية يجهدها لذلك نجد الطفل الذي يرضع حليب البقر تجهد كُليتاه في طرح المواد الدسمة، والأحماض الأمينية، والبروتينات التي لم يستطع هضمها، فخمائر الهضم عنده متوافقةٌ مع حليب الأم، وليست مع حليب البقر، في حليب البقر أربعة أمثال ما في حليب الأم من الأحماض الأمينينة .

قال العلماء : ارتفاع نسبة الأحماض الأمينية في الدم تسبب للطفل الرضيع القصور العقلي، والآفات القلبية، والآفات الوعائية، وأمراض جهاز الهضم والكبد، الأمراض المزمنة التي تلازم الإنسان طوال حياته ولو سألت

أطباء الأورام الخبيثة لأجابوك إن المرأة التي ترضع ابنها من ثديها أقلُّ عرضةٌ للإصابة بورم الثدي من المرأة التي لا ترضع ابنها من ثديها.. أي أن نسب أورام الثدي الخبيثة في النساء اللواتي يرضعن أولادهن قليلةٌ جداً، أما نسب الأورام الخبيثة في النساء اللواتي لا يرضعن أولادهن نسبٌ عالية..

أيها الأخوة المشاهدون...

عشرة أشياء ضائعة لا ينتفع بها: علم لا يعمل به، وعمل لا إخلاص فيه ولا اقتداء، ومال لا ينفق منه فلا يستمتع به جامعه في الدنيا ولا يقدمه أمامه إلى الآخرة، وقلب فارغ من محبة الله والشوق إليه والأنس به، وبدن معطل عن طاعته وخدمته، ومحبة لا تتقيد برضاء المحبوب وامتثال أوامره، ووقت معطل عن استدراك فارط أو اغتنام بر وقربة، وفكر يجول فيما لا ينفع. وخدمة من لا تقربك خدمته إلى الله ولا تعود عليك بصلاح دنياك. وخوفك ورجاؤك لمن ناصيته بيد الله وهو أسير في قبضته، ولا يملك لنفسه ضراً ولا نفعاً ولا موتاً ولا حياة ولا نشوراً

والحمد لله رب العالمين

الدرس(5-30) :الحليب

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أعزائي المشاهدين أخوتي المؤمنين السلام عليكم ورحمة الله وبركاته:

كأس الحليب الذي تشربونه، أو طبق اللبن الذي تحتسونه على مائدة الإفطار، وما أشتق منهما من خيرات حِسان، آيات بينات دالة على عظمة الخالق وجلاله، وتربيته ورعايته وفضله وإنعامه.

قال تعالى:

﴿ وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهِ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَبَناً خَالِصاً سَائِغاً لِلشَّارِبِينَ (66)﴾

(سورة النحل: 66)

هذا الحليب الذي يحتوي على نسب دقيقة وجليلة، من الماء والدسم والسكريات، والمواد المرممة، وأملاح المعادن، والفيتامينات وعدد ليس بقليل من الغازات المنحلة، من حدد هذه المكونات ؟ من ضبط هذه النسب ؟

﴿ أَئِلَهٌ مَعَ اللَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (61)﴾

(سورة النمل: 61)

ثم إن هذه البقرة التي نأخذ منها الحليب، من خلقها ؟ وخلق لها أجهزتها ؟ ومن ذللها للإنسان ؟ ومن جعل نتاجها من الحليب غذاء مناسباً لنا ؟ لأنه يفوق بكميته أضعافاً كثيرة عن حاجة وليدها، ومن جعله اقتصادياً ؟ لأنه يزيد بثمنه عن مصاريف العناية بها وإطعامها.

يذكر العلماء أيها الأخوة الأكارم: أن الغدة الثديية للبقرة هي المعمل الحيوي، الذي يقوم بتركيب الحليب وإفرازه، ويعد السنخ الوحدة الوظيفة لتصنيع الحليب في البقرة والسنخ ؟ مجموعة من الخلايا على شكل كرة مجوفة، محاطة بشبكة من الشعريات الدموية التي تمد الصمغ بالمواد الأولية اللازمة لتصنيع الحليب، وتصنع هذه

الخلايا قطرات الحليب من المواد الأولية التي تأخذها من الدم، ثم تطرحها في جوف النسيج لتجتمع في قنوات تصب في ضرع البقرة هل تستطيع هذه الخلايا غير العاقلة، أن تختار وحدها مواد الحليب من دم البقرة، لتكون غذاءً كاملاً للإنسان ؟ وهل تستطيع هذه الخلايا غير العاقلة وحدها أن تصنع من بين فرث ودم لبنا خالصا سائغا للشاربين يحبه الصغار والكبار...؟.

يقول العلماء يا أيها الأخوة الأكارم: إن طبيعة عمل هذه الخلايا وسر تصنيع الحليب فيها غير معروف تماماً حتى الآن، وهل تصدقون أيها الأخوة، أن اللتر الواحد من الحليب المصنع في هذه الغدد، يحتاج إلى أربعمائة لتر من الدم، يجول في شعريات محاطة في هذا السنخ.

سبحان الله، سبحان الله، من سخر لنا هذه البقرة لتكون معملاً عظيماً لتصنيع الغذاء الأول للإنسان، خلقها، وسخرها، وذللها نأكل من لحمها، ونشرب من لبنها، وننتفع من خدماتها.

قال تعالى:

﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَاماً فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ (71) وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ (72) وَلَهُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَمَشَارِبُ أَفَلَا يَشْكُرُونَ (73)﴾

(سورة يس: 71 ـ 72 ـ 73)

أيها الأخوة الأحباب: أن يتفكر الإنسان في خلق السماوات والأرض وما بث فيهما من دابة، وأن ينظر الإنسان مما خلق، وأن ينظر الإنسان إلى طعامه، وأن ينظر إلى من حوله، من مخلوقات وإلى ما حوله من كائنات، وأن ينظر إلى ما فوق من أطيار، وأنواع وأن ينظر إلى ما تحته من بحار، وأسماك، أن يفكر وينظر في ملكوت السماوات والأرض.

أنه باب واسع من أبواب معرفة الله تعالى، ومعرفة الله تعالى أصل الدين وأصل التكليف، وأصل العبودية، وسر السعادة وثمن الجنة.

قال تعالى:

﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآَيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ (190) الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ (191)﴾

(سورة آل عمران: 190 ـ 191)

أيها الأخوة المشاهدون: الإنسان يحكم بعقله من خلال تأمله لأن لهذا الكون خالق عظيماً، يوقن بوجوده، ويوقن بوحدانيته ويوقن بكامله، ولكن من هو ؟ ولماذا خلق ما خلق ؟ وماذا يريد من الإنسان ؟ هنا يأتي دور الرسل الكرام، وهم صفوة الله من خلقه اصطفاهم، وأيدهم بالمعجزات لتكون دليلاً قطعياً على إرسالهم من قبل خالق الأرض والسماوات.

وهناك تتوقف العقول، ويبدأ دور الرسل في فهم الذين يخبروننا من خلال ما أنزل عليهم من وحياً، أن الله هو خالق السماوات والأرض، وهو بكل شئ عليم، وهو على كل شئ قدير إليه يرجع الأمر كله، لا إله إلا هو الرحمن الرحيم، وأن السماوات والأرض خلقتا بالحق، وسخرتا للإنسان، تسخير تعريفاً وتكريم ليؤمن ويشكر.

﴿ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ (2) إِلَّا الَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ (3)﴾

(سورة العصر: 2 ـ 3)

وأن الله أودع في الإنسان عقلاً، يدله على خالقه، وأودع فيه فطرة نقية، تدله على خطئه، وأودع فيه الشهوات، قوىً محركةً ليرقى بها صابراً، وشاكراً إلى رب الأرض والسماوات، ومنحه حرية في الكسب، وأمده بقوة فيما يبدو

لتحقيق كسبه ليصح التكليف والابتلاء وليكون النجاح فيهما ثمن العطاء، وجعل الشرع ميزان على ميزانا العقل والفطرة، فالحسن ما حسنه الشرع، والقبيح ما قبح الشرع وأن الله خلق الإنسان ليعبده، وليوحده، والعبادة في أدق مفهوماتها طاعة قولية ممزوج بمحبة قلبية تسبقها معرفة يقينه تفضي إلى سعادة أبدية، وأن الحياة الدنيا دار ابتلاء وانقطاع وعمل، وأن الآخرة دار جزاء وخلود وتشريف، وأن الإنسان لم يخلق عبثا، ولم يترك سدى وأنه على نفسه بصيرة ولو ألق معازيره.

أيها الأخوة الأحباب: اللهم علمنا ما ينفعنا، وأنفعنا بما علمتنا وزدنا علما، وإلى لقاء آخر، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

والحمد لله رب العالمين

الدرس(6−30) :الزكاة

بسم الله الرحمن الرحيم

أعزائي المشاهدين أخوتي المؤمنين السلام عليكم ورحمة الله وبركاته:

شهر رمضان، شهر التقوى والقرآن، شهر التوبة والغفران شهر الإنفاق والصدقات، شهر الزكاة والقربات.

الزكاة أيها الأخوة:

حارس على الأموال، وعلى أصحابها فإذا شبع الجائع واكتسى العاري، عم الأمن والسلام، إنها تطبع الفرد على حب البذل والسخاء، وتغرس في المجتمع بذور التعاون والإخاء وهي لا تحل المشكلة المالية بالعصا والسوط، ولكن بإيقاظ الضمائر وتنوير العقول.

المال مال الله، والغني مستخلف فيه، والفقراء عيال الله وأحب خلفاء الله إلى الله أبرهم بعياله، والبر ذمة وفريضة، لا منة وعطاء.

قال تعالى:

﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (103)﴾

(سورة التوبة: 103)

هذه الآية أيها الأخوة:

أصلٌ في فرضية الزكاة، لذلك سنقف عندها وقفة متأنية وعند كلماتها كلمة كلمة...

فيستنبط من كلمة " خذ " في هذه الآية أن الزكاة ليست مجرد عملٍ طيب، من أعمال البر، وليست خلةً حسنةً من خلال الخير، بل هي ركن أساسيٌ من أركان الإسلام، وشعيرة من شعائره الكبرى، بل هي حجر الزاوية في

نظام الإسلام، وأساساً من أسس التكافل الاجتماعي، إنها ليست إحسان اختياريا، ولا صدقة طوعيه، إنما هي فريضة، تتمتع بأعلى درجات الإلزام الشرعي والخلقي، لذلك لم يأمر الله المؤمنين بدفعها، بل أمر نبيه صلى الله عليه وسلم، وأولي الأمر من بعده بأخذها، فالزكاة تأخذ ولا تعطى، تفترض ولا تستجده.

ويستنبط من كلمة " من " التي هي للتبعيض، في هذه الآية أن الزكاة لا تطول جميع المال، بل بعضه.

﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ﴾

وقد بينت السنة الشريفة مقادير هذا البعض، بحسب أنواع الأموال، وبحسب طريقة تحصيلها، ومقدار الجهد المبذول في جمعها.

﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ﴾

ويستنبط من كلمة " أموالهم "، التي وردت جمعاً في هذه الآية أن الزكاة تطول كل أنواع المال، فتجب الزكاة في كل ما أخرجته الأرض من إنتاج زراعي، وفي الثروة الحيوانية، وفي المنتجات الحيوانية، وفي الذهب والفضة، وفي كل أنواع النقد المتداول والسندات والديون والسلف، وفي عروض التجارة بشتى أنواعها وفي الحلي التي ليست للاستعمال الشخصي، بل وتجب الزكاة في الثروات الباطنية والمعدنية.

﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ﴾

ويستنبط من ضمير الجمع في كلمة " أموالهم "، أن الزكاة مفروضة على جميع المسلمين، كافة، ممن يملكون النصاب، التي بينته السنة الشريفة من دون استثناء ولا إعفاء ولا تخفيضٍ ولا طيٍ.

﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً﴾

ويستنبط من كلمة " صدقة " في الآية الكريمة، أن المسلم حينما يدفع زكاة ماله، يؤكد صدقه، أي تطابق فعله مع اعتقاده ويؤكد تصديقه بأمر الله، وتصديقه بيوم الدين، وقد قال عليه الصلاة والسلام فيما رواه الإمام مسلم في صحيحه: الصدقة برهان.

فالزكاة: عبادة مالية، يؤكد بها المسلم تصديقه، وصدقه، فلو لم يطالبه بها السلطان، طالبه بها القرآن.

﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ﴾

ويستنبط من كلمة " تطهرهم " في هذه الآية الكريمة، أن الزكاة تطهر نفس الغني، من الشح البغيض، تلك الآفة النفسية الخطرة، التي قد تدفع صاحبها إلى الدم فيسفكه، أو إلى العرض فيبذله، أو إلى الوطن فيبيعه، ولن يفلح فردٌ أو مجتمعٌ سيطر الشح عليه، وملك ناصيته، قال تعالى:

﴿ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (9)﴾

(سورة الحشر: 9)

والزكاة أيضاً تطهير لنفس الفقير، من الحسد، والحقد والضغينة على ذلك الغني الكانز لمال الله، والذي يمنعه عن عباد الله فمن شأن الإحسان أن يستميل قلب الإنسان، ومن شأن الحرمان أن يملأه بالبغض والحقد. والزكاة أيها الأخوة:

تطهر المجتمع كله، من عوامل الهدم والتفرقة، والصراع والفتن، وهي فضلا عن كل ذلك تطهر المال من تلوثه بتعلق حق الغير به، فالحجر المغصوب في الدار سببٌ في خرابها، وكذلك الدرهم الذي استحقه الفقير في المال رهنٌ بتلويث كله، قال عليه الصلاة والسلام: إذا أديت زكاة مالك فقد أذهبت عنك شره.

وقال أيضاً: حصنوا أموالكم بالزكاة.

قال أيضاً: ما تلف مال في برٍ أو بحرٍ إلا بحبس الزكاة.

﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ﴾

ويستنبط من كلمة " وتزكيهم بها " في هذه الآية، أن التزكية معناها النماء والزيادة ؛ نماء للغني والفقير ولمال كل منهما، نماء للعلاقات الاجتماعية، وللقيم الإنسانية.

هي أولاً نماء لشخصية الغني ولكيانه المعنوي...

فالإنسان الذي يسدي الخير، ويصنع المعروف، ويبذل من ذات نفسه، ويده، لينهض بإخوانه في الدين والإنسانية، وليقوم بحق الله عليه، يشعر بامتداد في نفسه، وانشراح واتساع في صدره ويحس بما يحس به من أنتصر في معركة، وهو فعلاً لقد أنتصر على ضعفه، وأثرته وشيطان شحه وهواه، فهذا هو النمو النفسي، والزكاة المعنوية، ولعلى هذا ما عنته كلمة " وتزكيهم بها ".

والزكاة أيها الأخوة:

زكاة لمعنى نماء لشخصية الفقير، يحس يشعر الفقير، أنه ليس ضائعاً في المجتمع، ولا هيناً عليه، ولا متروكاً لضعفه وفقره إن مجتمعه ليعمل على إقالة عثرة، ويحمل عنه أثقاله، ويمد له يد المعونة، بكل ما يستطيع، وبعد ذلك، لا يتناول الزكاة من يد فردٍ يشعر بالضعف أمامه، بل يأخذها من أولي الأمر، حرصاً على كرامته من أن تخدش، ولو قدر للأفراد أن يعطوا فإن القرآن الكريم يحذرهم من المن والأذى، قال تعالى:

﴿ قَوْلٌ مَعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِنْ صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذًى وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ (263)﴾

(سورة البقرة: 263)

أيها الأخوة الأكارم:

والزكاة بعد ذلك نماء للمال نفسه وبركة فيه، وكيف يكون ذلك ؟ وهي في الظاهر نقص في المال بإخراج بعضه، ولكن العارفين يعلمون أن هذا النقص الظاهر، وراءه زيادة حقيقية، زيادة في المال المجموع، وزيادة في مال الغني نفسه فتأدية الزكاة ترفع القوة الشرائية عند الفقير، وهذا يعود بالنفع على دافع الزكاة، وهذا معنى قوله تعالى:

﴿ وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ (39)﴾

(سورة سبأ: 39)

وقوله تعالى:

﴿ يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ﴾

(سورة البقرة: 276)

قد يزيد مال دافع الزكاة بالعناية الإلهية المباشرة لغيري ما نعرف من الأسباب.

والزكاة بعد ذلك، وسيلة من وسائل الضمان الاجتماعي، الذي جاء به الإسلام، فالإسلام يأبى أن يوجد في مجتمعه، من لا يجد القوت الذي يكفيه، والثوب الذي يستره، والمسكن الذي يؤويه فالمسلم مطالبٌ أن يحقق هذه الضروريات، وما فوقها من جهده وكسبه فإن لم يستطع، فالمجتمع المسلم يكفله ويضمنه، ولا يدعه فريسة للجوع والعري والتشريد، فالمسلمون كالجسد الواحد، إذا أشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى.

اللهم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا، وزدنا علما، وشكراً لإصغائكم وإلى لقاء آخر، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

والحمد لله رب العالمين

الدرس(7-30) : الذكر

بسم الله الرحمن الرحيم

أعزائي المشاهدين أخوتي المؤمنين السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد:

فنحن في رمضان شهر التوبة والغفران، شهر الطاعة والإحسان، شهر الذكر والحب، شهر التقوى والقرب. روى الإمام مالك في مسنده: أن رسول الله ﷺ قال: ألا أخبركم بخير أعمالكم، وأزكاها عند ملكيكم، وأرفعها في درجاتكم، وخير لكم من إنفاق الذهب والفضة، وخير لكم من أن تلقوا العدو فتضربوا أعناقهم، ويضربوا أعناقكم؟!. قالوا بلى يا رسول الله، قال " ذكر الله ".

أيها الأخوة الأحباب:

يبدو من خلال هذا الحديث الشريف، أن الذكر له شأن كبيرٌ في حياة المؤمن.

كيف لا ! وقد ورد الذكر في القرآن الكريم، في أكثر من ثلاثمائة موضع، في كل هذه الآيات التي ورد فيها الذكر، هناك تأكيد على أن الذكر ينبغي أن يدور مع الإنسان، في كل شؤونه وفي كل أحواله وفي كل أطواره ؛ لأنه عبادة القلب.. وعبادة الفكر.. وعبادة اللسان..

فمن الذكر أيها الأخوة:

أن تذكر الله في آياته الكونية.. ومن الذكر أن تذكره في آياته القرآنية.. ومن الذكر أن تذكره في آياته التكوينية.. وأن تذكره في نعمه الظاهرة والباطنة، وأن تذكره في أمره ونهيه، وأن تذكره لعباده معرفاً به، وأن تذكره في قلبك ولسانك مسبحاً وحامداً وموحداً ومكبراً وأن تذكر ربوبيته لك فتدعوه وحده في أحوالك كلها وأطوارك جميعها وأن تذكره ذكراً كثيراً طيباً ليطمئن قلبك، ولينجلي همك، ولينشرح صدرك، وليتسع رزقك ولينصرك الله على عدوك.

أخوتي المؤمنون، أعزائي المشاهدين:

من الذكر التفكر في آيات الله في الآفاق، وفي الأنفس، وهذا التفكر من أجل أن نعرف الله جل وعلا، أن نعرفه حق المعرفة، وأن نقدره حق التقدير.

قال تعالى:

﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآَيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ (190) الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ (191)﴾

(سورة آل عمران: 190 . 191)

أيها الأخوة الأكارم:

من هذه الآيات التي بثها الله في الآفاق التجاذب الحركي فيما بين الكواكب والنجوم، هذه آية دالة على عظمة الله عز وجل.

قال تعالى:

﴿ اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا﴾

(سورة الرعد: 2)

فكلمة " ترونها " في هذه الآية، تفيد فيما تفيد، أن الله جل وعلا، رفع السماوات بعمد لا نراها، إنها قوى التجاذب التي تنظم الكون كله، بدءاً من الذرة، وانتهاء بالمجرة، كالشمس مثلاً تجذب إليها الأرض بقوة هائلة، بحيث تجري الأرض في مسار مغلق حول الشمس، ولو انعدم جذب الشمس للأرض، لخرجت الأرض عن مسارها حول الشمس، ولاندفعت في متاهات الفضاء الكوني، حيث الظلمة و التجمد، وبزوالها عن مسارها، أي بانحرافها عن

خط سيرها تزول الحياة فيها إذ تصل درجة حرارتها إلى مائتين وسبعين درجة تحت الصفر.

قال تعالى:

﴿ إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا﴾

(سورة فاطر: 41)

فا بانحرافها عن سيرها زوال للحياة فيها.

أيها الأخوة الأحباب:

لكي ندرك قوة جذب الشمس للأرض نفترض على سبيل الافتراض، أن هذه القوة التي هي في الشمس والتي تجذب الأرض قد انعدمت لسبب أو لآخر، ومن أجل أن تبقى الأرض مرتبطة بالشمس، تجري في مسار حولها، لابد من أن نربط الأرض إلى الشمس بأعمدة مرئية، نبحث عن أعمدة فلا نجد أمتن من الفولاذ، إن السلك من الفولاذ الذي قطره ميلمتر واحد يتحمل قوى شد تزيد عن مائة كيلو غرام، إننا بحاجة إلى مليون مليون حبل فولاذي طول كل حبل مائة وستة وخمسون مليون كيلو متر، وقطر كل حبل خمسة أمتار، إن الحبل الواحد من هذه الأحبال يستطيع أن يتحمل قوة شد تزيد عن مليوني طن، فهذه الحبال مليون مليون حبل، وكل حبل يتحمل قوى شد مقدارها مليوني طن، هذا الرقم الخيالي هو ما يسميه العلماء قوة جذب الشمس إلى الأرض.
أيها الأخوة الأكارم:

إذا زرعنا هذه الحبال على وجه الأرض المقابل للشمس لفوجئنا بغابة من الحبال الفولاذية، بين كل حبلين مسافة حبل واحد عندئذٍ تحجب أشعة الشمس، وتستحيل الحركة على سطح الأرض يستحيل عليها أي نشاط.
أيها الأخوة الأكارم:

هل تدرون أن كل هذه القوة الهائلة من أجل أن تحرف الأرض في مسارها حول الشمس ثلاثة ميليمترات في كل ثانية !.

﴿ اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا﴾

(سورة الرعد: 2)

﴿ إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا﴾

(سورة فاطر: 41)

هذه آية من آيات الله في آفاقه

﴿ سَنُرِيهِمْ آَيَاتِنَا فِي الْآَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ﴾

(سورة فصلت: 53)

فماذا عن آية الله في النفس ؟.

أيها الأخوة الأكارم يقول الله سبحانه وتعالى:

﴿ وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ (21)﴾

(سورة الذاريات: 21)

من آيات الله الدالة على عظمته في النفس، أن الإنسان إذا كان يتجول في بستان، ورأى فجأةً حشرةً مؤذية قاتلة، ما الذي يحصل في بدنه ؟.

أول شيء أن صورة هذه الحشرة تنطبع في شبكية عينه، وهذا هو الإحساس.

ثانياً أن هذه الصورة تنتقل إلى المخ فتصبح إدراكاً بحسب المفاهيم.

يا أيها الأخوة الأكارم:

المخ ؟ ملك الجهاز العصبي، يتصل بملكة الجهاز الهرموني وهي الغدة النخامية، فيأمرها أن تهيئ جاهزية قصوى لمواجهة هذا الخطر، ماذا تفعل هذه الغدة النخامية ؟ تعطي أمراً إلى غدة الكظر التي فوق الكلية من أجل أن تواجه هذا الخطر.

الكظر يصدر أربعة أوامر هرمونية.

الأمر الأول يصدره إلى الأوردة والشرايين، ولا سيما الأوردة والشرايين، هذه الأوردة تتقبض وتضيق لمعتها، ليتوفر الدم للعضلات، لذلك الخائف مصفر اللون.

ويتجه أمر آخر إلى القلب ليسرع في نبضاته، ولينقل الدم سريعاً إلى العضلات، لذلك تجد الخائف يضطرب قلبه وتزداد نبضاته.

ويتجه أمر هرموني ثالث إلى الرئتين ليزداد وجيبها، وليتوافق وجيبها مع دقات القلب السريعة، لذلك تجد الخائف يزداد وجيب رئتيه حتى يلهث.

ويتجه أمر رابع إلى الكبد ليحرر كمية من السكر زائدةً في الدم حتى يكون السكر وقوداً للعضلات. والكظر يعطي أمراً خامساً، للكبد ليزيد من هرمون التجلط منعاً من نزيف الدم.

كل هذا أيها الأخوة: في ثوان، في أجزاء الثانية قال تعالى:

﴿ وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ (21)﴾

﴿ سَنُرِيهِمْ آَيَاتِنَا فِي الْآَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ﴾

أيها الأخوة الأكارم:

الآيات التي بثها الله في الكون، وفي أنفسنا، وفي طعامنا وفي شرابنا، كلها تؤكد عظمة الله عز وجل تؤكد أنه موجود وتؤكد وحدانيته، وتؤكد كماله.

أيها الأخوة الأكارم:

اللهم علمنا ما ينفعنا، وأنفعنا بما علمتنا، وزدنا علما، وإلى لقاء آخر، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

والحمد لله رب العالمين

الدرس(8-30) : الرقائق

بسم الله الرحمن الرحيم

أعزائي المشاهدين أخوتي المؤمنين السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد:

فنحن بالعشر الأخير من رمضان، وفيه ليلة عظيمة القدر هي خير عند الله من ألف شهر، ويطيب الحديث في هذا العشر، عن النفس الإنسانية، وكيف أن الإنسان إذا طهر نفسه، من المعاصي والآثام، وعرفها بربها وحملها على طاعته والتقرب إليه فقد زكاها.

﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا (9) وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا (10)﴾

(سورة الشمس: 9 . 10)

وهذه بعض الرقائق المتعلقة بتزكية النفس .

الإمام الجليل أبي حامد الغزالي، خاطب نفسه التي بين جنبيه مشيراً إلى واعظين بليغين، ناطقاً وصامتاً. فالناطق هو القرآن الكريم، والصامت هو الموت.

وفيهما كفاية لكل متعظ، قال الإمام الغزالي: أم أنت يا نفس مصدقة بأن القرآن هو الواعظ الناطق، فإن الله تعالى يقول في كتابه الكريم:

﴿ مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ (15) أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآَخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (16)﴾

(سورة هود: 15 . 16)

فيا نفس لقد وعدك الله سبحانه وتعالى، بالنار على إرادة الدنيا وحبها، وكل ما لا يصحبك بعد الموت فهو من الدنيا، ولو أن طبيباً وعدك بالمرض على تناول ألذ الأكلات لتحاشيتها واتقيتها، أيكون الطبيب يا نفس أصدق عندك من الله ؟!!.. فإن كان كذلك فما أكفرك وإن كان المرض أشد عندك من النار، فما أجهلك !! ويتابع الإمام الغزالي خطابه لنفسه فيقول: ثم وعظتها بالواعظ الصامت وهو الموت فقلت لها: لقد أخبر الواعظ الناطق عن الواعظ الصامت، حيث قال تعالى:

﴿ أَفَرَأَيْتَ إِنْ مَتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ (205) ثُمَّ جَاءَهُمْ مَا كَانُوا يُوعَدُونَ (206) مَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يُمَتَّعُونَ (207)﴾

(سورة الشعراء: 205 ـ 206 ـ 207)

ثم ذكر نفسه بقول النبي ﷺ: ألا يارب نفس طاعمة ناعمة في الدنيا، جائعة عارية يوم القيامة، ألا يا رب نفس جائعة عارية في الدنيا، طاعمة ناعمة يوم القيامة، ألا يارب مكرمٍ بنفسه وهو لها مهين، ألا يارب مهين لنفسه وهو لها مكرم، ألا يارب متخوضٍ ومتنعمٍ ما له عند الله من خلاق، ألا أن عمل الجنة حزن بربوةٍ، ألا و إن عمل النار سهلٌ بسهوةٍ، ألا يارب شهوة ساعة أورثت حزن طويلاً.

أخوة الأحباب:

يقول الإمام علي كرم الله وجهه: إنه ليس شيءٌ شرٌ من الشر إلا العقاب، وليس شيءٌ خيرٌ من الخير إلا الثواب، وكل شيء في الدنيا سماعه أعظم من عيانه، وكل شيء في الآخرة عيانه أعظم من سماعه، فليكفيكم من العيان السماع، ومن الغيب الخبر، واعلموا إنما ما نقص من الدنيا وزاد في الآخرة، خير مما نقص في الآخرة وزاد في الدنيا، فكم من منقوص رابح، وكم من مزيد خاسر، وأعلموا أن الذي أمرتم به أوسع من الذي نهيتم عنه وما أحل لكم أوسع مما حرم عليكم، فذروا ما قلى لما كثر، وما ضاق لما أتسع، قد تكفل لكم بالرزق، وأمرتم بالعمل، فلا

يكن المضمون لكم أولى بكم من المفروض عليكم، فبادروا بالعمل، وخافوا بغتة الأجل.

وقد روي عن رسول الله ﷺ، أنه قال بئس العبد عبد تخيل واختال، ونسي الكبير المتعال، بئس العبد عبد تجبر واعتدى ونسي الجبار الأعلى، بئس العبد عبد سهى ولهى ونسي المقادر والبلى، بئس العبد عبد عتى وطغى، ونسي المبتدى والمنتهى بئس العبد عبد يختله، أي يخلط، يختله الدنيا بالدين، بئس العبد عبد يختله الدين بالشبهات، بئس العبد عبد طمع يقوده، بئس العبد عبد هوىً يضله، بئس العبد عبد رغب يذله.

أيها الأخوة الأحباب:

يروى عن سيدنا الحسن بن علي رضي الله عنهما أنه قال من حمل ذنبه على ربه فقد فجر، وإن الله تعالى لا يطاع استكراهاً ولا يعصى بغلبة، فإن عمل الناس بالطاعة، لم يحل بينهم وبين ما عملوا، وإن عملوا بالمعصية فليس هو الذي أمرهم، ولو أجبرهم على الطاعة لأسقط الثواب، ولو أمرهم بالمعصية لأسقط العقاب، ولو أهملهم لكان عجزاً في القدرة، فإن عملوا بالطاعة، فله المنة عليهم وإن عملوا بالمعصية، فله الحجة عليهم. ورحم الله بن عطاء الله السكندري حيث يقول في حكمه: من ذم انفكاك لطفه عن قدره فذلك لقصور نظره، وربما أعطاك فمنعك وربما منعك فأعطاك وقد يكون العطاء من الخلق حرمان، وقد يكون المنع من الله إحسان، ومتى فتح لك باب الفهم، في المنع عاد المنع عين العطاء، ومتى أوحشك من خلقه فليفتح لك باب الأنس به، وربما وجدت من الفاقات مالا تجده في الصوم والصلاة، فلا تستبطئ منه النوال، ولكن استبطئ من نفسك الإقبال، وما لم تفرغ قلبك من الأغيار فلن يملأه بالمعارف والأسرار، فكما أن الله تعالى، لا يحب العمل المشترك، لا يحب القلب المشترك، العمل المشترك، أي العمل الذي فيه شرك فكما أن الله تعالى لا يحب العمل المشترك، لا يحب القلب المشترك، العمل المشترك لا يقبله، والقلب المشترك لا يقبل عليه.

أعزائي المشاهدين، أخوتي المؤمنين: هذه بعض الرقائق في تطهير النفس وتزكيتها

﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا (9) وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا (10)﴾

(سورة الشمس: 9 ـ 10)

فرغم أنف عبد قد أدرك رمضان فلم يغفر له، إلا لم يغفر له متى، فمتى ؟

اللهم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا، وزدنا علما، وإلى لقاء آخر إن شاء الله تعالى، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

والحمد لله رب العالمين

الدرس(9-30) : الأخلاق : التلازم الضروري بين التديّن الصحيح والخُلق القويم

بسم الله الرحمن الرحيم

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته موضوع لقائنا اليوم التلازم الضروري بين التدين الصحيح والخلق القويم: النبي صلوات الله وسلامه عليه، حدد الغاية الأولى من بعثته والمنهج الأمثل من دعوته، فقال فيما رواه الإمام مالك: إنما بعثت معلماً، إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق.

الهدف هو إرساء البناء الأخلاقي للفرد والمجتمع، والوسيلة هي التعليم لا التعنيف، والمتتبع لنصوص القرآن الكريم، وللسنة المطهرة الثابتة، يجد ذلك التلازم الضروري بين التدين الصحيح والخلق القويم.

قال تعالى:

﴿ أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ (1) فَذَلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ (2)﴾

(سورة الماعون: 1 ـ 2)

هو نفسه، وقال ﷺ: لا إيمان من لا أمانة له، ولا دين لمن لا عهد له، وقال عليه الصلاة والسلام: الإيمان والحياء قرناء جميعاً، فإذا رفع أحدهما رفع الآخر.

فالإيمان أيها الأخوة:

أساس الفضائل، ولجام الرذائل، وقوام الضمائر، وقد بين النبي عليه الصلاة والسلام، أن أحسن الناس إسلاماً أحسنهم خلقاً، وأن أكملهم إيماناً أحسنهم خلقاً، وأن من أحب عباد الله إلى الله أحسنهم خلقاً، وأن من أقرب المؤمنين مجلساً للرسول الله يوم القيامة أحسنهم خلقاً، وأن خير ما أعطي الإنسان خلق حسن، وأنه ما من شيء أثقل في ميزان المؤمن يوم القيامة من خلق حسن، وأما المؤمن ليدرك بحسن خلقه درجة الصائم القائم، بل إن

العبد ليبلغ بحسن خلقه عظيم درجات الآخرة، والخلق الحسن كما قال عليه الصلاة والسلام: يذيب الخطاية كما يذيب الماء الجليد، والخلق السوء يفسد العمل كما يفسد الخل العسل.

أيها الأخوة الأحباب:

الناجح كل النجاح، والفلاح كل الفلاح، والفوز كل الفوز والسعادة كل السعادة باتصال النفس بربها، وتطهيرها من أدرانها وتحليتها بمكارم الأخلاق، والخيبة كل الخيبة، والخسارة كل الخسارة والشقاء كل الشقاء، في بعد النفس عن ربها، وتمرغها في وحول المادة، وتخبطها في ظلمات الشهوات.

قال تعالى:

﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا (9) وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا (10)﴾

(سورة الشمس: 9 ـ 10)

وقال تعالى:

﴿ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ (21)﴾

(سورة الجاثية: 21)

ومما يؤكد أيها الأخوة، ومما يؤكد هذا التلازم الضروري بين التدين الصحيح والخلق القويم، ما أورد الإمام أحمد في مسنده، عن النبي ﷺ: أن رجلاً قال له يا رسول الله، إن فلانة تكثر من صلاته، إن فلانة تذكر من كثرة صلاته، وصيامه، وصدقته غير أنها تؤذي جيرانها بلسانها، قال هي في النار.

وقد ورد في صحيح مسلم، أن رسول الله ﷺ: سأل أصحابه يوماً، أتدرون من المفلس ؟ قالوا: المفلس فينا من لا

درهم له ولا متاع. فقال: إن المفلس من أمتي من يأتي يوم القيامة بصلاةٍ وصيامٍ وزكاةٍ، ويأتي وقد شتم هذا، وقذف هذا، وأكل مال هذا، وسفك دم هذا، وضرب هذا، فيعطى هذا من حسناته وهذا من حسناته، فإن فنيت حسناته قبل أن يقضى ما عليه، أخذ من خطاياهم، فطرحت عليه، ثم طرح في النار.

ومن خلق النبي العظيم عليه أتم الصلاة والتسليم، أن عكرمة ابن أبي جهل، كان والده من ألد أعداء النبي ﷺ ويوم فتح مكة، جاءت زوجته إلى النبي عليه الصلاة والسلام فأسلمت وقالت يا رسول الله: لقد هرب عكرمة إلى اليمن خوفاً منك فأمنه أمنك الله، فقال عليه السلام: هو أمن، فخرجت من ساعتها في طلبه وأدركته وقالت يا ابن العم: جئتك من عند خير الناس، من عند أفضل الناس، من عند ابر الناس، من عند محمد بن عبد الله، فقال؟.... قالت نعم أنا سلمته فأمنك، وما زالت به تؤمنه وتطمئنه حتى عاد معها، فلما دنى عكرمة من مكة، قال النبي ﷺ لأصحابه: سيأتيكم عكرمة بن أبي جهل مؤمناً مهاجراً، فلا تسب أباه فإن سب الميت يؤذي الحي ولا يبلغ الميت، هذه أخلاقه ﷺ، ولما التقى عكرمة النبي ﷺ، قال له والله ما دعوة إلا إلى حق، وما أمرت إلا بخير، وأنت أصدقنا حديثاً وأبرنا براً.

ومن خلق أصحابه الأطهار رضوان الله عليهم، أن ابن عباس رضي الله عنهما، كان معتكفاً في مسجد رسول الله ﷺ، فخرج من المسجد ليمشي في حاجة أخ له فقيل له، أنسيت أنك معتكف، قال لا، ولكن سمعت صاحب هذا القبر، والعهد به قريب فدمعة عيناه، وهو يقول من مشى في حاجة أخيه وبلغ فيها، كان خير له فيها من اعتكاف عشر سنين.

وقد سأل زيد الخير رسول الله ﷺ: يا رسول الله ما علامة الله فيمن يريد؟ وما علامته فيمن لا يريد ؟ فقال عليه الصلاة والسلام: كيف أصبحت يا زيد، قال أصبحت أحب الخير وأهله، وإن قدرت عليه بادرت إليه، وإن فاتني

حزنت عليه، وحننت إليه، فقال هذه علامة الله فيمن يريد.

وقد أخرج البخاري رضي الله عنه في صحيحه، وصحيحا البخاري ومسلم، هما أصح كتابين بعد كتاب الله، أخرج البخاري أن رسول ﷺ قال: تبسمك في وجه أخيك صدقة وأمرك بالمعروف ونهيك عن المنكر صدقة، وإرشادك الرجل في أرض الضلال لك صدقة، وإماطتك الأذى عن الطريق لك صدقة وإفراغك من دلوك في دلوي أخيك لك صدقة.

وفي الحديث القدسي: ليس كل مصلي يصلي... إنما أتقبل الصلاة ممن تواضع لعظمتي، وكف شهواته عن محارمي، ولم يصر على معصيتي، وأطعم الجائع، وكسا العريان، ورحم المصاب وآوى الغريب، كل ذلك لي، وعزتي و جلالي إن نور وجهه لأضوأ عندي من نور الشمس، على أن أجعل الجهالة له حلماً، والظلمة نوراً فيدعوني فألبيه، ويسألني فأعطيه، ويقسم علي فأبره، أكلؤه بقربي وأستحفظه ملائكتي، مثله عندي كمثل الفردوس، لا يتسنى ثمرها ولا يتغير حالها.

أيها الأخوة المؤمنون: هذه التوجيهات النبويه، سواء أكانت أقولاً أو أفعالاً، أو إقراراً، يجب العمل بها، لأن الله تعالى يأمرنا أن نعمل بها حيث يقول:

﴿ وَمَا آَتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ (7)﴾

(سورة الحشر: 7)

بل إن علماء الأصول يقولون إن ما ثبت من السنة المطهرة هو وحياً غير متلو، استنباطا من قوله تعالى:

﴿ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى (3) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى (4)﴾

(سورة النجم: 3 ـ 4)

ويبدو أن الأخلاق الكريمة في الأصل مواقف يقفها الإنسان بدافع من مشاعر سامية، تملئ قلبه من خلال اتصاله بربه مصدر الحق والخير والجمال.

أيها الأخ الكريم:

من أجل أن يكون لك قلب كبير يفيض رحمة وحناناً، من أجل أن تحب معالي الأمور، وتكره سفسافها ودنيها شرع الصيام ليكون فرصة سنوية لإخراج المرء من ظلمات المعاصي إلى أنوار الطاعات ومن وحول الشهوات إلى معارج القربات، من السير المضني وراء جمع المال والثروات، إلى نعيم التقلب في رحمة رب الأرض والسماوات، من الأثرة إلى المأثرة، من المصلحتي إلى المبدأ، من الشهوة إلى العقل، من دنس المادة إلى طهر الروح، من شقاء الحياة إلى نعيمها، من مدافعة التدني إلى متابعة الترقي.

اللهم علمنا ما ينفعنا، وأنفعنا بما علمتنا، وزدنا علما، وإلى لقاء آخر، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

والحمد لله رب العالمين

الدرس(10-30) : القرآن

بسم الله الرحمن الرحيم

أعزائي المشاهدين أخوتي المؤمنين السلام عليكم ورحمة الله وبركاته:

قال الله تعالى في كتابه العزيز:

﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآَنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ﴾

في هذه الآية الكريمة أيها الأخوة، إشارة لطيفة إلى علاقة وشيجة، بين شهر رمضان وبين فضل القرآن، فالقرآن أنزل في رمضان، أو رمضان أنزل في فضل قرآن، وربما كان شهر رمضان إعداداً للإنسان كي يفوز بالقرآن. والقرآن الكريم كلام الله المنزل على نبيه، المنقول بتواتر المتعبد بتلاوته، المتحد بنظمه، المعجز بمضمونه، قطعي الثبوت قطعي الدالة، لا ريب فيه، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه يهدي للتي هي أقوم، ولا يحزن قارئه.

وهو كما قال الإمام علي كرم الله وجهه، نوراً لا يطئفه مصباحه، وسراج لا يخمد توقده، وبحر لا يدرك قعره، ومنهاج لا يضل سالكه، وفرقان لا يخمد برهانه، وتبياناً لا تهدم أركانه، وشفاء لا تخشى أسقامه، وعز لا يهدم أنصاره، وحقاً لا يخذل أعوانه، وهو معدن الإيمان، وينبوع العلم، ورياض العدل.

أيها الأخوة الأحباب:

حينما يقتني أحدنا آلة بالغة التعقيد غالية الثمن، ذات نفع عظيم، تراه حريصاً حرصاً لا حدود له، على اقتناء الكتيب، التي تصدره الجهة الصانعة، والذي يتضمن طريقة الاستعمال، وأسلوب الصيانة، فهو حريص على اقتناء هذا الكتيب حريص على ترجمته حريص على فهمه، حريص على تنفيذ تعليماته بدقة بالغة، وهذا الحرص

نابعٌ من حرصه على سلامة هذه الآلة وعلى مستوى أدائها.

وهذا الإنسان أيها الأخوة بجسده، الذي يعد أعقد آلة في الكون، ففي خلاياه وأنسجته، وفي أعضائه وأجهزته، من التعقيد والدقة والإتقان، ما يعجز عن فهم بنيتها وطريقة عملها أعلم علماء الطب، وفي هذا الإنسان نفس تتعرج فيها المشاعر والعواطف وتصطرع فيها الشهوات والقيم، ما يعجز عن تحليلها وتفسيرها أعلم علماء النفس، وفي هذا الإنسان عقلاً، فيه من المبادئ والمسلمات والقوى الإدراكية، والتحليلية، والإبداعية، ما أهله ليكون سيد المخلوقات.

والآن أيها الأخوة:

ألا يحتاج هذا المخلوق الأول .كما تحتاج هذه الآلة . إلى كتاب من خالقه ومربيه ومسيره، يبن له فيه الهدف من خلق، والوسائل الفعالة التي تحقق هذا الهدف ؟.

ألا يحتاج هذا المخلوق الأول إلى كتاب فيه منهج يسير عليه يضبط حركاته ونشاطه من الخلل، والخطأ، والعبث؟.

ألا يحتاج هذا المخلوق الأول إلى كتاب فيه مبادئ سلامته سلامة جسده من العطب، وسلامة نفسه من التردي، وسلامة عقله من التعطيل والتزوير ؟.

ألا يحتاج هذا المخلوق الأول إلى كتاب فيه مبادئ سعادته فرداً ومجتمعاً في الدنيا والآخرة ؟. إنه القرآن الكريم يا أخوتي، الذي لا يقل في عظمة إرشاده وتشريعه عن عظمة إيجاد السموات والأرض. قال تعالى:

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ﴾

(سورة الأنعام: 1)

وقال تعالى:

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجاً (1)﴾

(سورة الكهف: 1)

فكما أن الله سبحانه وتعالى يحمد على نعمة الإيجاد، إيجاد السماوات والأرض، كذلك يحمد بالقدر نفسه على نعمة الإرشاد إرشاد الإنسان من خلال القرآن، إلى طريق سلامته وسعادته الأبدية فالكون خلقه، والقرآن كلامه، وفضل كلامه على سائر الكلام كفضل الله على خلقه.

أيها الأخوة المؤمنون:

إنه القرآن الذي يهدي للتي هي أقوم في كل جانب من كل جوانب الحياة، المادية والنفسية، والاجتماعية والعقلية قال تعالى:

﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآَنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾

(سورة الإسراء: 9)

إنه القرآن الذي إن اهتدى الإنسان بهديه، واتبع أحكامه، فلن يضل عقله، ولن تشقى نفسه.

قال تعالى:

﴿ فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى (123)﴾

(سورة طه: 123)

إنه القرآن الذي إن سار الإنسان على نهجه، واستمسك بحبله فلن يخاف في الدنيا، ولن يحزن على ما فاته منها، قال تعالى:

﴿ فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (38)﴾

(سورة البقرة: 38)

إنه القرآن الكريم، الذي يعد المؤمن من ذكر وأنثى بالحياة الطيبة التي عز نوالها على كثير من الناس، قال تعالى:

﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً﴾

(سورة النحل: 97)

إنه القرآن الذي يضمن للمؤمنين الشعور بالأمن ذلك الشعور الذي يعد أثمن ما في الحياة الإنسانية، بل هو أساس الصحة النفسية قال تعالى:

﴿ الَّذِينَ آَمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ (82)﴾

(سورة الأنعام: 82)

أيها الأخوة:

لو أن طبيباً حذر مريضه من بعض الأكلات التي يحبها، وبين له الخطر الذي إذا تناولها، أغلب الظن أن هذا المريض يتحاشى هذه الأكلات حفاظاً على صحته.

وفي القرآن الكريم أوامر ونواهي، ووعد ووعيد، فيا عجباً كيف نفسر موقف الإنسان الذي يخالف أوامر الله ونواهي، ولا يعبئ بوعد ولا وعيده، أيكون الطبيب أصدق عنده من الله، إن كان هذا فما أكفره، وإن كان وعيد الطبيب أشد عنده من وعيد الله فما أجهله، حقاً كفى بالمرء علماً أن يخشى الله، وكفى به جهلاً أن يعصيه.

أعزائي المشاهدين، أخوتي المؤمنين:

في ختام هذا الحديث هناك ومضة من إعجاز القرآن، فمن إعجاز القرآن العلمي، ما اكتشف مؤخراً، من أن من بين كل بحرين مالحين حاجزاً، تم تصويره من سفن الفضاء، هذا الحاجز يمنع مياه كل بحر من الاختلاط بمياه البحر الآخر، فلا يبغي بحرٌ على بحر بل يحافظ كل بحرٍ على كثافة مياهه، ودرجة ملوحته، ونوع مكوناته وهذا الحاجز ليس ثابتاً بل هو متحرك بفعل الرياح، وحركة المد والجزر، وحينما اطلع العالم المكتشف . وهو في نشوة اكتشافه . أن في القرآن الكريم إشارةً إلى هذا الكشف العلمي، وهو قوله تعالى:

﴿مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ (19) بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ (20) فَبِأَيِّ آَلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (21)﴾

(سورة الرحمن: 19)

أخذته الدهشة وأعلن إيمانه بالقرآن.

وقد اكتشف أيضاً أن بين البحرين الملح الأجاج، والعذب الفرات شيئين: حاجزاً يمنع مياه كل بحر من أن تطغى على الآخر كما هو بين البحرين المالحين، وحاجزاً يمنع أسماك المياه المالحة من أن تنتقل إلى المياه العذبة، وقد أشار القرآن الكريم إلى هذا الكشف العلمي الثاني، وسمى الحاجز الأول برزخاً، وسمى الحاجز الثاني حجراً، فقال تعالى:

﴿وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخاً وَحِجْراً مَحْجُوراً (53)﴾

(سورة الفرقان: 53)

أما طبيعة هاذيين الحاجزين فلا تزال موضع دراسة.

أيها الأخوة المؤمنون: اللهم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا، وزدنا علما وإلى لقاء آخر إن شاء الله تعالى والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

والحمد لله رب العالمين

الدرس(11-30) : التربية النفسية : القلب

بسم الله الرحمن الرحيم

أعزائي المشاهدين أخوتي المؤمنين السلام عليكم ورحمة الله وبركاته:

العبادات في الإسلام لها غايات كبرى وحكم عظمة، فإن لم نبلغها فلا أقل من أن نتعرفها، حتى نسير نحوها، وإذا خلت العبادات من هذه الحكم والغايات انقلبت إلى طقوس ومبهمات.

وقد بين القرآن الكريم هذه الحكم، فالصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر والزكاة تطهر وتزكي، والصيام شرع من أجل التقوى.

قال تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (183)﴾

(سورة البقرة: 183)

والتقوى نور يقذفه الله في القلب، فيرى به الحق حقاً فيتبعه والباطل باطلاً فيجتنبه، ولا بد لهذا القلب من أن يكون مهيئاً لتلقي هذا النور، ومن هنا شرع الصيام، لتنمية إخلاصه في العبادة، وتقوية إرادته على الطاعة، وترسيخ معاني عبودية لله عز وجل، فضلاً على أن الصيام يحقق وقاية الجسد، وصيانة أجهزته، من الإجهاد والعطب. فالعبادات أيها الأخوة:

في مجموعها، وعلى اختلاف أنواعها وأشكالها، تهدف إلى تطهير القلب من أمراضه، وتحليته بالكمالات التي أرسلها الله لها كي يسمو إلى خالقه ويسعد بقربه، وينعم بجنته.

أيها الأخوة المؤمنون:

القلب له في جسم الإنسان المكان الأول وعليه في جميع الأمور معوال، ولا عجب فهو القائد، والجوارح جنود له وخدم، وهو الآمر الناهي، والأعضاء أتباع له وحشم وحسبك فيه قول الله تبارك وتعالى:

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ (37)﴾

(سورة ق: 37)

والقلب أيها الأخوة:

حقيقة الإنسان، ومن عجيب أمر الله تعالى فيه، أنه جعل ببقائه قلب الجسد وصحته وانتظام عمله، حياة الجسد ونشاطه، وجعل بطهارة قلب النفس وسلامته حياة الروح وازدهارها.

والقلب هو الجانب المدرك من الإنسان، وهو المخاطب والمطالب، والمعاتب، وهو محل العلم، والتقوى، والإخلاص والذكرى، والحب، والبغض، والوساوس، والخطرات، وهو موضع الإيمان، والكفر، والإنابة، والإصرار، والطمأنينة والاضطراب.

والقلب هو العالم بالله، والمتقرب إلى الله، وهو المقبول عند الله، إذا سلم من غير الله، وهو المحجوب عن الله، إذا استغرق لغير الله، وهو الذي يسعد بالقرب من الله، ويشقى بالبعد عنه، قال تعالى في الحديث القدسي: عبدي طهرت منظر الخلق سنين، أفلا طهرت منظري ساعة، والقلب هو منظر الرب، ولا يفلح الإنسان ولا يطيب إلا إذا زكاه، ويخيب ويشقى إذا دنسه ودساه.

مشاهدي العزيز:

لعلك إن فتشت عن أعجب ما خلق الله في السماء والأرض لم تجد لا أعجب، ولا أروع، ولا أدق، ولا أجمل من قلب الإنسان.

تصلح أوتاره فيفض رحمةً، وشفقةً، وحباً، وحناناً، ومعانياً لطافاً، وشعوراً رقيقاً، حتى يتجاوز في سموه الملائكة المقربين.

وتفسد أوتاره، فينضح قسوة ولؤماً، وسوءاً حتى يهوى إلى أسفل سافلين، حوى على دقته كره العالم، فما أدقه وأجله، وما أصغره وأعظمه.

يكبر ولا نرى كبره، فيتضاءل أمامه كل كبير.

ويصغر ولا نرى صغره، فيتعاظم عليه كل صغير.

اتحد شكل القلب، واختلفت معانيه، فقلب كالجوهرة، الكريم صفى لونه، وراق مائه، وقلب كالصخر قوي متين، ينفع ولا يلمع وقلب هواء خف وزنه وحال لونه، يموت القلب ثم يحيى، ويحيى ثم يموت، ويرتفع إلى الأوج، ويهبط إلى الحضيض، وبينما هو يسامي النجوم رفعة إذا هو يلامس الطاعة طاعة، أليس أعظم بناة العالم قد امتازوا بكبر القلب، وصدق الشعور، وقوة الإرادة، إنما إن وجد كل شيءٍ وفقد قلبه لم يجد شيئاً. أيها الأخوة الأحباب:

أما قلب الجسد، فهو من أعجب ما خلق الله، إنه مضخة مزدوجة، تضخ الدم الذي يحمل الغذاء والوقود إلى كل خليةٍ، ونسيج وعضوٍ، وجهاز، عن طريق شبكة من الأوعية يزيد طولها عن مائة وخمسين كيلومتر. إنه يعمل منذ الشهور الأولى من حياة الجنين، وحتى يحين الحين، لا يغفل ولا يغفو، ولا ينسى ولا يسهو، ولا يقعد ولا يكبو ولا يمل ولا يشكو، يعمل من دون راحة، ولا مراجعة، ولا صيانة ولا توجيه.

الإنسان بجبروته يؤذيه، وبنار حقده يكويه، وبالأحزان يبليه وهو أساس حياة الإنسان، وشمس عالمه، عليه يعتمد في كل أعماله وأحواله، ومنه تنبع كل قواه، وحركاته.. وهو آلة خارقة!.. لا يعرف التعب إليها سبيلا، تزداد

قدرتها أضعاف كثيرة، لتواجه الجهد الطارئ، إنه عضلة من أعقد العضلات، بناءً وعملاً وأداءاً، ومن أمتنها وأقواها، تنقبض وتنبسط، ثمانين مرةً في الدقيقة، ويصل النبض في الجهد الطارئ إلى مائة وثمانين، ويضخ القلب ثمانية آلاف لتر في اليوم الواحد، أي ما يعادل ثمانية أمتار مكعبة من الدم ويضخ القلب من الدم في طول عمر الإنسان ما يكفي لملئ مستودع بحجم إحدى أكبر ناطحات سحاب في العالم. وينفرد القلب باستقلاله عن الجهاز العصبي، فتأتمر ضرباته وتنتظم بإشارة كهربائية من مركز توليد ذاتي هي أساس تخطيطه وتتغذى عضلة القلب بطريقة فريدة فذى !! ومن أعجب ما فيه دساماته المحكمة التي تسمح للدم بالمرور باتجاه واحد، وهو مبدأ ثابت بالمضخات.

حتى إذا سكن القلب في قفصه، واستراح من غصصه، خلف وراءه جثةً هامدة كأنها أعجاز نخلة هاوية، لقد صدق رسول الله ﷺ إذ يقول: ألا إن في الجسد مضغةً إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب.

ورحم الله الشاعر إذ يقول:

دقـاتُ قلبِ المرءِ قائـلـةٌ لـه إن الحياةَ دقائـقٌ وثوانـي

فارفع لنفسِكَ قبل موتكَ ذكرهـا فالذكرُ للإنسان عمرٌ ثـانـي

اللهم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا، وزدنا علما، وإلى لقاء آخر إن شاء الله تعالى، وشكراً لإصغائكم، والسلام عليم ورحمة الله وبركاته.

والحمد لله رب العالمين

الدرس(12–30) : آيات في الآفاق وفي أنفسهم

بسم الله الرحمن الرحيم

أعزائي المشاهدين أخوتي المؤمنين السلام عليكم ورحمة الله وبركاته:

يطيب الحديث في رمضان عن القرآن لأنه أنزل فيه، ولأن النبي ﷺ، كان يكثر فيه من تلاوته وتدبره، فالقرآن هو المنهج الأقوم، والطريق الأمثل، لسعادة الإنسان في كل زمان ومكان، فيه دعوة إلى الإيمان بالله من خلال التفكر في خلق السماوات والأرض، حيث تتابع الأمر بالتفكر في سور القرآن، وعُد الأساس الأول لبناء العقيدة والإيمان.

قال تعالى:

﴿ قُلِ انْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الْآَيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ (101)﴾

(سورة يونس: 101)

وقال تعالى:

﴿ فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ (5) خُلِقَ مِنْ مَاءٍ دَافِقٍ (6) يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ (7)﴾

(سورة الطارق: 5 . 6 . 7)

فالتفكر في خلق السماوات والأرض، عبادة من أرقى العبادات وقربة من أعظم القربات، من أرقى العبادات، وقربة من أعظم القربات، وهي باب لمعرفة الله، من أوسع الأبواب.

كيف لا ؟ وأصل الدين معرفة الله.

﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ (28)﴾

(سورة فاطر: 28)\

بل إن أول آية نزلت في القرآن ترسم المنهج لمعرفته، وهي في قوله تعالى:

﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (1) خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ (2)﴾

(سورة العلق: 1 ـ 2)

أيها الأخوة الأحباب:

في صحيح بن حبان، عن عطاء، أن عائشة رضي الله عنها قالت: أتاني رسول الله ﷺ في ليلتي وقال: يا عائشة، ذريني أتعبد لربي عز وجل، فقام إلى القربة فتوضأ منها، ثم قام يصلي، فبكى حتى بل لحيته، ثم سجد حتى بل الأرض، ثم أضطجع على جنبه، حتى أتى بلال يؤذنه بصلاة الصبح، فقال: يا رسول الله ما يبكيك، وقد غفر الله لك، ما تقدم من ذنبك وما تأخر ؟! فقال عليه الصلاة والسلام: ويحك يابلال ! وما يمنعني أن أبكي وقد أنزل الله عليّ في هذه الليلة:

﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآَيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ (190) الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ (191)﴾

(سورة آل عمران: 190)

ثم قال عليه الصلاة والسلام: ويل لمن قرأها ولم يتفكر فيها وقال عليه الصلاة والسلام: أمرت أن يكون صمتي فكراً، ونطقي ذكراً، ونظري عبرةً.

وقال الحسن البصري رحمه الله تعالى: من لم يكن كلامه حكمةً فهو لغوُ، ومن لم يكن سكوته تفكراً فهو سهو، ومن لم يكن نظره عبرة فهو لهو.

أيها الأخوة المشاهدون: الحق جل وعلا، الذي خلق السماوات والأرض بالحق يقول:

﴿ سَنُرِيهِمْ آَيَاتِنَا فِي الْآَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾

(سورة فصلت: 53)

الحق هو القرار والثبات، والسمو والعلو، ونقيضه الباطل وهو الزوال والزهوق، والتردي والعبث.. سنريهم آياتنا في الآفاق فأين هي آيات الله في الآفاق ؟..

ورد في بعض الأحاديث الشريف: أن عدد النجوم في السماء بعدد ما في الأرض من مدر وحجر، أي بعدد ذرات التراب والحجارة فعلماء الفلك أيها الأخوة في الماضي، كانوا يعدون النجوم بالألوف وبعد أن ارتقت كفاءة مراصدهم، صاروا يعدونها بالملايين، ثم وصلوا إلى المليارات ؛ أي ألوف الملايين، أما اليوم فإنهم يقدرون عدد النجوم في مجرتنا، درب التبانة، من خلال المراصد العملاقة بثلاثين ملياراً، علماً أن مجرتنا مجرة متوسطة في حجمها، وهي واحدة من عشرات ألوف الملايين من المجرات، التي لا يعلم عددها إلا الله، لقد صدق الله العظيم إذ يقول:

﴿ أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا﴾

(سورة ق: 6)

هذا عن عدد النجوم، فماذا عن حجومها ؟!.. إذا علمنا أيها الأخوة أن حجم الأرض مليون مليون كيلومتر مكعب، وأن الشمس تكبر الأرض بمليون وثلاثمائة ألف مرة، وأن المسافة بينهما مائة وخمسون مليون كيلومتر، وأن نجماً من النجوم في برج العقرب يتسع للأرض والشمس مع المسافة بينهما، وأن نجماً أسمه منكب الجوزاء يزيد حجمه عن حجم الشمس بمائة مليون مرة... لقد صدق الله العظيم إذا يقول:

﴿ وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ (47)﴾

(سورة الذاريات: 47)

هذا عن أعدادها وأحجامها، فماذا عن المسافات بينها ؟.. إن ما بينها من مسافات تقدر بالسنين الضوئية، فالضوء يقطع بالثانية الواحدة ثلاثمائة ألف كيلومتر، إذاً فهو يقطع في السنة عشرة آلاف مليار من الكيلومترات، فإذا علمنا أن القمر يبعد عنا ثانية ضوئية واحدة، وأن الشمس تبعد عنا ثمانية دقائق ضوئية، وأن المجموعة الشمسية، لا يزيد قطرها عن ثلاث عشرة ساعة ضوئية، وأن أقرب نجم ملتهب إلى الأرض، يبعد عنا أربع سنوات ضوئية، ولكي نعلما ماذا تعني أربع سنوات ضوئية نقول:

لو اتجهنا إلى هذا النجم بمركبة تساوي سرعتها سرعة مركبة القمر، لاستغرقت الرحلة اكثر من مائة ألف عام، ولو ساوت سرعة هذه المركبة سرعة السيارة، لاستغرقت الرحلة هذه قريباً من خمسين مليون عام !!. هذا ما تعنيه أربع سنوات ضوئية !!.

فما القول في سديم المرأة المسلسلة، التي تبعد عنا مليون سنة ضوئية، بل ما القول في مجرة اكتشفت حديثاً، تبعد عنا ست عشرة ألف مليون من السنوات الضوئية، لقد صدق الله إذ يقول:

﴿ فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ (75) وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ (76)﴾

(سورة الواقعة: 75 . 76)

هذا ولم نتحدث عن حركات النجوم، وسرعتها العالية، ولا عن مداراتها الواسعة، ولا عن شدتها، ولا قوة إضاءتها، ولا عن قوى التجاذب التي تربطها، ولا عن توازنها الحركي، وما تفعل دقائق عشر في مثل هذا الموضوع وعلى كل فالعجز عن الإدراك إدراك قال تعالى:

﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّماوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ (67)﴾

(سورة الزمر: 67)

أيها السادة الأعزاء:

﴿ سَنُرِيهِمْ آَيَاتِنَا فِي الْآَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ﴾

فماذا عن الآيات التي في أنفسنا، أن من هذه الآيات، لبن المرأة الذي يعد مبهراً ومدهشاً، تعجز عن تركيبه بخصائصه، قوى البشر ولو اجتمعت، وأضخم المعامل ولو تظافرت، فتركيبه في تبدل مستمر، بحسب حاجات الرضيع، ومتطلباته، وبحسب احتمال أجهزته وأعضائه، وهو أكثر ملائمة، وأكثر احتمالا، وهو آمن طرق التغذية من حيث الطهارة والتعقيم ؛ إذا يأخذ من الحلمة مباشرة، دون التعرض إلى التلوث الجرثومي، وحرارته ثابتة خلال الرضعة الواحدة متناسبة مع حرارة الرضيع، ويصعب توافر هذا الشروط، في الإرضاع الصناعي، وفوق ذلك فهو لطيف الحرارة في الصيف، دافئ في الشتاء، وهو سهل الهضم، ولا تتجاوز فترة هضمه الساعة والنصف، بينما تزيد فترة هضم حليب القوارير عن ثلاث ساعات.

والطفل الذي يرضع من ثدي أمه، يكتسب مناعة ضد كل الأمراض ؛ لأن في حليب الأم كل مناعاتها، وفيه مواد مضادة للالتهابات المعوية والتنفسية، ومواد تمنع التصاق الجراثيم بجدر الأمعاء، ومواد حامضية لقتل الجراثيم، والإرضاع يقي في المرضعة أورام الثدي الخبيثة، ويقي في الرضيع الآفات القلبية والوعائية وأمراض التغذية والاستقلاب.

بل إن الفطام السريع يحدث عند الطفل، رضاً نفسياً وانحرافات سلوكية، وهو . أي حليب الأم . سهل التحضير ليلاً ونهاراً، في السفر والحضر، لأنه جاهز دائماً بالحرارة المطلوبة، وبالتعقيم المثالي والسهولة في الهضم،

والمناعة الشاملة.

قال تعالى:

﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ (4) أَيَحْسَبُ أَنْ لَنْ يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ (5) يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالاً لُبَداً (6) أَيَحْسَبُ أَنْ لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ (7) أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ (8) وَلِسَاناً وَشَفَتَيْنِ (9) وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ (10)﴾

(سورة البلد: 4 . 10)

قال عكرمة وابن المسيب النجدان هما الثديان.

يا رب تداركتنا باللطف في ظلمة الحشا وخير كفيل بالحشا قد كفلتنا

وأسكنت قلب الأمهات تعطفاً علينـا وفي القلبين أجريت قوتنـا

وأنشأتنا طفلاً وأطلقت ألسـنـاً تترجم بالقراري أنك ربنـا

وعرفتنا إيـاك فالحمد دائماً لوجهك إذا ألهمتنا منـك رشدنـا

اللهم علمنا ما ينفعنا، وأنفعنا بما علمتنا، وزدنا علما، وإلى لقاء آخر، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

والحمد لله رب العالمين

الدرس(13-30) : التوبة (الطمأنينة والسكينة)

بسم الله الرحمن الرحيم

أعزائي المشاهدين أخوتي المؤمنين السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد:

فنحن في رمضان شهر التقوى، شهر التوبة والغفران، شهر الطاعة والإحسان، شهر الذكر والقرب، شهر التقوى والحب، لقد فرضه الله علينا الصيام في كل عام، ليكون موسماً يرقى فيه عباده الطائعون، وفرحة لعباده الصالحين، وفرصة يتوب فيه عباده المسيئون، ويصطلحون فيه مع ربهم.

والتوبة أيها الأخوة:

إنما شرعها الله سبحانه وتعالى، لتكون صوناً للهداية، وسبيلاً للنجاة، فهو ﷻ، يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل.

ويا أيها الأخوة الأكارم:

التوبة في حقيقتها مخرج النجاة للإنسان حينما تحيط به خطيئاته وهي صمام الأمان حينما تضغط عليه سيئاته، وهي تصحيح للمسار حينما تضله أهواؤه، وهي حبل الله المتين، حينما تغرقه زلاته وهي الصراط المستقيم حينما تنحرف به شهواته.

قال عليه الصلاة والسلام: رغم أنف عبد . أي خاب وخسر أدرك رمضان فلم يغفر له، إن لم يغفر له فمتى ؟ إن الله سبحانه وتعالى لأفرح بتوبة عبده المؤمن من الضال الواجد، والعقيم الوالد والظمآن الوارد.

كيف لا والله جل في علاه ؟ وقال في الحديث القدسي: وعزتي وجلالي إن أتاني عبدي ليلاً قبلته، وإن أتاني نهاراً قبلته وإن تقرب مني شبراً، تقربت منه ذراعاً، وإن تقرب مني ذراعاً تقربت منه باعاً، وإن مشى إلي، هرولت إليه، وإن استغفرني غفرت له، وإن استقالني ألقلته، وإن تاب إليّ قبلته، وإن أقبل عليّ تلقيته من بعيد، وإن

أعرض عني ناديته من قريب، ومن ترك لأجلي أعطيته فوق المزيد، ومن استعان بحولي وقوتي ألنت له الحديد، ومن أراد مرادي أردته ما يريد، أهل ذكري أهل مودتي، أهل شكري أهل زيادتي، أهل طاعتي أهل كرامتي، أهل معصيتي لا أقنطهم من رحمتي، إن تابوا فأنا حبيبهم، وإن لم يتوبوا فأنا طبيبهم، أبتليهم بالمصائب لطهرهم من الذنوب والمعايب، أشكر اليسير من العمل وأغفر الكثير من الذلل، رحمتي سبقت غضبي، وحلمي سبق مؤاخذتي، وعفوي سبق عقوبتي، وأنا أرحم بعبدي من الأم بولدها.

والآن تعالوا يا أيها الأخوة:

لنرى ثمار التوبة اللامعة، إنها الطمأنينة والأمن، فلا خوف ولا حزن، ولا قلق، ولا هم، فالإنسان حينما يلبي نداء فطرته السليمة فيؤمن بخالقه ومربيه وينطلق في طريق طاعته، والإحسان إلى خلقه عندئذٍ تتصل هذه النفس التائبة المنيبة بربها، فإذا كل طمأنينتها وسعادتها بالقرب منه.

قال تعالى:

﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ (30) نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآَخِرَةِ﴾

(سورة فصلت: 30 . 31)

أيها الأخوة الأكارم:

أي قلق يبقى ؟ إذا كان الله وليك، وأي خوف يستحوذ عليك إذا كان الله معك ؟ وإذا كان الله معك فمن عليك وإذا كان عليك فمن معك ؟ ويارب ماذا فقد من وجدك ؟ وماذا وجد من فقدك ؟ ابن أدم اطلبني تجدني فإذا وجدتني وجدت كل شيء، وإن فتك فاتك كل شيء وأنا أحب إليك من كل شيء.

أيها الأخوة الأكارم:

التائب ينفذ توجيهات النبي ﷺ ينفذ توجيهاته السديدة، في شأن الدنيا، وهموم المعاش فالنبي عليه الصلاة والسلام أمين وحي السماء، ومبعوث العناية الإلهية وهو الرحمة المهداة والنعمة المزجاة...

يقول عليه الصلاة والسلام في ما رواه الترمذي: من كانت الآخرة همه جعل الله غناه في قلبه وجمع له شمله، وأتته الدنيا وهي راغمة، ومن كانت الدنيا أكبر همه جعل الله فقره بين عينيه وفرق عليه شمله، ولم يأته من الدنيا إلا ما قدر له، ومن جعل الهموم هماً واحداً كفاه الله هم دنياه، ومن تشعبته الهموم، لم يبال الله في أي أودية الدنيا هلك.

وقد ورد في الأثر: أن خذ من الدنيا ما شئت، وخذ بقدرها هماً، ومن أخذ من الدنيا فوق ما يكفيه أخذ من حتفه وهو لا يشعر وإن أسعد الناس في الدنيا أرغبهم عنها، وأشقاهم فيها، أرغبهم فيها.

أيها الأخوة الأحباب:

لقد علم النبي ﷺ أصحابه الكرام: أن يستعينوا بالله في النجاة من هموم الحياة الضاغطة ومقلقاتها الساحقة. قال أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: دخل النبي عليه الصلاة والسلام المسجد ذات يوم، فإذا هو برجل من الأنصار يقال له أبو أمامه، فقال: يا أبى أمامه، ما لي أراك جالساً في المسجد في غير وقت الصلاة ؟ قال يا رسول الله: هموم لزمتني وديون، قال عليه الصلاة والسلام: أفلا أعلمك كلاماً إن قلته أذهب الله همك وقض دينك؟ قلت بلى يا رسول الله، قال عليه الصلاة والسلام: قل إذا أصبحت وإذا أمسيت اللهم: إني أعوذ بك من الهم والحزن، وأعوذ بك من العجز والكسل، وأعوذ بك من الجبن والبخل، وأعوذ بك من غلبة الدين وقهر الرجال، قال: ففعلت فأذهب الله همي وقضى ديني.

يا أيها الأخوة الأكارم:

طوبى لمن عرف ربه، عرفه قبل فوات الأوان، طوبى لمن تاب إليه قبل أن لا تكون توبة، طوبى لمن أطاعه مخلصاً، طوبى لمن أحسن إلى خلقه مخلصاً، طوبى لمن طاب كسبه، وصلحت سريرته، وكملت علانيته، وعزل عن الناس شره طوبى لمن عمل بعلمه، وأنفق الفضل من ماله، وأمسك الفضل من قوله، قال تعالى:

﴿ الَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَى لَهُمْ وَحُسْنُ مَآَبٍ (29)﴾

(سورة الرعد: 29)

اللهم علمنا ما ينفعنا، وأنفعنا بما علمتنا، وزدنا علما، وإلى لقاء آخر إن شاء الله تعالى، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

والحمد لله رب العالمين

الدرس(14-30) : الوقت

بسم الله الرحمن الرحيم

أعزائي المشاهدين أخوتي المؤمنين السلام عليكم ورحمة الله وبركاته:

موضوع لقائنا اليوم قيمة الوقت في حياة الإنسان، لقد سئلت السيدة رابعة رحمها الله، وكانت تناجي ربها وتقول:

فليتكَ تحلُو والحياة مريرة ً وليتك ترضى والأنامُ غضابُ

وليت الذي بيني وبينك عامرٌ وبيني وبين العالمين خرابُ

إذا صحَ منك الود فالكل هينٌ وكل الذي فوق التراب تربُ

أيها الأخوة الأحباب:

سئلت هذه العاشقة، العارفة، سئلت ما الإنسان ؟ فقالت: هو بضعة أيام، كلما انقضى يوم، انقضى بضع منه، إنه إذاً وقت محدود ومعلوم، إن الوقت وعاء لعمله، ومحل لكسبه، وهو رأس ماله الحقيقي.

يا أيها الأخوة الأحباب:

من خصائص الوقت، سرعة انقضائه أو هكذا يشعر الإنسان هكذا يشعر الإنسان لأن دقيقة الألم ساعة، وساعة اللذة دقيقة، إن الوقت يمر مر السحاب ويجري جري الرياح.

قال الله تعالى:

﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَنْ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِنَ النَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ﴾

(سورة يونس: 45)

ومن خصائص الوقت أيضاً، أنه إذا مضى لا يعود ولا يعوض.

ما مضى فات والمؤمل غيب ولك الساعة التي أنت فيها وما من يوم ينشق فجره، إلا وينادي يا ابن آدم، أنا خلق جديد وعلى عملك شهيد، فتزود مني فإني لا أعود إلى يوم القيامة.

هذا الوقت أيها الأخوة:

الذي هو عمر الإنسان، قصيرٌ جداً إذا قيس بحياته الأبدية في الدار الآخرة، فأي رقم مهما كبر، ولو كان الرقم فلكياً إذا قيس باللانهاية، إذا قيس بالحياة الأبدية، فإنه يغدو صفراً.

لذلك يتحسر الإنسان يوم القيامة، حينما يكتشف أنه ضيع الحياة الأبدية الباقية، من أجل حياته الفانية، قال تعالى:

﴿ وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفّاً صَفّاً (22) وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى (23) يَقُولُ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي (24) فَيَوْمَئِذٍ لَا يُعَذِّبُ عَذَابَهُ أَحَدٌ (25) وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُ أَحَدٌ (26)﴾

(سورة الفجر: من 22 . إلى 25)

قيل أيها الأخوة:

إن الدنيا ساعة، فجعلها طاعة.

أعزائنا المشاهدين:

في القرآن الكريم إشارات كثيرة، إلى قيمة الوقت في حياة الإنسان، وفي القرآن الكريم حضٌ كثير على الاستفادة

منه، بل إن كلمات " وسارعوا " " وسابقوا " في كتاب الله تؤكد هذا المعنى.

قال تعالى:

﴿ وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعاً﴾

(سورة البقرة: 148)

يأيها الأخوة الأكارم:

هذه الآية بالإضافة إلى معناها السياقي تشير في مقطعها الأول " ولكل وجهة هو موليها " تشير إلى أن وجهة الإنسان الصحيحة، أو المنحرفة، ومواقفه المشرفة، أو غير المشرفة وأعماله الصالحة، أو غير الصالحة، هي من كسبه وحده "ولكل وجهة هو موليها " وسوف يسأل عنها، ويجازى عليها، قال تعالى:

﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (92) عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ (93)﴾

(سورة الحجر: 92)

وأن هذه الحرية في الكسب، هي التي تثمن عمله، وعمله الطوعي، الصالح، والخالص، سر سعادته الأبدية، وهذه الحرية بالكسب، عارية مسترده، فما دامت المهمة جليلةً وما دام الوقت محدوداً، دعانا الله جل وعلا إلى الاستفادة من الوقت، وحضنا على فعل الخيرات فيه.

قال تعالى:

﴿ وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ﴾

ففي هذا المقطع كما ترون معي حض على الاستفادة من الوقت في فعل الخيرات، وترك المنكرات. ولكن يا أخوة الإيمان يا أيها الأخوة المشاهدون:

هذه الحرية في الكسب لن تدوم طويلاً لابد من أن تسترد إنها تسترد عند الموت والدليل المقطع الثالث.

﴿ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعاً﴾

أيها الأخوة الأحباب:

من جهل قيمة الوقت، وهو يملك أن ينتفع به، فسيأتي عليه حين يعرف قيمته، ويعرف قدره، ويعرف نفاسته، ولكن بعد فوات الأوان عندما يعتصر الندم قلبه، ولات ساعة مندم.

قال تعالى:

﴿ وَأَنْفِقُوا مِنْ مَا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ (10)﴾

(سورة المنافقين: 10)

ماذا كان جواب الله عز وجل ؟ جاء الجواب !.

﴿ وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْساً إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ (11)﴾

(سورة المنافقين: 11)

وهذا الإنسان الذي يجهل قيمة الوقت سوف يعرف قيمته مرةً ثانية، ولكن يوم القيامة، حين توفى كل نفس بما عملت، وحينما تجزى كل نفس بما كسبت، وحينما يدخل أهل الجنة الجنة، وحينما يدخل أهل النار النار، هناك يتنمى أهل النار، لو يعودون مرةً أخرى إلى حياة التكليف ليعملوا الصالحات !.

قال تعالى:

﴿ وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحاً غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ﴾

(سورة فاطر: 37)

ويأتي الجواب:

﴿ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ﴾

(سورة فاطر: 37)

ولكن ما النذير أيها الأخوة ؟ جاء في تفسير القرطبي أن النذير هو القرآن الكريم، لأنه خطاب الله للإنسان، إنه تعليمات الصانع إنه نور يضيء له الطريق، ويهدي للتي هي أقوم، والنذير أيضاً هو النبي عليه الصلاة والسلام بسنته التي بين أيدينا.

﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً (45)﴾

(سورة الأحزاب: 45)

والنذير هو الشيب، يقول الله في الحديث القدسي: عبدي كبرت سنك، وشاب شعرك، وانحنى ظهرك، وضعف بصرك فاستح مني، فأنا أستحي منك.

والنذير أيها الأخوة سن الأربعين، فمن بلغ الأربعين فقد دخل في أسواق الآخرة.

والنذير هي المصائب:

﴿ وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَى دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (21)﴾

(سورة السجدة: 21)

أيها الأخوة الأكارم: من أشد الأحاديث النبوية الشريفة، دلالة على قيمة الوقت قوله ﷺ: بادروا بالأعمال الصالحة

فماذا ينتظر أحدكم من الدنيا . أي إذا جعل المرء الدنيا أكبر همه ومبلغ علمه، إذا وضع كل آماله في الدنيا، ونسي المبتدى والمنتهى ونسي الجبار الأعلى، ماذا ينتظر من الدنيا يأتي الجواب . هل تنتظرون إلا غنىً مطغياً، أو فقراً منسياً، أو مرضاً مفسداً، أو موتاً مجهزاً، أو الدجال فشر غائب ينتظر، أو الساعة، فالساعة أدهى وأمر.

وقد قيل، إن الليل والنهار يعملان فيك أيها الإنسان ؛ أي يقربانك من أجلك، فاعمل فيهما الصالحات، ليكون الوقت مستثمراً لا مستهلكاً، فمن علامات المقت إضاعة الوقت.

اللهم علمنا ما ينفعنا، وأنفعنا بما علمتنا، وزدنا علما، وإلى لقاء آخر والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.-

والحمد لله رب العالمين

الدرس(15-30) : التوبة بعد رمضان

بسم الله الرحمن الرحيم

أعزائي المشاهدين أخوتي المؤمنين: الحمد لله على كل حال والصلاة والسلام على سيدنا محمدٍ والآل وبعد:

فيا أيها الأخوة:

نحن في اليوم الأخير أو قبل الأخير من شهر رمضان شهر التوبة والغفران، شهر الإحسان والقرآن، شهر القرب والرحمة، شهر الزلفى والتقوى، لقد شرع الصيام لتقوية إرادة الإنسان، على طاعة ربه، ولتنمية الإخلاص في قلبه، ولتمتين الصلة بخالقه، ولترسيخ معاني العبودية له لقد شرع الصيام، من أجل انتصار الإنسان على نفسه، كي يقودها نحو سعادتها الأبدية.

فقد ركب الملك من عقل بلا شهوة، وركب الحيوان من شهوة بلا عقل، وركب الإنسان من كيلهما، فإن سما عقله على شهوته أصبح فوق الملائكة، وإن سمت شهوته على عقله، أصبح دون الحيوان.

أيها السادة الأعزاء:

ليست البطولة أن ننتصر على النفس في رمضان، ثم ننخذل أمامها بقية العام، ولكن البطولة أن نحافظ على هذا النصر على طول الدوران وتقلبات الزمان والمكان.

ليست البطولة أن نضبط ألسنتنا في رمضان، فننزهها عن الغيبة والنميمة وقول الزور، ثم نطلقها بعد رمضان، إلى حيث الكذب والبهتان، ولكن البطولة أن تستقيم منا الألسنة، وأن تصلح فينا القلوب ما دامت الأرواح في الأبدان.

ليست البطولة أن نغض أبصارنا عن محارم الله، وأن نضبط شهواتنا غير المشروعة في رمضان، ثم نعود على ما كنا عليه بعد رمضان، إنا إذاً كالتي نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثا، ولكن البطولة أن تصوم جوارحنا عن

كل معصية، في رمضان، وبعد رمضان، فلا تفطر حتى تلقى الواحد الديان.

ليست البطولة أن نتحرى الحلال في رمضان، خوفاً من أن يرد علينا صيامنا، ثم نتهاون في تحريه بعد رمضان، على أنه عادة من عوائدنا، ونمط شائع من سلوكنا، ولكن البطولة أن يكون الورع مبدأ ثابتاً وسلوك مستمراً.

ليست البطولة أن نبتعد عن المجالس، التي لا ترضي الله إكراماً لشهر رمضان، ثم نعود إليها بعد رمضان، وكأن الله ليس لنا بالمرصاد في بقية الشهور والأعوام.

ليست البطولة أن نراقب الله في أداء واجباتنا، وأعمالنا ما دمنا صائمين، فإذا ودعنا شهر الصيام، آثرنا حظوظ أنفسنا على أمانة أعمالنا ووجباتنا.

أيها الأخوة المشاهدون:

مثل هذا الإنسان لم يفقه حقيقة الصيام، ولا جوهر الإسلام إنه كالناقة عقلها أهلها، ثم أطلقوها، فلا تدري لمَ عقلت، ولا ولم أطلقت، لا يدري لم صام، ولا لم أفطر.

أيها الأخوة المؤمنين:

لو أديت العبادات . والصيام من العبادات . لو أديت العبادات على النحو الذي أراده الله عز وجل، لجعلت من المؤمن شخصية فذة إليها تنجذب النفوس، وبها تتعلق الأبصار، ومن نورها تهتدي القلوب.

لو أديت العبادات، على النحو الذي أراده الله عز وجل لجعلت من المؤمن رجلاً نير الذهن والقلب معاً، حاد البصر والبصيرة جميعاً، تتعانق فكرته وعاطفته، فلا تدري أيهما أسبق ؟ صدق أدبه أم حسن معرفته، ولا تدري أيهما أروع ؟ خصوبة نفسه الجياشة، أم فطانة عقله اللماح.

لو أديت العبادات على النحو الذي أراده الله عز وجل، لجعلت المؤمن ذا أفق واسع، ونظر حديد، ومحاكمة سليمة، ولجعلته منغمساً في سعادة، لا تقوى متع الأرض الحسية، أن تصرفه عنها، ولجعلته ذا أخلاقٍ أصيلة، لا تستطيع سبائك الذهب اللامعة، ولا الضغوط المانعة أن تقوضها.

المؤمن الحق أيها الأخوة:

كما أراده الله أن يكون، كالجبل رسوخاً، وكالصخر صلابةً وكالشمس ضياءً، وكالبركان تدفقاً، وكالبحر عمقاً، وكالسماء صفاءً وكالربيع نضارةً، وكالماء عذوبةً، وكالعذراء حياءً، وكالطفل وداعةً.

مشاهدي الأعزاء:

ومع أن شهر رمضان، شهر التوبة والغفران، لكن هذا لا يعني أن التوبة مقصورة عليه، محصورة فيه، بل إن أبواب التوبة مفتحةٌ على مصاريعها في كل أشهر العام.

كيف لا ؟ والله سبحانه وتعالى يقول في القرآن الكريم:

﴿ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (53)﴾

(سورة الزمر: 53)

إنه جل وعلا يدعوا المسرفين إلى التوبة، فكيف بالمقتصدين ؟

كيف لا ؟ والحق جل وعلا يقول في كتابه العزيز:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحاً﴾

(سورة التحريم: 8)

التوبة النصوح كما قال بعض العلماء، ندم في القلب واستغفار باللسان، وإقلاع عن الذنب.

كيف لا ؟ والله سبحانه وتعالى يقول في الحديث القدسي: يا ابن آدم، إنك ما دعوتني ورجوتني، غفرت لك على ما كان منك، ولا أبالي، يا ابن آدم، لو بلغت ذنوبك عنان السماء، ثم استغفرتني غفرت لك، يا ابن آدم إنك لو أتيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شئ لأتيتك بقرابها مغفرة.

كيف لا ؟ والله سبحانه وتعالى، أفرح بتوبة عبده، من الظمآن الوارد، ومن القيم الوالد، ومن الضال الواجد " فمن تاب إلى الله توبة نصوحة أنسى الله حافظيه وجوارحه وبقاع الأرض كلها خطاياه وذنوبه ".

كيف لا ؟ والحق جل وعلا يقول في الحديث القدسي: أهلي ذكري أهل مودتي، أهل شكري أهل زيادتي، أهل معصيتي لا أقنطهم من رحمتي، إن تابوا فأنا حبيبهم وإن لم يتوبوا فأنا طبيبهم، أبتليهم بالمصائب، لأطهرهم من الذنوب والمعايب.

كيف لا ؟ وإذا رجع العبد العاصي إلى الله، نادى مناد في السماوات والأرض، أن أيتها الخلائق، هنئوا فلان فقد اصطلح مع الله.

والتوبة أيها الأخوة:

علم وحال وعمل... فهي علمٌ لأن المذنب لا يتوب إلا إذا علم ضرر الذنب، وكيف أن الذنوب حجابٌ بينه وبين المحبوب، وهذا العلم يولد حالة نفسية، هي الشعور بالندم، على ما أقترف من الذنوب وعلى ما فاته من الخيرات، وهذه الحالة من الندم تولد إرادة وقصداً إلى فعل له تعلق بالحال، وبالماضي، وبالاستقبال.

كيف لا، أيها الأخوة ؟

والتائب يترك الذنب الذي كان متلبساً به في " الحال "، ويعزم بقلبه على ألا يعود إليه في " الاستقبال "، والتائب يسعى للإصلاح ما كان في " الماضي "، وقد لخص النبي عليه الصلاة والسلام هذه المراحل الثلاث بالندم، فقال فيما رواه الإمام أحمد في مسنده عن أنس ابن مالك: " الندم توبة ". حيث لا يخلو الندم، من علم أوجبه، ومن عمل أثمره.

أيها السادة الأعزاء، أيها الأخوة المشاهدون:

اللهم علمنا ما ينفعنا وأنفعنا بما علمتنا، وزدنا علما، وشكراً لإصغائكم، وإلى لقاء آخر، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

والحمد لله رب العالمين

الدرس(16-30) : حقيقة العبادة

بسم الله الرحمن الرحيم

الصيام عبادةٌ من عبادات الإسلام :

أعزائي المؤمنين أخوتي المشاهدين السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد :

فصيام رمضان عبادةٌ من عبادات الإسلام ، والعبادات أيها الأخوة لا تتضح حقيقتها ، إلا إذا ربطت بأصول الدين .

حقيقة الإنسان :

لماذا وجدتُ ؟!.

وما مهمتي في هذا الوجود ؟!.

وماذا بعد الموت ؟!.

سؤال كبير ! واجب على كل إنسانٍ أن يطرحه على نفسه ، وأن يفكر ملياً في الإجابة عنه .

فإن كل جهل مهما عظمت نتائجه قد يغتفر ، إلا إن يجهل الإنسان سر وجوده ، وغاية حياته ، ورسالة نوعه .

فعليه إن يعرف ، من أين ؟ وإلى أين ؟ ولماذا ؟ .

وأكبر عارٍ أيها الأخوة ؛ وأكبر عارٍ على هذا المخلوق الأول ، والمكرم (الإنسان) الذي أوتي العقل ، والإرادة ، إن يعيش غافلاً ، يأكل ، ويتمتع كما تأكل الأنعام ، لا يدري شيئاً عن حقيقة نفسه ، ولا عن طبيعة دوره في الحياة .

قال تعالى :

﴿ وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ ﴾

[سورة البقرة : 130]

ومعنى

﴿ مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ ﴾

أي ما عرف قدرها .

وليست قصة الإنسان أيها الأخوة . كما يتوهم الماديون . أرحاماً تدفع ، وأرضاً تبلع ، والإنسان بين صرخة الوضع، وأنة في النزع يعاني ما يعاني ، ولا خلود ولا جزاء ، يستوي في ذلك من أحسن غاية الإحسان ، ومن أساء كل الإساءة ، يستوي في ذلك من عاش عمره للناس على حساب شهواته ، ومن عاش عمره لشهواته على حساب الناس ، يستوي في ذلك من ضحى بحياته في سبيل الحق ، ومن اعتدى على حياة الآخرين في سبيل الباطل .

قال تعالى :

﴿ أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى * أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِنْ مَنِيٍّ يُمْنَى * ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّى * فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى * أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى ﴾

[سورة القيامة : من 36 إلى 40]

وقال تعالى :

﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثاً وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴾

[سورة المؤمنون : 115]

وفي آية أخرى :

﴿ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾

[سورة الجاثية : 21]

لماذا خلق الإنسان ؟

أيها الأخوة المشاهدون ؛ لقد خلق الله الإنسان ليكون خليفته في الأرض قال تعالى :

﴿ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾

[سورة البقرة : 30]

1- لمعرفة الله .

وأول شيءٍ في هذه الخلافة ، أن يعرف الإنسان ربه ، حق المعرفة .

قال تعالى :

﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْماً ﴾

[سورة الطلاق : 12]

2- ليعبده .

وثاني شيءٍ في هذه الخلافة ، أن يعبد الإنسان ربه حق العبادة قال تعالى :

﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾

[سورة الذاريات : 56]

فالماء للأرض ، والأرض للنبات ، والنبات للحيوان ، والحيوان للإنسان ، والإنسان لمن ؟ ..

الإنسان لله ، لمعرفة الله لعبادة الله ؛ ليسعد الإنسان بهذه المعرفة ، وتلك العبادة ، وذلك القرب لا ليعبد بشر ، ولا حجر ، ولا بقر ، ولا شجر ، ولا شمس ، ولا قمر ، ابن آدم اطلبني تجدني ، فإذا وجدتني وجدت كل شيء ، وإن فتك فاتك كل شيء ، وأنا أحب إليك من كل شيء .

يارب ماذا وجد من فقدك ؟ وماذا فقد من وجدك ؟ إذا كان الله معك فمن عليك ، وإذا الله عليك فمن معك .

إن معرفة الله موجوداً وواحداً وكاملاً نهاية العلم ..

وإن طاعة الله والتقرب إليه نهاية العمل ..

وهاتان الحقيقتان هن فحوى رسالات الأنبياء جميعاً ... قال تعالى :

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴾

[سورة الأنبياء : 25]

معرفة الألوهية والعبودية لله عز وجل فحوى رسالات الأنبياء جميعاً .

حقيقة العبادة .

أيها الأخوة المشاهدون ؛ العبادة هي غاية الخضوع مع غاية الحب .

فمن خضع ولم يحب لا يكون عابداً ..

ومن أحب ولم يخضع لا يكون عابداً ..

تعصي الإله وأنت تظهر حبه   ذاك لعمري في المقال شنيع

لو كان حبك صادقاً لأطعتــه   إن المحب لمن يحب مطيــع

الخضوع والحب هو ما فطر عليه الإنسان ، قال تعالى :

﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا ﴾

[سورة الروم : 30]

لذلك أيها الأخوة ؛ نلمح في العبادة أمرين أثنين :

الأول :

الالتزام بما شرعه الله عز وجل ، أمراً ونهياً وتحليلاً وتحريماً ، فليس عبداً لله ، ولا عابداً له ، من أستكبر عن إتباع منهجه ، واستكبر عن أن ينقاد لشرعه ، وإن أقر بأن الله خالقه ورازقه ، وإن دعاه في الكربات ، واستغاثه في الشدائد .

أساس الخضوع أيها الأخوة ؛ أساس الخضوع لله هو :

الشعور الواعي بوجود الله ووحدانيته وعلمه ومحاسبته ، وبأنه وحده يملك النفع والضر والخير والشر والحياة

والموت ، له الخلق والأمر ، ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن ، إليه يرجع الأمر كله فعبده وتوكل عليه ، والله يحكم لا معقب لحكمه ، ما من دابة إلا هو آخذ بناصيتها .

وكلما أزداد ذلك الشعور الواعي عمقاً ، وأتساعاً ، قوي الاتجاه إلى الله ، والاعتماد عليه ، والسعادة بقربه .

الثاني :

أيها الأخوة ؛ أن يصدر هذا الالتزام ، عن قلباً يحب الله تعالى ، فليس في الوجود من هو أجدر من الله ، بأن يحب ، فهو صاحب الفضل والإحسان ، خلق الإنسان ، ولم يكن شيئاً مذكورا ، وخلق له ما في الأرض جميعا ، وأسبغ عليه نعمه ظاهرة وباطنه ، خلق في أحسن تقويم ، وكرمه أعظم تكريم ، فضله على كثير من العالمين ، رزقه الطيبات ، ويسر له القربات ، استخلفه في الأرض ، ونفخ فيه من روحه ، وأسجد له ملائكته ، فمن عرف الله أحبه ، وبقدر درجته في المعرفة ، تكون درجته في المحبة ، ولهذا كان النبي ﷺ ، أشد الناس حباً لله ، لأنه كان أعرفهم بالله ، وكانت قرة عينه في الصلاة ، لأنها الصلة المباشرة بين قلبه وبين الله ، قال عليه الصلاة والسلام : أرجحكم عقلاً أشدكم لله حباً .

فالصيام أيها الأخوة ؛ عبادة ، ومن لوازم هذه العبادة ، الخضوع لأمر الله في كل ما أمر ، وأن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما .

اللهم أخرجنا من ظلمات الجهل والوهم ، إلى أنوار المعرفة والعلم ، ومن وحول الشهوات ، إلى جنات القربات ، واجعل صيامنا وقياماً ، خالصاً لك .

أيها الأخوة المشاهدون ؛ أشكر لكم إصغائكم وإلى لقاء آخر .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

والحمد لله رب العالمين

الدرس(17-30) : رحمة الله

بسم الله الرحمن الرحيم

الرحمة :

أخوتي المؤمنين أعزائي المشاهدين السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد :

فقد ورد في كتاب الترغيب والترهيب ، عن عبادة ابن الصامت رضي الله عنه ، أن رسول الله ﷺ قال :

((أتاكم رمضان ، شهر بركة ، يغشاكم الله فيه ، فينزل الرحمة ، ويحط الخطايا ، ويستجيب فيه الدعاء ، وينظر الله تعالى إلى تنافسكم فيه ويباهي بكم ملائكته ، فأروا الله من أنفسكم خيرا ، فإن الشقي من حرم فيه رحمة الله عز وجل))

[رواه الطبراني وقال رواته ثقات]

أيها الأخوة المشاهدون ؛ أن نصل إلى رحمة الله ، ونحظى بها ، هو سر وجودنا ، وغاية عبادتنا ، فرحمة الله مقصد كل مؤمن ، إليها تشتاق الأنفس ، وبها تطمئن القلوب ، قال تعالى :

﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ * إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ ﴾

[سورة هود : 118، 119]

بل إن رحمة الله تعالى هي محط الرحال ، ونهاية الآمال ، وغاية الغايات ، قال تعالى :

﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ﴾

[سورة آل عمران : 106]

ثم يقول الله عز وجل :

﴿ وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾

[سورة آل عمران : 107]

حقيقة الرحمة :

ولكن يا أخوة الإيمان ؛ ما حقيقة رحمة الله ؟..

إنها كروح في الجسد ، بها يقف ، وبها يتحرك ، وبها يفكر ، وبها يتكلم ، وبها يستمع ، يسعد بها الإنسان ، ولو فقد كل شيء ويشقى بفقدها ، ولو ملك كل شيء ، رحمة الله ليست ملك أحد فيمسكها أو يرسلها ، ولكنها في متناول كل واحد من البشر ، إذا هو دفع ثمنها .

قال تعالى :

﴿ مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾

[سورة فاطر : 2]

وقال تعالى :

﴿ إِنَّ رَحْمَةَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴾

[سورة الأعراف : 56]

مشاهدي الأعزاء ؛ ما من نعمة . يمسك الله معها رحمته . إلا وتنقلب بذاتها نقمة ، وما من محنة تحفها رحمة الله، إلا وتكون هي بذاتها نعمة ، ينام الإنسان على الشوك مع رحمة الله ، فإذا هو مهاد وثير ، وينام على الحرير، وقد أمسكت عنه رحمة الله ، فإذا هو شوك القتاد .

يعالج المرء أعسر الأمور برحمة الله ، فإذا هي هوادة ويسر ، ويعالج أيسر الأمور ، وقد تخلت عنه رحمة الله ، فإذا هي مشقة وعسر ويخوض المخاوف والأخطار ، ومعه رحمة الله ، فإذا هي أمنٌ وسلام ويعبر المناهج

والسبل ، وقد أمسكت عنه رحمة الله ، فإذا هي مهلكةٌ وبوار .

رحمة الله لا تعز على طالب كائناً من كان ، في أي زمان ومكان ، وفي أي حال ومآل .

وجدها إبراهيم عليه الصلاة والسلام في النار ..

ووجدها يوسف عليه الصلاة والسلام في الجب كما وجدها في السجن ..

ووجدها يونس عليه الصلاة والسلام في بطن الحوت في ظلمات ثلاث .

ووجدها موسى عليه الصلاة والسلام في اليم ، وهو طفلٌ مجرد من كل قوة وحراسة .

ووجدها أصحاب الكهف في الكهف حينما افتقدوها في الدور والقصور ، فقال بعضهم لبعض :

﴿ فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ ﴾

[سورة الكهف : 16]

ووجدها عليه الصلاة والسلام وصاحبه في الغار ، والأعداء يتعقبون ويقصون الآثار ..

ويجدها كل مؤمنٍ أوى إليه ، يائساً ممن سواها ، قاصداً باب الله وحده ، من دون كل الأبواب . أيها الأخوة الأحباب ...

يبسط الله الرزق مع رحمته ، فإذا هو متاع طيبٌ ورخاء ، وإذا هو رغد في الدنيا وزادٌ إلى الآخرة .

ويمسك رحمته ..

فإذا هو مثار قلق وخوف ، وإذا هو مثار حسد وبغض ، وقد يكون معه الحرمان ، ببخل أو مرض ، وقد يكون

معه التلف بإفراط واستهتار .

يمنح الله الذرية مع رحمته ، فإذا هي زينة الحياة الدنيا ومصدر فرح واستمتاع ، ومضاعفة للأجر في الآخرة بالخلف الصالح .

ويمسك رحمته ..

فإذا الذرية بلاءٌ ، ونكدٌ ، وعنتٌ ، وشقاءٌ ، وسهرٌ بالليل ، وتعب بالنهار .

يهب الله الصحة والعافية مع رحمته ، فإذا هي نعمة وحياة طيبة .

ويمسك رحمته ..

فإذا الصحة والعافية بلاءٌ يسلط الله على الصحيح المعافى ، فينفق الصحة والعافية ، فيما يحطم الجسم ويفسد الروح ، ويزخر السوء إلى يوم الحساب .

ويعطي الله الجاه والقوة مع رحمته ، فإذا هي أداة إصلاحٍ ومصدر أمنٍ ، ووسيلةٌ لادخار الطيب الصالح من العمل والأثر .

ويمسك رحمته ..

فإذا الجاه والقوة مصدرا قلق على فوته ، ومصدرا طغيان وبغيٍ ، ومصدرا حقدٍ وكراهية ، لا يقر لصاحبها قرار ، ويدخر بها للآخرة ، رصيداً ضخماً إلى النار .

كيف السبيل إلى رحمة الله ؟

أيها الأخوة المشاهدون ؛ بعد هذا الوصف الدقيق لآثار رحمة الله ، تطمح كل نفس إلى أن تنال من رحمة الله ما يسعدها في الدنيا والآخرة ، فتسأل النفس كيف السبيل إلى رحمة الله ؟ وهل في القرآن إشارات إلى موجباتها ؟.

1- التقوى .

نعم أيها الأخوة ؛ في القرآن إشارات كثيرة إلى موجبات الرحمة ، قال تعالى :

﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾

[سورة الحجرات : 10]

أي إذا اتقيت أيها الإنسان ألا تعصي الله عز وجل ، فقد حققت أحد موجبات رحمته .

2- الطاعة .

وقال تعالى :

﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾

[سورة آل عمران : 132]

أي إذا أتبعت المنهج الذي رسمه القرآن للإنسان وتفاصيله التي بينتها سنة النبي العدنان ، فقد حققت أحد موجبات الرحمة .

3- الصلاة .

وقال تعالى :

﴿ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾

[سورة النور : 56]

فالصلاة أيها الأخوة ؛ هي العبادة الشعائرية ، التي إن صحت بالتزام أمر الله والإحسان إلى خلقه ، تتعرض نفس صاحبها من خلالها لرحمة الله ، وكان عليه الصلاة والسلام ، إذا دخل المسجد ، يدعو ويقول : اللهم أفتح لي أبواب رحمتك .

4- قراءة القرآن .

وقال تعالى :

﴿ وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾

[سورة الأعراف : 204]

فإذا أردت أن تناجي ربك فادعه ، وإذا أردت أن يناجيك ربك فاقرأ القرآن ، ومن خلالها تجد رحمته .

5- الإحسان .

وقال تعالى :

﴿ إِنَّ رَحْمَةَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴾

[سورة الأعراف : 56]

فإذا أحسنت إلى الخلق كافة ، بكل أنواع الإحسان ، عندئذ تكون الرحمة قريبةً منك ، وفي الحديث القدسي :

((إذا أردتم رحمتي فارحموا خلقي))

اللهم يا من وسعت رحمتك كل شيء ، إنا نسألك موجبات رحمتك ، وعزائم مغفرتك ، اللهم علمنا ما ينفعنا ، وأنفعنا بما علمتنا وزدنا علما ، وشكراً لإصغائكم ، وكل عام وأنتم بخير .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

والحمد لله رب العالمين

الدرس(18-30) : تأملات في سورة العصر

بسم الله الرحمن الرحيم

أعزائي المشاهدين أخوتي المؤمنين السلام عليكم ورحمة الله وبركاته:

ورد في الحديث الشريف: أن رغم أنف عبدٍ . أي خاب وخسر . أدرك رمضان فلم يغفر له، إلا لم يغفر له فمتى ؟ لذلك ينبغي للمرءِ أن يخرج في رمضان، من ظلمات الجهل والوهم، إلى أنوار المعرفة والعلم، ومن وحُول الشهوات، إلى جنات القربات، ومن مدافعة التدني، إلى متابعة الترقي، فلعل هذا الإنسان، يرى الحقيقة الكبرى التي تتمحور حولها كل الحقائق، فينطلق إلى الهدف الكبير، الذي ينتظر كل الخلائق، فيهتدي ويهدي، ويسعد ويُسعد .

أيها الأخوة الكرام:

في القرآن الكريم سورة قصيرة، كان الرجلان من أصحاب رسول الله ﷺ، إذا التقيا لن يتفرقا حتى يتلو أحدهما على الآخر هذه السورة، وكان الإمام الشافعي رحمه الله تعالى يقول لو فكر الناس في هذه السورة لكفتهم .

هذه السورة:

ترسم حدود منهج كامل للحياة البشرية، كما يريدها خالق البشرية، فعلى امتداد الزمان في جميع العصور، وعلى امتداد المكان في جميع الدهور، ليس أمام الإنسان إلا منهجٌ واحدٌ رابح وطريق واحد سالك، إلى جنة الخلد، وكل ما وارء ذلك، ضياعٌ وخسارٌ وشقاء .

أيها الأخوة المشاهدون:

لعلكم تسألون ما هذه السورة ؟ إنها سورة العصر :

﴿ وَالْعَصْرِ (1) إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ (2)﴾

لقد أقسم الله ﷻ بمطلق الزمن، العصر للإنسان الذي هو في حقيقته، زمن، فهو بضعة أيام، كلما انقضى يوم انقضى بضع منه، وما من يوم ينشق فجره، إلا وينادي يا ابن آدم، أنا خلق جديد وعلى عملك شهيد، فتزود مني، فإني لا أعود إلى يوم القيامة .

لقد أقسم الله بالزمن، للإنسان، أنه في خسر بمعنى أن مضي الزمن وحده، يستهلك عمر الإنسان، الذي هو رأس ماله، ووعاء عمله الصالح، الذي هو ثمن الجنة التي وعد بها .

وهل الخسارة أيها الأخوة: في العرف التجاري، إلا تضيع رأس المال من دون تحقيق الربح المطلوب، لكن الإنسان إذا أستثمر الوقت فيما خلق، يستطيع أن يتلافى هذه الخسارة، وذلك بالإيمان والعمل الصالح، والتواصي بالحق والتواصي بالصبر .

قال تعالى:

﴿ وَالْعَصْرِ (1) إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ (2) إِلَّا الَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ (3)﴾

أولاً: الإيمان ..

الإيمان هو اتصال هذا الكائن الإنساني، الصغير، الضعيف الفاني، المحدود، بالأصل المطلق الأزلي الباقي، الذي صدر عنه هذا الوجود وعندئذٍ ينطلق هذا الإنسان من حدود ذاته الصغيرة، إلى راحبة الكون الكبير، ومن حدود قوته الهزلية، إلى عظمة الطاقات الكونية المخبوءة، ومن حدود عمره القصير، إلى امتداد الآباد التي لا يعلمها إلا الله، هذا الاتصال فضلاً على أنه يمنح الإنسان القوة، والامتداد والانطلاق، فإنه يمنحه السعادة الحقيقية التي يلهث ورائها الإنسان وهي سعادة رفيعة، وفرح نفيس، وأُنس بالحياة، كأنس الحبيب لحبيبه وهو

كسب لا يعدله كسب، وفقدانه خسران لا يعدله خسران، وعبادة إله واحد يرفع الإنسان عن العبودية لسواه، فلا يذل لأحد، ولا يحني رأسه لغير الواحد القهار، فليس هناك إلا قوة واحدة، ومعبودٌ واحد وعندئذ تنتفي من حياة الإنسان المصلحة، والهوى، ليحل محلها الشريعة والعدل .

والاعتقاد بكرامة الإنسان أيها الأخوة:

وهو من لوازم الإيمان، الاعتقاد بكرامة الإنسان على الله يرفع من قيمته في نظر نفسه، ويثير في نفسه الحياء، من التدني عن المرتبة التي رفعه الله إليها .

ثانياً:

" وعملوا الصالحات "، ولأن الإيمان حقيقة إيجابية متحركة كان العمل الصالح هو الثمرة الطبيعية للإيمان، فما إن تستقر حقيقة الإيمان في ضمير المؤمن حتى تسعى بذاتها إلى تحقيق ذاتها، في صورة عمل صالح، فلا يمكن أن يظل الإيمان في نفس المؤمن خامداً لا يتحرك، كاماً لا يتبدى، فإن لم يتحرك الإيمان هذه الحركة الطبيعية فهو مزيف، أو ميت، شأنه شأن الزهرة ينبعث أريجها منها انبعاثاً طبيعياً، فإن لم ينبعث منها أريج فهو غير موجود .

والعمل الصالح أيها الأخوة:

ليس فلتةً عارضة، ولا نزوةً طارئة، ولا حادثةً منقطعة، إنما ينبعث عن دوافع، ويتجه إلى هدف، ويتعاون عليه المؤمنون .

فالإيمان ليس انكماشاً، ولا سلبيةً، ولا انزواءً، ولا تقوقعاً بل هو حركةٌ خيرةٌ، نظيفة، وعمل إيجابي، هادف، وإعمار متوازنٌ للأرض، وبناء شامخ للأجيال، يتجه إلى الله، ويليق بمنهج يصدر عن الله .

ثالثاً:

" وتواصوا بالحق "، ولأن النهوض بالحق عسير، والمعوقات كثيرة، والصوارف عديدة، فهناك هوى النفس، ومنطق المصلحة وظروف البيئة، وضغوط العمل، والتقاليد، والعادات، والحرص والطمع، عندئذٍ يأتي " التواصي بالحق "، ليكون مذكراً، ومشجعاً ومحصناً للمؤمن الذي يجد أخاه معه يوصيه، ويشجعه، ويقف معه ويحرص على سلامته، وسعادته، ولا يخذله، ولا يسلبه، وفضلاً عن ذلك، فإن " التواصي بالحق " ينقي الاتجاهات الفردية ويوقيها فالحق لا يستقر، ولا يستمر إلا في مجتمع مؤمن، متواص، متعاونٍ متكافل، متضامن فالمرء بالإيمان، والعمل الصالح يكمل نفسه، وبالتواصي بالحق يكمل غيره، وبما أن كيان الأمة مبني على الدين الحق الذي جاءنا بالنقل الصحيح، وأكده العقل، وأقره الواقع، وتطابق مع الفطرة، فلابد من أن يستمر هذا الحق ويستقر، حتى تشعر الأمة بكيانها، ورسالتها، فالتواصي بالحق، قضية مصيرية فما لم تتنامى دوائر الحق في الأرض، تنامت دوائر الباطل وحاصرته فالتواصي بالحق، يعني الحفاظ على وجوده، والأداء لرسالته .

رابعاً:

" وتواصوا بالصبر "، وقد شاءت حكمة الله ﷻ أن تكون الدنيا دار ابتلاء بالشر والخير، ودار صراع بين الحق والباطل لذلك كان التواصي بالصبر ضرورةً للفوز بالابتلاء، والغلبة في الصراع .

إذاً:

لابد من التواصي بالصبر، على مغالبة هوى النفس وعناد الباطل، وتحمل الأذى، وتكبد المشقة، لذلك يعد الصبر وسيلةً فعالةً لتذليل العقبات، ومضاعفة القدرات، وبلوغ الغايات، إن تكونوا تألمون، فإنهم يألمون كما تألمون وترجون من الله مالا يرجون .

أيها الأخوة المشاهدون: أرجو أن تكونوا قد أفتم من هذه السورة، وشكراً لإصغائكم، وإلى لقاء آخر، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

والحمد لله رب العالمين

الدرس(19-30) : جهاز المناعة المكتسب

بسم الله الرحمن الرحيم

أعزائي المشاهدين أخوتي المؤمنين السلام عليكم ورحمة الله وبركاته:

في سورةِ التين في القرآن الكريم، آية جاءت جواب لقسم قال تعالى:

﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ (4) ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ (5) إِلَّا الَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ (6)﴾

أيها الأخوة الكرام:

مع أن الله ﷻ، أتقن كل شيء صنعه، وأحسن كل شيء خلقه، وأنك.

﴿ مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَاوُتٍ﴾

(سورة الملك: 3)

من حيث كمال الخلق، فقد خص الله الإنسان في هذه الآية وفي آيات أخرى بحسن التركيب:

﴿ فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ (8)﴾

(سورة الإنفطار: 8)

وبحسن التقويم:

﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ (4)﴾

وبحسن التعديل:

﴿ الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ (7)﴾

(سورة الإنفطار: 7)

وهذا يا أيها الأخوة الكرام:

فضل عناية بهذا المخلوق، فضل عناية بهذا المخلوق الأول والمخلوق المكرم، وإشارة إلى أن لهذا الإنسان شأناً عند الله ﷻ، وأن له وزناً في نظام الكون.

فهذا الإنسان الذي هو أعقد آلة في الكون، ففي خلاياه وأنسجته، وفي أعضائه، وأجهزته، من التعقيد، والدقة، والإتقان ما يعجز عن فهم بنيتها وطريقة عملها أعلم العلماء.

في هذا الإنسان نفس تعترج فيها المشاعر والعواطف وتصطرع فيها الشهوات والقيم، والحجات، والمبادئ، بحيث يعجز عن إدراك خصائصها أعلم علماء النفس.

وفي هذا الإنسان عقل، فيه من المبادئ والمسلمات والقوى الإدراكية، والتحليلية، والإبداعية، ما أهله ليكون سيد المخلوقات.

﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آَدَمَ﴾

(سورة الإسراء: 70)

ومما يبين، ويوضح أن خلق الإنسان في أحسن تقويم، جهاز المناعة المكتسب، أو خط الدفاع الثالث في جسم الإنسان.

أيها الأخوة المشاهدون:

لقد خص المولى جل وعلا، الإنسان بأجهزة دفاع بالغة الدقة أول هذه الأجهزة، الجلد، وهو درع سابغة على البدن، ترد عنه الجراثيم، والأوبئة، وهو خط الدفاع الأول، وخص المولى جل وعلا كل عضو في الإنسان، وكل جهاز، وكل حاسة، بجهاز دفاع خاص به.

فاللعين مثلاً الأهداب، والأجفان، والدمع، وهذه الأجهزة الخاصة هي خط الدفاع الثاني.

وأما خط الدفاع الثالث: فهو الدم بجنوده من الكريات البيضاء وعدد هذه الكريات ؛ التي هي جنود خط الدفاع الثالث، خمسة وعشرون مليون كرية، في أيام السلم، ويتضاعف هذا العدد، في حال الإستنفار، وقد يصل إلى مئات الملايين، في حال القتال، في فترة لا تتجاوز الساعات، أو الأيام، ولهذه الجيوش الجرارة، من الكريات البيضاء سلاح إشارة مؤلف من بضع مواد كيماوية يعد وسيلة الاتصال، والتفاهم فيما بينها.

أما خطة جهاز المناعة، في الدفاع عن الجسم، فهي من الدقة والتنسيق والفعالية، بحيث يصعب تصديقها، ذكية جداً، خلايا الدم البيضاء، كما يقول بعض العلماء، إن في نظام عملها، أو في توزيع الأدوار القتالية على أفرادها، أو في تحقيق المهمات المنوطة به، فبعد ثوان معدودة، من اجتياز أي جسم غريب، لخطوط الدفاع الأولى والثانية، تتوجه إلى الجسم الغريب، كرايات مهمتها، أخذ الشفرة الكيماوية الخاصة بهذا العدو، والاحتفاظ بها، ثم نقلها، إلى المراكز الليمفاوية، حيث تقوم الخلايا المحصنة بتفكيك رموز الشفرة، تمهيد لصنع المصل المضاد.

﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ (4)﴾

وبعد صنع المصل المضاد، تتوجه الخلايا المقاتلة حاملة هذا السلاح، وهو المصل لتهاجم به الجسم الغريب، وبعد أن تصرعه بهذا السلاح الفعال تأتي الخلايا اللاقمة، لتنظيف ساحة المعركة من بقايا جثث الأعداء خلايا مستطلعة، تأخذ الشفرة، وتنقلها إلى المراكز وخلايا مصنعة تفكك رموز هذه الشفرة، وتصنع السلاح الفعال وخلايا مقاتلة تحمل السلاح وتهاجم العدو، وخلايا منظفة، تلتقم الجثث وبقايا المعركة ليعود الدم كما كان نقياً سليما، وهذه الكريه البيضاء التي هي العنصر الأساسي، في جهاز المناعة، لا يزيد قطرها عن خمسة عشر ميكروناً.

﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ (4)﴾

أما قوله تعالى:

﴿ ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ (5)﴾

فحينما ينحرف الإنسان عن منهج ربه، ويستجيب لنداء غريزته من دون ضابط من شرع، أو رادعٍ من فطرة، أو زاجر من عقل حينما ينحرف الإنسان يبطل عمل هذا الجهاز، ويموت الإنسان لأدنى مرض، وما مرض نقص المناعة المكتسب، الذي يهدد العالم المتفلت إلا تأكيد لهذه الحقيقة.

﴿ ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ (5)﴾

أيها الأخوة المشاهدون:

ربما كان تركيز الآيات على الجانب الروحي من الإنسان، فهو مهيأ إذا عرف ربه، وسار على منهجه، وتقرب إليه بالعمل الصالح إن يبلغ من الرفعة ما يفوق الملائكة المقربين، لقد خلقنا الإنسان في أحس تقويم، أما إذا أعرض الإنسان عن ربه، وتفلت من منهجه وأساء إلى خلقه، هوى إلى دركات لا يصل إليه مخلوق قط.

﴿ ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ (5)﴾

حيث تصبح البهائم، أرفع منه وأقوم لاستقامتها على فطرتها وتسبيحها لربها، وحسن أدائها لوظيفتها.

يقول الإمام علي كرم الله وجه: ركب الملك من عقل بلا شهوة، وركب الحيوان من شهوة بلا عقل، وركب الإنسان من كليهما فإن سما عقله على شهوته، أصبح فوق الملائكة، وإن سمت شهوته على عقله، أصبح دون الحيوان.

أيها الأخوة المشاهدون: أرجو أن تكونوا قد أفدتم من هذه الحقائق، وإلى لقاء آخر، إن شاء الله تعالى، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

والحمد لله رب العالمين

الدرس(20-30) : التوحيد

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

التوحيد .

أعزائي المشاهدين أخوتي المؤمنين ؛ السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، تلك العقيدة التي هي لب الإسلام ، بل هي محور رسالات السماء .

الوحدانية .

قال تعالى :

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴾

[سورة الأنبياء : 25]

إله واحد ، خالق كل شيء ، ورب كل شيء ، له الخلق والأمر ، وإليه المصير ، في السماء إله ، وفي الأرض إله .

﴿ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ ﴾

[سورة هود : 107]

﴿ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ ﴾

[سورة هود : 123]

هو وحده الجدير ، أن يعبد فلا يجحد ، وأن يشكر فلا يكفر ، وأن يطاع فلا يعصى .

روى الشيخان البخاري ومسلم : عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال : كنت رديف النبي صلى الله عليه وسلم فقال لي :

((يا معاذ ما حق الله على العباد ؟ وما حق العباد على الله ؟))

قلت الله ورسوله أعلم .

قال عليه الصلاة والسلام :

((حق الله على العباد أن يعبدوه))

لأن العبادة هي علة وجودهم ، قال تعالى :

﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾

[سورة الذاريات : 56]

حق الله على العباد ، أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً .

وحق العباد على الله ، أن لا يعذب من لا يشرك به شيئاً .

لوازم التوحيد :

أيها الأخوة المشاهدون :

تحدثت عن تعريف التوحيد ، وها أنا ذا أنتقل إلى لوازم التوحيد ، من لوازم التوحيد :

1- ألا يتخذ ربا سواه :

أن لا يتخذ الإنسان من دون الله رباً يعظمه كما يعظم الله ، قال تعالى :

﴿ قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِي رَبّاً وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ ﴾

[سورة الأنعام : 164]

فلو اعتقد أن جهة غير الله ، يمكن أن تعطي ، أو أن تمنع يمكن أن تخفض ، أو أن ترفع ، يمكن أن تعز أو تذل ، مستقلة عن إرادة الله فقد أشرك .

﴿ قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾

[سورة آل عمران : 26]

2- ألا يتخذ وليا سواه :

أيها الأخوة الأكارم ؛ ومن لوازم التوحيد أيضاً ، أن لا يتخذ الإنسان من دون الله ولياً ، يحبه كحب الله ، قال تعالى :

﴿ قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيّاً فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾

[سورة الأنعام : 14]

﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ * نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآَخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ * نُزُلاً مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ ﴾

[سورة فصلت : 30 . 31 . 32]

3- ألا يتخذ حكما سواه :

أيها الأخوة الأكارم ؛ ومن لوازم التوحيد أيضا ، أن لا يتخذ الإنسان غير الله حكما ، يطيعه كما يطيع الله .

﴿ أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي حَكَماً وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلاً ﴾

[سورة الأنعام : 114]

﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْراً أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ﴾

[سورة الأحزاب : 36]

من لوازم التوحيد ألا تتخذ حكماً إلا الله

ثمار التوحيد :

أيها الأخوة المشاهدون ؛ من ثمار التوحيد اليانعة :

1- أن التوحيد هو في الواقع تحرير للإنسان من كل عبودية ، إلا لربه الواحد الديان ، الذي خلقه فسواه وكرمه .

2- التوحيد تحرير لعقله من الخرافات والأوهام .

3- التوحيد تحرير لضميره من الخضوع والذل والاستسلام .

4- التوحيد تحرير لحياته من تسلط الأرباب والمتألهين .

ومن ثمار التوحيد اليانعة أيضاً :

5- أن التوحيد يعين على تكوين الشخصية المتزنة التي توضحت في الحياة وجهتها وتوحدت غايتها وتحدد طريقها ، فليس لها إلا إله واحد ، تتجه إليه في الخلوة ، والجلوة ، وتدعوه في السراء والضراء ، وتعمل على ما يرضيه ، في الصغيرة والكبيرة ، ففي القرآن :

﴿ يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴾

[سورة يوسف : 39]

وفي آية أخرى :

﴿ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً رَجُلاً فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلاً سَلَماً لِرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلاً الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾

[سورة الزمر : 29]

ومن ثمار التوحيد أيضاً :

6- أن التوحيد يملئ نفس صاحبه أمناً وطمأنينة فلا تسترد بها المخاوف التي تتسلط على أهل الشرك ، فقد سد الموحد منافذ الخوف التي يفتحها الناس على أنفسهم ، الخوف على الرزق ، والخوف على الأجل ، والخوف على النفس ، والخوف على الأهل والأولاد ، والخوف من الإنس ، والخوف من الجن ، والخوف من الموت ، والخوف من ما بعد الموت .

أما المؤمن الصادق ، الموحد فلا يخاف إلا الله ، ولا يخشى إلا الله ، ولهذا تراه أمناً إذا خاف الناس ، مطمئناً إذا قلق الناس هادئاً إذا اضطرب الناس .

﴿ فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ * الَّذِينَ آَمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ ﴾

[سورة الأنعام : 81 . 82]

وقال تعالى :

﴿ فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهاً آَخَرَ فَتَكُونَ مِنَ الْمُعَذَّبِينَ ﴾

[سورة الشعراء : 213]

يا أيها الأخوة الأكارم ؛ من ثمار التوحيد اليانعة أيضاً :

7- أن التوحيد مصدر لقوة النفس إذ يمنح التوحيد صاحبه ، قوة نفسيةً هائلة ، حيث تمتلئ نفسه من الرجاء بالله تعالى ، والثقة به ، والتوكل عليه ، والرضى بقضائه ، والصبر على بلائه ، والاستغناء به عن خلقه ، فهو راسخ كالجبل ، لا تزحزحه الحوادث ، ولا تزعزعه الكوارث .

التوحيد يملأ النفس أمناً وطمأنينة

قال تعالى :

﴿ وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾

[سورة يونس : 107]

﴿ فَكِيدُونِي جَمِيعاً ثُمَّ لَا تُنْظِرُونِ * إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آَخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾

[سورة هود : 55]

ومن ثمار التوحيد أيضاً :

8- أن التوحيد أساس الأخوة الإنسانية والمساواة البشرية ؛ لأن الأخوة والمساواة ، لا تتحققان في حياة الناس إذا كان بعضهم أرباباً لبعض ، أما إن كان الناس جميعاً عباداً لله ، والله فوق الخلق فيها وحده ، هو الخالق ، المربي ، المسير ، الرازق هو الحكم ، إليه المصير ، عندئذٍ تتحقق المساواة بين الناس ، ويأتلف بعضهم بعضاً .
وهذه بعض ثمار التوحيد ، وقد قيل :

ما تعلمت العبيد أفضل من التوحيد .

وقيل أيضاً :

نهاية العلم التوحيد ، ونهاية العمل التقوى .

أيها الأخوة الأكارم ؛ أرجو أن تكونوا قد أفتم من موضوع التوحيد ، وشكرا لإصغائكم ، وإلى لقاء آخر إن شاء الله تعالى .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

والحمد لله رب العالمين

الدرس(21-30) : القدوة الحسنة في الدعوة إلى الله

بسم الله الرحمن الرحيم

أعزائي المشاهدين ، إخوتي المؤمنين ،السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

لقد دعا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله إلى الله ، وتلا على قومه آيات الله ، وعلمهم الكتاب والحكمة ، وزكى الذين آمنوا به وساروا على نهجه حتى صاروا أبطالاً ، رهباناً في الليل ، فرساناً في النهار ، يقومون الليل إلا قليلاً ، ينفقون أموالهم سراً وعلانية ، يدرؤون بالحسنة السيئة ، في صلاتهم خاشعون ، عن اللغو معرضون للزكاة فاعلون ، لفروجهم حافظون ، لأماناتهم وعهدهم راعون ، يمشون على الأرض هوناً ، وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً ، يبيتون لربهم سجداً وقياماً ، هم تائبون ، عابدون ، حامدون ، سائحون راكعون ، ساجدون، آمرون بالمعروف ، ناهون عن المنكر ، حافظون لحدود الله ، يجاهدون في سبيل الله ، لا يخافون لومة لائم ، إذا قال لهم الناس : إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم ، زادهم إيماناً ، وقالوا حسبنا الله ، ونعم الوكيل هم رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه ، فمنهم من قضى نحبه ، ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا ، يبلغون رسالات الله ، ويخشونه ، ولا يخشون أحداً إلا الله ، يؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ، إذا ذكر الله وجلت قلوبهم ، وإذا تُليت عليهم آياته زادتهم إيماناً ، وعلى ربهم يتوكلون ، ما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله ، وما ضعفوا ، وما استكانوا ، والله يحب الصابرين ، كانوا قوامين لله شهداء بالقسط ، أذلةً على المؤمنين ، أعزةً على الكافرين ، أحبوا الله وأحبهم ، ورضي عنهم، ورضوا عنه .

نحن إذ نحدد ملامح شخصية أصحابه ، والتي هي ثمرة من ثمار دعوته ، صلى الله عليه، وعلى آله ؛ نقف عند الجانب التربوي في دعوته ، ونستنبط بعض القواعد من أقواله، ومن أفعاله ، ومن إقراره ، هذه القواعد التي يمكن أن تكون منارات للدعاة إلى الله من بعده ، يهتدون بها .

المسلمون من دون دعاة إلى الله جُهَّال تتخطفهم شياطين الإنس والجن ، من كل حدب وصوب ، وتعصف بهم الضلالات من كل جانب لذلك كان الدعاة إلى الله مصابيح الدجى ، وأئمة الهدى ، وحجة الله في أرضه ، بهم تُمحق الضلالات وتنقشع الغشاوات ، هم ركيزة الإيمان وغيظ الشيطان ، وهم قوام الأمة ، وعماد الدين ، هم أمناء على دين الله يدعون الناس إلى الله بلسان صادق ، وجنان ثابت ، وخلق كريم فأعمالهم تؤكد أقوالهم ، لذا فهم أسوة ونبراس يصلحون ما فسد ويقومِّمون ما اعوجَّ ، لا يستخفون من الناس ولا يخشون أحداً إلا الله ولا يقولون إلا حسناً .

ولن يفلح الدعاة إلى الله في دعوتهم ، إلا إذا اتبعوا النبي ﷺ الذي عصمه الله عن الخطأ في الأقوال ، والأفعال والأحوال وأوحى إليه وحياً متلواً وغير متلو ، وألزمنا أن نأخذ منه كل ما أمرنا به ، وأن ندع كل ما نهانا عنه ، وأن نتأسى بمواقفه وسيرته ، لأنه القدوة ، والأسوة الحسنة والمثل الأعلى فمن القواعد المستنبطة من دعوته صلى الله عليه وسلم :

القاعدة الأولى : القدوة قبل الدعوة ..

كان ﷺ عابداً متحنثاً ، وقائداً فذاً ، شيَّد أمَّةً من الفُتات المتناثر ، ورجل حرب يضع الخطط ويقود الجيوش وأباً عطوفاً وزوجاً تحققت فيه المودة والرحمة والسكن وصديقاً حميماً وقريباً كريماً وجاراً تشغله هموم جيرانه ، وحاكماً تملأ نفسه مشاعر محكوميه يمنحهم من مودته وعطفه ما يجعلهم يفتدونه بأنفسهم ، ومع هذا كله فهو قائم على أعظم دعوة شهدتها الأرض ، الدعوة التي حققت للإنسان وجوده الكامل ، وتغلغلت في كيانه كله ورأى الناس الرسول الكريم ﷺ تتمثل فيه هذه الصفات الكريمة كلها فصدقوا تلك المبادئ التي جاء بها كلها ورأوها متمثلة فيه ولم يقرؤوها في كتاب جامد بل رأوها في بشر متحرك فتحركت لها نفوسهم ، وهفت لها مشاعرهم وحاولوا أن يقتبسوا قبسات من الرسول الكريم ، كلٍّ بقدر ما يُطيق فكان أكبر قدوة للبشرية في تاريخها الطويل وكان هادياً ومربياً بسلوكه الشخصي ، قبل أن يكون بالكلم الطيب الذي ينطق به .

ولأن القدوة هي اعظم وسائل التربية ذلك لأن دعوة المترف إلى التقشف دعوة ساقطة ، ودعوة الكذوب إلى الصدق دعوة مضحكة ودعوة المنحرف إلى الاستقامة دعوة مخجلة ، لذلك كانت مواقف النبي صلى الله عليه وسلم وشمائله وفضائله ومكارمه قدوةً صالحة وأسوة حسنة ومثلاً يُحتذى وهي ليست للإعجاب السلبي ، ولا للتأمل التجريدي ن ولكنها وُجدت فيه لنحققها في ذوات أنفسنا ، كل بقدر ما يستطيع .

وقد ورد في وصية رسول الله ﷺ لسيدنا معاذ أن " يا معاذ أوصيك بتقوى الله وصدق الحديث والوفاء بالعهد وأداء الأمانة وترك الخيانة وحفظ الجار ، ورحمة اليتيم ولين الكلام ، وبذل السلام وحسن العمل وقصر الأمل ، ولزوم الإيمان والتفقه في القرآن ، وحب الآخرة والجزع من الحساب ، وخفض الجناح ، وأنهاك أن تَسُبَّ حكيماً أو تكذب صادقاً أو تُطيع آثماً ، أو تعصي إماماً عادلاً أو تُفسد أرضاً .. وأوصيك ؛ باتقاء الله عند كل حجر وشجر ومدر ، وأن تُحدث لكل ذنب توبة ، السر بالسر والعلانية بالعلانية " .

[أخرجه البيهقي في كتاب الزهد]

يستطيع الإنسان أن يكون عالماً جهبذاً في الطب أو العلوم أو الهندسة من دون أن تتطلب هذه العلوم ممن يتعلمها قيداً سلوكياً ، ولا يُفسد حقائقها أن يتبع النابغ فيها هوى نفسه ، في حياته الخاصة ، إلا علم الدين ، فإنك إن كنت من المتدينين المخلصين ، أو من علمائه أو الداعين إليه ، فلا بد من أن تكون قدوة حسنة لمن تدعوهم إليه ، وإلا ما استمع إليك أحد ، ولو كنت أكثر الناس اطلاعاً وعلماً في دين الله ، ولن ينظر إليك أحد نظرة احترام جديرة بك ، إلا إذا كان سلوكك وفقاً لقواعد الدين .

قال ملك عمان وقد التقى النبي ﷺ : والله ما دلني على هذا النبي الأمي، إلا أنه لا يأمر بخير إلا كان أول آخذ به ، ولا ينهى عن شيء إلا كان أول تارك له ، وأنه يغلب فلا يبطر ، ويُغلب فلا يضجر ، ويفي بالعهد وينجز الوعد .

قال أحد كُتاب السيرة الغربيين الذين أسلموا :

" كان محمد ملكاً وسياسياً ومحارباً وقائداً ومشرّعاً وقاضياً ، وفاتحاً ومهاجراً ، مارس بالفعل جميع المبادئ التي كان يلقنها للناس ، ولن تجد في القرآن حُكماً أو أمراً لم يعمل به النبي ﷺ ، إذا كان يمارس بالفعل كل ما كان يدعو إليه بالقول ، فالمرء مثلاً لن يكون عفواً ، إلا أن يكون له عدو يلقى منه أشد الإساءة ثم تدور الدائرة على هذا العدو فيقع في قبضته ، ويصبح تحت رحمته ، ثم يملك القدرة على الانتقام منه ، ثم يعفو عنه .. ثم يقول الكاتب : " تأمل دخول النبي ﷺ مكة دخول الظافر المنتصر ، وقد خرَّت جزيرة العرب صريعة تحت قدميه ، وأصبحت مكة قلعة العدو تحت رحمته ، فلو شاء لقطع رؤوس القوم ، الذين كانوا بالأمس ألد أعدائه ، الذين اتخذوه هزواً ، وأمعنوا في اضطهاده والاستخفاف به ، ولو أنه عاقبهم بذنبهم لكان مُحقاً ، ولم يكن ملوماً ، ولم تظهر فضيلة العفو قط بصورتها الكاملة في تاريخ أي دين من الأديان حتى جاء النبي ﷺ ولولاه لظلت هذه الفضيلة معطلة إلى الأبد " .

والحمد لله رب العالمين

الدرس(22-30) : فوائد التمر

بسم الله الرحمن الرحيم

أعزائي المشاهدين ، أخوتي المؤمنين:

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد.

في رمضان: كان عليه الصلاة والسلام يفطر على تمرات قبل أن يصلي فإن لم تكن تمرات ، حسا حسواتٍ من الماء. رواه الأمام أحمد ، وأبو داوود والترمذي في صحيح الجامع الصغير.

وعن سلمان بن عامر رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ ، أنه قال: إذا أفطر أحدكم فليفطر على تمرٍ فإنه بركة فإن لم يجد تمراً فالماء طهور. أخرجه الترمذي ، وأبو داوود في صحيح الجامع الصغير.

التمر أيها الأخوة ؛ الذي يتناوله الصائم مع الماء ، فيه خمس وسبعون بالمائة من جزئه المأكول مواد سكرية أحادية ، سهلة الهضم سريعة........ إلى درجة أن السكر الذي فيها ينتقل من الفم إلى الدم في أقل من عشر دقائق ، وفي الحال يتنبه مركز الإحساس بالشبع في الجملة العصبية فيشعر الصائم بالاكتفاء فإذا أقبل بعدها على الطعام أقبل عليه باعتدال وكأنه في أيام الإفطار.

بينما المواد الدسمة إذا بدأ بها الصائم ، يستغرق هضمها وامتصاصها أكثر من ثلاث ساعات ، فمهما أكثر الصائم من الطعام الدسم لا يشعر بالشبع ولكن يشعر بالامتلاء.

لذلك كان عليه الصلاة والسلام من سنته العملية أنه يفطر على تمرات ثم يصلي المغرب، ثم بعدها يجلس إلى الطعام ، ومن لم يطبق سنة النبي ﷺ في إفطاره فاته خير كثير من صيامه صحياً ، ونفسياً ، ودينياً.

أخوتنا المشاهدين:

تتركب التمور من السكريات الأحادية ، وهذا النوع من السكر هو أسرع السكاكر على الإطلاق امتصاصاً في جسم الإنسان ، ففي عشر دقائق كما قلنا ينتقل سكر التمر من الفم إلى الدم.

وتتركب التمور أيضاً: من الألياف السللوزية ، التي لها أثار مدهشة في عملية الهضم ، وفي امتصاص الشحوم، وفي وقاية الأمعاء من الأمراض الوبيلة.

وتتركب التمور أيضاً: من المواد البروتينية المرممة للأنسجة ومن نسب ضئيلة من الهون ، ويحتوي التمر ، ودققوا في هذه الحقائق ويحتوي التمر على خمسة أنواع من الفتامينات الأساسية التي يحتاجها الجسم. كما يحتوي التمر: على ثمانية معادن أساسية لبناء الجسم ومائة غرام من التمر فيها من نصف إلى خمس حاجة الجسم من المعادن يومياً.

ويحتوي التمر أيضاً: على اثني عشر حمضاً أمينياً ، وفي التمر مواد ملينة ومهدئة.

أيها الأخوة الكرام:

هناك خمسون مرضاً يسببها الإمساك ، والتمر يقي الإنسان من الإمساك بل إن له آثار إيجابية في الوقاية من فقر الدم ، ومن ارتفاع الضغط ، بل ويعين على التئام الكسور ، وهو ملين ، ومهدئ ، وقد أثبت الأبحاث أن التمر لا يتلوث بالجراثيم إطلاقاً لآن شدة تركيز السكر العالي فيه يمتص ماء الجرثوم.

هذا التوجيه النبوي الكريم من دلائل نبوة النبي ﷺ.

أعزائنا المشاهدين:

ومن دلائل النبوة ﷺ ، أنه أمرنا عند ذبح الحيوان الذي نعده لطعامنا أمرنا أن نقطع أوداجه ؛ أي شرايين رأسه فقط ، من دون أن نقطع رأسه ، وليس في عصر النبي ﷺ لا في الجزيرة العربية ، ولا في مراكز الحضارات شرقاً وغرباً من معطيات العلم ما يسمح بتعليل هذا التوجيه بل ولا في العصور التي تلت عصره ﷺ ، إلى أن

اكتشف أخيراً أن القلب ينبض بتنبيه ذاتي يأتيه من القلب ، لا يأتيه من المخ ، بل من القلب نفسه من مركز كهربائي ، وهناك مركزان كهربائيان إحتياطيان لهذا المركز يعملان عند تعطله ، ولكن هذا التنبيه الذاتي الذي يأتي القلب من القلب إنه يعطي النبض الطبيعي ، يعني ثمانين نبضة بالدقيقة مثلاً ، أما حينما يواجه الكائن خطراً ويحتاج إلى مائة وثمانين نبضة في الدقيقة ليسرع الدم في الأوعية لابد عندئذٍ من أن يأتي هذا الأمر الاستثنائي من الجملة العصبية ، وعلى رأسها الدماغ أن يكون هذا الأمر كهربائياً ، ومن الكظر بأمر من الدماغ هرمونياً.

أيها الأخوة:

إن القلب ينبض إذا جاءه أمر استثنائي مائة وثمانين نبضة في الدقيقة ، والمعلوم أن مهمة القلب عند ذبح الحيوان هي إخراج الدم كله من جسم الدابة ، والنبض الطبيعي لا يكفي لإخراج الدم من جسم الذبيحة ، فإذا قطع رأس الذبيحة حرم القلب من التنبيه الاستثنائي الكهربائي ، والهرموني ، عندئذٍ يبقى دم الدابة فيها ، ولا يخفى ما في ذلك من أذى يصيب آكلي هذه الذبيحة ، فالدم طاهر في أثناء حياة الدابة أما إذا ماتت يصبح الدم نجساً ، وخطراً على صحة الإنسان ، فالدم في أثناء حياة الدابة يصفى عن طريق الرئتين ، والكليتين ، و التعرق أما بعد ذبح الدابة يصبح الدم بيئةً صالحةً لنمو الجراثيم الفتاكة.

ونشير هنا إلى أن اللحم غير المزكى ؛ أي الذي لم يخرج منه دمه محرمٌ أكله.

أيها الأخوة الكرام:

ومن دلائل نبوة النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال: لكل داء دواء ، فإذا أصيب داء الدواء برء بإذن الله. أخرجه مسلم في صحيحه.

وفي هذا الحديث معانٍ عظيمة ، فقوله ﷺ لكل داء دواء يرفع روح المريض المعنوية ، وحالته النفسية التي تساعد كثيراً على شفائه من مرضه ، وفي هذا الحديث الشريف تشجيع للعلماء والباحثين ، على الاجتهاد والبحث

عن دواء لكل داء لم يكتشف له علاج ، وفي هذا الحديث الشريف تنبيه على دقة التشخيص وصولاً لاختيار العلاج المناسب.

قوله ﷺ: فإذا أصيب داء الدواء.

ففي قوله إشارة إلى ضرورة دقة التشخيص للمرض ، وإشارة إلى ضرورة حسن اختيار الدواء المناسب لهذا المرض ، من حيث النوع و الكم وتقصي أقل الأعراض الجانبية حدوثاً.

لكن البرءة في النهاية لا يكون حتماً عند الإصابة في التشخيص والإصابة في اختيار الدواء المناسب بالكمية المناسبة ، وفي الوقت المناسب هذه كلها شروط لازمة ولكنها غير كافية لا بد من أن يسمح الله للدواء أن يفعل فعله في العامل الممرض شفاءاً أو تخفيفاً.

لذلك قال عليه الصلاة والسلام: برىء بإذن الله.

إذاً مما يكمل الأخذ بالأسباب التوجه إلى الله بالدعاء لأنه مسبب الأسباب لذلك ورد عن النبي ﷺ أنه قال داووا مرضاكم بالصدقات ، فصدقت السر تطفئ غضب الرب وباكروا بالصدقة فإن البلاء لا يتخطاها. أيها الأخوة المشاهدون:

أرجو أن الله سبحانه وتعالى أن تكونوا قد أفتم من هذه الدلالات وإلى لقاء آخر إن شاء الله تعالى.

والحمد لله رب العالمين

الدرس(23-30) : ثمرة الصيام

بسم الله الرحمن الرحيم

أعزائي المشاهدين، أخوتي المؤمنين، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد:

فالمسلم في رمضان يدع الطعام والشراب، وسائر المفطرات من طلوع الفجر إلى غياب الشمس بنية أداء العبادة، والتقرب إلى الله عز وجل، والطعام والشراب مباح في الأصل، ولأن الإنسان أيها الأخوة، لا يستطيع أن يتوازن مع نفسه حينما يدع ما هو مباح، ثم يقترف ما هو محرم.

ورد في الحديث الشريف: من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه. عندئذٍ يكون كالتي نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثا، لذلك شاءت حكمة الله تعالى أن يكون رمضان تدريباً على الطاعة والإحسان ومناسبة ليذوق المؤمن حلاوة القرب، فلعل طاعته وإحسانه، ولعل حلاوة القرب التي ذاقها في رمضان تنسحب على أشهر العام، وبهذا يصبح رمضان قفزة نوعية في السلوك، وقفزة نوعية في المعرفة وقفزة نوعية في القرب، فالمرء حينما يعرف الآمر قبل الأمر، يتفان في طاعة الآمر، وحينما يعرف الأمر ولا يعرف الآمر، يتفنن في التفلت من أمره، لذلك قال الله تعالى:

﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾

(سورة فاطر: 28)

بل إن العلم لله محيطاً علمه بكل شيء، وقادراً على كل شيء هو علة وجودنا في الحياة الدنيا، قال تعالى:

﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْماً (12)﴾

(سورة الطلاق: 12)

أيها الأخوة الكرام:

حينما يوقن الإنسان، أن الله تعالى، محيط علماً وقدرة بالإنسان، وأنه سوف يحاسبه عن كل أعماله، وأنه في قبضته، في كل وقت، عندئذ لا يتوازن الإنسان مع عقله ولا يتوازن مع نفسه، إلا بطاعته لربه، والتوجه إليه والقرب منه.

من أجل أن نعرف الله ينبغي أن نفكر في ملكوت السماوات والأرض، نعرفه كي نقبل على طاعته.

أيها الأخوة:

أرسلت مركبة فضائية قبل ستة سنوات، وقد وصلت قبل خمسة أشهر قريباً من المشتري، وعلى هذه المركبة، مرصد للنجوم عملاق، وقد ألتقط هذا المرصد، أثراً لمجرة تبعد عنا . دققوا في الرقم . ثلاثمائة ألف بليون سنة ضوئية، أي أن هذه المجرة كانت في مكان انطلاق ضوئها، قبل ثلاثمائة ألف بليون سنة ضوئية، فأين هي الآن؟ وبعض المجرات تسير بسرعة تقترب من الضوء، نشر هذا الخبر في إحدى محطات الأخبار العالمية. أيها الأخوة:

الضوء يقطع في الثانية الواحدة ثلاثمائة ألف كيلومتر، فكم يقطع في الدقيقة وكم يقطع في الثانية ؟ وكم يقطع في اليوم ؟ وكم يقطع في السنة ؟ تبعد هذه المجرة عنا، ثلاثمائة ألف بليون سنة ضوئية دققوا في قوله تعالى:

﴿ فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ (75) وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ (76)﴾

(سورة الواقعة: 75 . 76)

من أجل أن نعرف هذه المسافة تقديراً، أضع بين أيديكم هذه الحقيقة، إن أقرب نجمٍ ملتهبٍ إلى الأرض، يبعد عنا أربع سنوات ضوئية، ولكي نصل إلى هذا النجم القريب جداً، بمركبة أرضية نحتاج إلى خمسين مليون عام، فكم

نحتاج إلى أن نصل إلى مجرة تبعد عنا ثلاثمائة ألف بليون سنة ضوئية.

﴿ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ (64)﴾

(سورة غافر: 64)

﴿ قُلِ انْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾

(سورة يونس: 101)

أيها الأخوة المشاهدون:

لو انتقلنا من مجرة تبعد عنا ثلاثة مائة ألف بليون سنة ضوئية إلى نملة صغيرة سواد، على صخرة صماء، في ليلة ظلماء، وللنظر إليها مع سيدنا علي بن أبي طالب حيث يقول: انظروا إلى النملة في صغر جثتها، ولطافت هيئتها، لا تكاد تنال بلحظ البصر، ولا بمستدرك الفكر، كيف دبت على أرضها، وصبت على رزقها، تنقل الحبة إلى جحرها، وتعدها في مستقرها، تجمع بحرها لبردها، وفي وردها لصدرها، مكفولة برزقها، مرزوقة بوفقها، لا يغفلها المنان ولا يحرمها الديان، ولو في الصفا اليابس، والحجر الجانس.

يقول الإمام علي: ولو فكرت في مجال أكلها، في علوها وسفلها، وما في الجو من شراسيف بطنها، وما في الرأس من عينها وأذنها، لقضيت من خلقها عجبا، وللقيت من وصفها تعبا، فتعالى الذي أقامها على قوائمها، وبناها على دعائمها، لم يشركه في فطرتها فاطر، ولم يعنه على قدرتها قادر.

ولقد أثبت الله ﷻ للنملة التخاطب والمعرفة في القرآن الكريم.

فقال تعالى:

﴿ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ (18)﴾

(سورة النمل: 18)

وفي كل آية، وفي كل شيء له آية تدل على واحد.

أيها الأخوة المشاهدون:

والمهم أن يعلم الصائم علم اليقين أنه مالم يرقى الصيام بالمسلم من ترك المباحات، إلى ترك المحرمات، وفعل الخيرات، فليس في صيامه جدوى يقطف ثمارها في رمضان.

أيها الأخوة:

الإمام جعفربن أبي طالب رضي الله عنه، حدث النجاشي ملك الحبشة، حدثه عن الإسلام فقال أيها الملك: كنا قوم أهل جاهلية، نعبد الأصنام، ونأكل الميتة ونأتي الفواحش، ونقطع الرحم، ونسيء الجوار، حتى بعث الله فينا رجلاً نعرف صدقه، وأمانته، وعفافه ونسبه، فدعانا إلى الله لنعبده، ونوحده، ونخلع ما كان يعبدوا آبائنا من الحجارة والأوثان، وأمرنا بصدق الحديث، وأداء الأمانة وصلة الرحم، وحسن الجوار، والكف عن المحارم والدماء. هذا النص الدقيق الذي يشرح فيه الإمام جعفر الصادق، يشرح فيه حقيقة الإسلام يشير إلى أن العبادات منها ما هو شعائري، ومنها ما هو تعاملي، فمن العبادات الشعائرية، الصيام، والعبادات الشعائرية لا تصح إلا إذا صحت العبادات التعاملية.

ركعتان من ورع خير من ألف ركعة من مخلط، ومن لم يكن له ورع يصده عن معصية الله إذا خلا لم يعبأ الله بشيء من عمله.

وقد قال عليه الصلاة والسلام:

((لأن أمشي مع أخ في حاجته خير لي من صيام شهر واعتكافي في مسجد هذا.وترك دانق من حرام خير من ثمانين حجة بعد حجة الإسلام))

أيها الأخوة المشاهدون:

إلى لقاء آخر إن شاء الله تعالى والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

والحمد لله رب العالمين

الدرس(24–30) : الدعاء المستجاب

بسم الله الرحمن الرحيم

أعزائي المشاهدين أخوتي المؤمنين السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد:

فالمسلم حين يصوم نهار رمضان ، يصوم فمه عن الطعام والشراب وتصوم أعضائه وجوارحه عن كل معصية ، ثم يقوم ليلة رمضان ، مصلياً فتسمو نفسه ، وترقى ، وتسعد بربها ، عندئذ يكون الصائم قد أقترب من معاني ليلة القدر ، التي هي خير من ألف شهر والدعاء مستجاب ، ممن استجاب لله ورسوله ولا سيما في هذه الليلة قال تعالى:

﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ (60)﴾

(سورة غافر: 60)

واستنباطاً من هذه الآية ، قال عليه الصلاة والسلام: الدعاء هو العبادة.

فالمسلم حينما يدعو الله عز وجل ، كما ينبغي إن يدعوه ينطلق من أن الله تعالى ، يسمعه ، ولو ناده نداءاً خفياً، وأن الله تعالى رءوف به رحيم ، وأنه عليم به وخبير ، وأنه ﷻ على كل شيء قدير ، لهذا يعد من يدعو الله حقاً على علماً ومعرفة به.

أيها الأخوة المشاهدون:

وما دام الصائم قد ذاق حلاوة القرب في شهر رمضان ، فهو سيتجه بالشكر لله عز وجل، على ما أولاه من نعم المعرفة والقرب وهنا يناسب أن يقول الله عز وجل عقب آيات الصيام:

﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ (186)﴾

(سورة البقرة: 186)

أيها الأخوة الكرام:

قال الله تعالى:

﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي﴾

ولم يقل وإن سألك لأن إذا تفيد تحقق الوقوع ، بينما إن تفيد احتمال الوقوع أي أن من لوازم معرفة الله عز وجل ، والوصول إليه والتنعم بقربه ، التوجه إليه وحده ، بالسؤال والدعاء ، وهذه هي حقيقة التوحيد.

فقد قال عليه الصلاة والسلام: ثلاثة لا ترد دعوتهم ، الصائم حتى يفطر والإمام العادل، ودعوة المظلوم ، يرفعها الله فوق الغمام وتفتح لها أبواب السماء.

ويقول الله عز وجل: وعزتي لأنصرنك ولو بعد حين.

أخرجه الترمذي ، وابن ماجه ، والإمام أحمد في مسنده عن أبي هريرة.

أيها الأخوة المشاهدون:

لو تأملتم في آيات القرآن الكريم ، لوجدتم مادة السؤال ، ورد في جوابه قل.

﴿ وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ﴾

(سورة البقرة: 219)

﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفاً (105)﴾

(سورة طه: 105)

إلا في هذه الآية:

﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي﴾

إلا في هذه الآية وحدها فلم يرد في جوابه قل ، أشعاراً بأنه ليس بين العبد وبين ربه في سؤاله له ودعائه إياه وسيط.

﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ (186)﴾

(سورة البقرة: 186)

سئل عليه الصلاة والسلام أقريب ربك فنناجيه ؟ أم بعيد فنناديه لأن البعيد ينادى ، والقريب يناجى ، فنزل قوله تعالى:

﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ﴾

وكلمة عباد أيها الأخوة ، غير كلمة عبيد ، فكل من في الأرض من البشر عبيد لله عز وجل ، لأنهم مفتقرون في وجودهم ، وفي استمرار وجودهم وخصائصهم وحاجاتهم ، ومقهورون في هذا كله إلى الله عز وجل ، ولكن العباد هم الذين تعرفوا إليه ، والتزموا منهجه وتقربوا منه ، مبادرةً منهم وبمحض اختيارهم ، وبدافع من حبهم له فالعبد الذي جمعه عبيد هو عبد القهر.

﴿ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ (46)﴾

(سورة فصلت: 46)

بينما العبد الذي جمعه عباد ، هو عبد الشكر.

﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ﴾

أيها الأخوة المشاهدون:

ولكن لماذا قال الله عن ذاته [فإني قريب] ؟ قال [فإني قريب] ليشعر المؤمن أن الله معه في كل مكان ، وفي كل زمان ، وفي كل حال ، وأنه ما عليه إلا أن يدعوه مؤمناً ومخلصاً ، والله يجيب دعوته لكن الإنسان لضعف إيمانه ، أو لضعف توحيده ، يدعو غير الله لذلك قال تعالى:

﴿ إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ﴾

(سورة فاطر: 14)

ولكن لماذا لا يستجاب الله أحياناً لمن يدعوه ؟ أجاب النبي ﷺ عن هذا السؤال.

قال عليه الصلاة والسلام: إن الرجل ليطيل السفر ، أشعث أغبر ، يمد يده إلى السماء ، يقول يا رب ، يا رب ، ومطعمه حرام وملبسه حرام ، وغذيه بالحرام ، فأنى يستجاب له.

رواه مسلم في صحيحه.

لذلك قال الله تعالى:

﴿ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي﴾

تؤمن به ، فتستجيب لأمره ، فيجيب دعائك ، ثم إن الله سبحانه وتعالى حينما ختم هذه الآية بقوله الكريم:

﴿ لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ (186)﴾

أشار المفسرون إلى أنه لعلهم يرشدون إلى الدعاء المستجاب أو إلى سعادة الدنيا والآخرة، وحينما لا يستجاب الدعاء ، يعزى ذلك إما إلى فساد الداعي وانحرافه عن منهج الله، أو أنه ليس من الرحمة والحكمة ، أن يستجاب له ، يدخر هذا له في الآخرة ، فلو كشف الغطاء لاخترتم الواقع ، وعلى كل فحظ المؤمن من الدعاء الإجابة ، أو العبادة فالدعاء هو العبادة ، بل هو مخ العبادة ، كما قال النبي عليه الصلاة والسلام.
أيها الأخوة المشاهدون:

أرجو أن الله سبحانه وتعالى أن تكونوا قد أفتم من هذه الموضوع وإلى لقاء آخر إن شاء الله تعالى.

والحمد لله رب العالمين

الدرس(25-30) : حكمة الصيام

بسم الله الرحمن الرحيم

أعزائي المشاهدين، إخوتي المؤمنين، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الشيء المهم، الذي ينبغي أن نستوعبه، في هذا الشهر الكريم، أن الله سبحانه وتعالى، لم يسصفِ رمضان، من بقية الشهور، ليكون شهر الطاعة والقرب فحسب، بل أراده شهراً يتدرب فيه الإنسان على الطاعة، حتى يذوق حلاوة القرب، وعندها تنسحب هذه الطاعة، وذلك القرب وتلك السعادة، على كل شهور العام، فيكون رمضان، قفزةً نوعيةً مستمرة، في مجال الطاعة والقرب.

والحكمة من أن الله سبحانه وتعالى، أمرنا بالإمساك عن الطعام والشراب، وسائر المفطِّرات، من طلوع الفجر الصادق، إلى غياب الشمس، الحكمة ؛ هي أن الإنسان حينما يدع ما هو مباح امتثالاً لأمر الله، لا يستطيع، ولا يتوازن، أن يقترف ما هو محرم في هذا الشهر فترك المحرمات أولى من ترك المباحات، ومن لم يدع قول الزور والعمل به، فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه.

حينما يصطفي الله شهراً من الشهور ؛ لتصفوَ فيه العلاقة بالله عز وجل، يصطفيه ؛ من أجل أن يشيع هذا الصفاء مع الله في كل الشهور ؛ لأن الله مع المؤمن في كل زمان.

وحينما يصطفي الله مكاناً، كبيته الحرام، ويدعو المؤمنين إليه ؛ ليذوقوا حلاوة القرب فيه، يريد أن ينسحب على كل الأمكنة، لأن الله مع المؤمن في كل كان.

وحينما يصطفي الله إنساناً، فيكشف له الحقائق، إنما يصطفيه ليكشف من خلاله الحقائق لكل الناس، وحينما يصطفي الله إنساناً ؛ ليوحي إليه الأمر والنهي والمنهج القويم، إنما يصطفيه ليكون هذا المنهج مطبقاً لدى كل الناس.

" إن الله أمر المؤمنين بما أمر المرسلين "

وحينما يصطفي إنساناً ؛ ليسعده سعادة أبدية، إنما يصطفيه ليسعد بدعوته كل الناس.

ومجمل القول، حينما يصطفى الله زماناً كرمضان، ومكاناً كبيته الحرام وإنساناً كسيد الأنام، محمد عليه الصلاة والسلام، إنما شاء الله ﷻ أن يشيع اصطفاء الإنسان في كل الناس، واصطفاء المكان في كل الأمكنة واصطفاء الزمان في كل الأزمنة.

***

ليست القصد أن ننتصر على النفس في رمضان، ثم ننخذل أمامها بقية العام، ولكن الصيام الحقيقي، أن نحافظ على هذا النصر على طول الدوران، وتقلبات الزمان والمكان.

ليست القصد أن نضبط ألسنتنا في رمضان، فننزهها عن الغيبة والنميمة، وقول الزور، ثم نطلقها بعد رمضان، إلى حيث الكذب والبهتان، ولكن الصيام الحقيقي، أن تستقيم منا الألسنة وأن تصلح فينا القلوب ما دامت الأرواح في الأبدان.

ليست القصد أن نغض أبصارنا عن محارم الله، وأن نضبط شهواتنا غير المشروعة في رمضان، ثم نعود إلى ما كنا عليه بعد رمضان.

إننا إذاً كالتي نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثاً، ولكن الصيام الحقيقي أن تصوم جوارحنا عن كل معصية، في رمضان وبعد رمضان، فلا تفطر حتى تلقى الواحد الديان.

ليست القصد أن نتحرى الحلال خوفاً من أن يرد علينا صيامنا في رمضان، ثم نتهاون في تحريه بعد رمضان، على أنه عادة من عوائدنا ونمط شائع في سلوكنا، ولكن الصيام الحقيقي، أن يكون الورع مبدأ ثابتاً وسلوكاً مستمراً في حياتنا.

لست القصد أن نبتعد عن المجالس، وعن المشاهد، التي لا ترضي الله إكراماً لشهر رمضان، ثم نعود إليها، وكأن الله ليس لنا بالمرصاد في بقية الشهور والأعوام.

ليست القصد أن نراقب الله في أداء واجباتنا وأعمالنا، مادمنا صائمين فإذا ودَّعنا شهر الصيام، آثرنا حظوظ أنفسنا، على أمانة أعمالنا وواجباتنا، مثل هذا الإنسان لم يفقه حقيقة الصيام، ولا جوهر الإسلام إنه كما ورد عن رسول الله ﷺ:

((كالناقة حبسها أهلها ثم أطلقوها فلا تدري لا لمَ حُبست ولا لمَ أطلقت))

***

ما دام الصائم قد ذاق حلاوة القرب في شهر الصيام، فهو سيتَّجه بالشكر لله عز وجل على ما أولاه من نعمة المعرفة والقرب، وحينما يسعد الإنسان هذه السعادة، يتوجه بالشكر إلى الله عز وجل، وهنا من يناسب أن يقول الحق ﷻ عقب آيات الصيام:

﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ (186)﴾

[سورة البقرة]

قال تعالى: إذا سألك عبادي عني، ولم يقل إنْ سألك عبادي عني؛ لأن إذا تفيد تحقق الوقوع، بينما إنْ تفيد احتمال الوقوع.

***

قال عليه الصلاة والسلام:

((ثلاثة لا ترد دعوتهم الصائم حتى يفطر والإمام العادل ودعوة المظلوم يرفعها الله فوق الغمام وتفتح لها أبواب السماء، يقول الرب وعزتي لأنصرنك ولو بعد حين))

[أخرجه الترمذي وابن ماجه والإمام أحمد في مسنده عن أبي هريرة]

أرجو الله تعالى، أن تكونوا قد أفدتم من هذه الكلمات، وإلى لقاء آخر إن شاء الله تعالى، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

والحمد لله رب العالمين

الدرس(26-30) : الوقت في حياة الانسان

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أعزائي المشاهدين، إخوتي المؤمنين، السلام عليكم ورحمة الله بركاته، وكل عام وأنتم بخير .

أكثر الناس، يدعون لمن يحبونهم، أو لمن يسدي إليهم معروفاً يدعون له بطول العمر، وهل يطول العمر ؟..

وإذا كان العمر يطول، فما الذي يطيله ؟..

الإنسان . أيها الإخوة . أي إنسان مفطور على حب وجوده، وعلى سلامة وجوده، وعلى استمرار وجوده، قال تعالى:

﴿ وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِ مِنَ الْعَذَابِ أَنْ يُعَمَّرَ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ (96)﴾

[سورة البقرة]

والدين نفسه، يعد طول العمر نعمة إذا اقترن بالعمل الصالح، فقد سئل النبي ﷺ:

((أَيُّ النَّاسِ خَيْرٌ قَالَ مَنْ طَالَ عُمُرُهُ وَحَسُنَ عَمَلُهُ قَالَ فَأَيُّ النَّاسِ شَرٌّ قَالَ مَنْ طَالَ عُمُرُهُ وَسَاءَ عَمَلُهُ))

[رواه الترمذي وقال حديث حسن صحيح، وأحمد والدارمي]

لكن الموت ينغص على الإنسان حياته، فكثيراً ما يختطف الشابَّ وهو في ريعان شبابه، والعروس ليلة زفافها، والوحيد لمدلل من بين يدي أهله والغني المترف من أحضان نعمته، لهذا سُمي الموت هادم اللذات مُفرِّق الأحباب مُشتت الجماعات، وفي الحديث الشريف:

((عش ما شئت فإنك ميت، وأحبب من شئت فإنك مُفارقه، واعمل ما شئت فإنك مُجزي به))

[قال العجلوني في كشف الخفاء 77/2: رواه أبو الشيخ وأبو نعيم والحاكم وصحح إسناده، وحسنه العراقي]

ولم يسطع الطب . أيها الإخوة . الذي وصل إلى زرع قلب مكان قلب ولا العلم الذي صل بالإنسان إلى سطح القمر، أن يُقاوم الهرم، وأن يُعيد الشيخ إلى شبابه، بعد أن رُدَّ إلى أرذل العمر، وصدق رسول الله ﷺ حيث قال:

((عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِي اللَّهم عَنْهم عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ دَاءً إِلَّا أَنْزَلَ لَهُ شِفَاءً))

[أخرجه البخاري، وابن ماجة، وأحمد]

ما دام عمر الإنسان محدوداً بهذه الصورة فأنى له أن يُطيله ؟

وكيف يستطيع ؟.

الحقيقة أنه ليس عمر الإنسان الحقيقي، هو تلك السنوات التي يعيشها الإنسان من يوم ولادته إلى يوم وفاته، بل إنَّ عمر الإنسان الزمني هو أتفه أعماره، إنما عمره الحقيقي، هو حجم العمل الصالح الخالص في دوافعه. صاحب الحكم ابن عطاء الله السكندري:

((رُبَّ عُمُرٍ اتَّسعت آماده وقلت أمداده، ورُبَّ عُمُرٍ قليلةٌ آماده، كثيرة أمداده، ومن بورك له في عمره، أدرك في يسير من الزمن، من المنن ما لا يدخل تحت دائرة العبارة ولا تلحقه ومضة الإشارة))

لهذا ورد عن رسول الله ﷺ أنه كان يدعو ويقول:

((لا بورك لي في طلوع شمس يوم، لم أزدد فيه من الله علماً، ولا بورك لي في طلوع شمس يوم، لم أزدد فيه من الله قُرباً))

الإنسان يستطيع أن يُطيل عمره، بمقدار ما يُفقُ إليه من عبادة لله تعالى وإحسان إلى خلقه، وكلما توافر لعمله، الإخلاص والإتقان كان الأجر والفضل أعظمَ عند الله.

وكلما اتسعت رقعة العمل، فشملت أعداداً كبيرة من البشر، حتى دخلت فيه الأمم والشعوب، وكلما امتد أمد العمل

وطال، حتى توارثت ثماره أجيال وأجيال، وكلما تغلغل العمل، في كيان الإنسان كله المادي والنفسي والاجتماعي والروحي، حتى تحقق به وجود الإنسان، وتألقت من خلال إنسانيته، وكان كما أريد له أن يكون، كلما اتسعت رقعة العمل وعمَّ خيره وطال أمده، واشتد تأثيره كان أعظم عند الله.

فالنبي . ﷺ . أخرج الناس من الظلمات إلى، النور ومن دركات الجاهلية، إلى أعلى مراتب الإنسانية، وغير وجه التاريخ البشري كله، إلى اليوم وإلى ما شاء الله، في ثلاثٍ وعشرين سنة أقام فيها ديناً جديداً وربى عليه جيلاً فريداً، وأنشأ أمة مثالية، وأسس دولة عالمية في هذا الزمن اليسير، على الرغم من كل الصعوبات والمعوِّقات التي اعترضت سبيله من أول يوم.

***

يزداد ثقل العمل في ميزان الحق، وتتضاعف قيمته ومثوبته، عند الله كلما كثرت المعوقات في سبيله، وعظمت الصوارف عنه، قل المُعين عليه.

ويزداد ثقل العمل في ميزان، الحق وتتضاعف قيمته ومثوبته، عند الله حينما تفسد المجتمعات، وتضطرب الأحوال فيجور، وفي الحديث الصحيح:

((قَالَ رسول الله ﷺ: الْعِبَادَةُ فِي الْهَرْجِ كَهِجْرَةٍ إِلَيَّ))

[أخرجه مسلم والترمذي وأحمد وابن ماجة]

وهنا محلُّ الإشارة . أيها الإخوة . إلى أنَّ الإنسان إذا رُزق التوفيق في إنفاق وقته، يستطيع أن يُطيل عمره إلى ما شاء الله، بعد موته، فيحيى وهو ميت، ويؤدي رسالةً وهو تحت التراب، وفي الحديث الصحيح الذي رواه أبو هريرة رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ أنه قال:

((إِذَا مَاتَ الْإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثٍ صَدَقَةٌ جَارِيَةٌ وَعِلْمٌ يُنْتَفَعُ بِهِ وَوَلَدٌ صَالِحٌ يَدْعُو لَهُ قَالَ أَبو عِيسَى هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ))

[رواه مسلم والترمذي والنسائي وأبو داود وابن ماجة وأحمد والدرامي]

وفي حديث آخر تضمن تفصيلات لهذه الثلاث، فقال عليه الصلاة والسلام:

((عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّ مِمَّا يَلْحَقُ الْمُؤْمِنَ مِنْ عَمَلِهِ وَحَسَنَاتِهِ بَعْدَ مَوْتِهِ عِلْمًا عَلَّمَهُ وَنَشَرَهُ وَوَلَدًا صَالِحًا تَرَكَهُ وَمُصْحَفًا وَرَّثَهُ أَوْ مَسْجِدًا بَنَاهُ أَوْ بَيْتًا لِابْنِ السَّبِيلِ بَنَاهُ أَوْ نَهْرًا أَجْرَاهُ أَوْ صَدَقَةً أَخْرَجَهَا مِنْ مَالِهِ فِي صِحَّتِهِ وَحَيَاتِهِ يَلْحَقُهُ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهِ))

[والترمذي والنسائي وأبو داود وأحمد والدارمي، وابن خزيمة في صحيحه]

وأخرج مسلم في صحيحه:

((مَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً فَلَهُ أَجْرُهَا وَأَجْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا بَعْدَهُ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْءٌ وَمَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً سَيِّئَةً كَانَ عَلَيْهِ وِزْرُهَا وَوِزْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ بَعْدِهِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْءٌ))

[رواه مسلم والترمذي والنسائي وبن ماجة وأحمد والدارمي وللحديث تتمة]

وويل لمن انقضت آجالهم، وضلالاتهم وآثامهم باقية من بعدهم وهنيئاً لمن كانوا تحت الثرى والناس مهتدون بهديهم سعداء بأعمالهم.

أيها الإخوة الكرام، أشكر لكم إصغاءكم والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

*****

والحمد لله رب العالمين

الدرس(27-30) : الزكاة

بسم الله الرحمن الرحيم

أعزائي المشاهدين، إخوتي المؤمنين، السلام عليكم ورحمة الله بركاته، وكل عام وأنتم بخير.

شهر رمضان شهر الإنفاق، شهر الصدقات، شهر الزكاة، قال تعالى:

﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (103)﴾

[سورة التوبة]

هذه الآية . أيها الإخوة . أصل في فرضية الزكاة، وفيها من دقة النظم وروعة الدلالة، وقوة الاستنباط الشيء الكثير.

فيستنبط من كملة خذ في هذه الآية، أن الزكاة ليست مجرد عمل طيب من أعمال البر، يفعله المرء أو لا يفعله، وليست خلةً حسنة من خلال الخير، يتصف بها المسلم أو لا يتصف بها، بل هي ركن أساسي من أركان الإسلام، وشعيرة من شعائره الكبرى، بل هي حجر الزاوية من نظام الإسلام الاقتصادي، وأساس من أسس التكافل الاجتماعي، إنها ليست إحساناً اختيارياً، ولا صدقة تطوعية، وإنما هي فريضة تتمتع بأعلى درجات الإلزام الشرعي، والخلقي، لذلك لم يأمر الله عز وجل المؤمنين بدفعها، بل أمر نبيه ﷺ، وألي الأمر من بعده بأخذها، لأن الزكاة، تؤخذ ولا تُعطى، تُفترض ولا تُستجدى.

ويُستنبط من كلمة " منْ " التي هي للتبعيض، في هذه الآية، أنَّ الزكاة لا تطول جميع المال، بل تطول بعضه، وقد بينت السنة المطهرة مقادير هذا البعض، بحسب أنواع الأموال وبحسب طريقة تحصيلها أو مقدار الجهد المبذول فيه.

ويُستنبط من كلمة " أموالهم " التي وردت في الآية جمعاً، أن الزكاة تطول كل أنواع المال، فتجب الزكاة في كل ما أخرجته الأرض من إنتاج زراعي، وفي الثروة الحيوانية، ومُنتجاتها، وفي الذهب والفضة وفي كل أنواع النقد المتداول، والسندات، والديون، والسُلف، وفي عروض التجارة بشتى أنواعها، وفي الحلي التي ليست للاستعمال الشخصي، بل وتجب الزكاة في الثروات الباطنية التي تحت الأرض وما تلف مال في بر أو بحر، إلا بحبس الزكاة..

ويُستنبط من ضمير الجمع في " أموالهم " أن الزكاة مفروضة على جميع المسلمين كافة، ممن يملكون النصاب الذي بينته السنة المطهرة من دون استثناء، ولا إعفاء، ولا تخفيض ولا طي..

كما أنه يُستنبط من كلمة " صدقةً " في الآية الكريمة، أن المسلم حينما يدفع زكاة ماله، يؤكد صدقه، أي تطابق فعله مع اعتقاده، ويؤكد تصديقه لأمر الله، وتصديقه باليوم الآخر، وقد قال عليه الصلاة والسلام :

((الصدقة برهان..))

[أخرجه مسلم]

فالزكاة عبادة مالية، يؤكد بها المسلم تصديقه وصدقه، فلو لم يُطالبه بها السلطان، طالبه بها القرآن.

كما أنه يُستنبط من كلمة " تطهرهم " في هذه الآية الكريمة، آية الزكاة التي هي أصل في فرضية الزكاة:

﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (103)﴾

يُستنبط من كلمة " تطهرهم " أن الزكاة تطهر نفس الغني، من الشحِّ البغيض، تلك الآفة النفسية الخطرة، التي قد تدفع صاحبها إلى الدم فيسفكه، أو إلى العرض فيبذله، أو إلى الوطن فيبيعه، ولن يُفلح فرد ولا مجتمع سيطر الشحَّ عليه، وملك ناصيته، قال تعالى:

﴿ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (9)﴾

[سورة الحشر]

والزكاة فضلاً عن أنها تطهر نفس الغني من الشحِّ، إنها تطهر نفس الفقير من الحسد والضغن، على ذلك الغني الكانز لمال الله، والذي يمنعه عن عباد الله، فمن شأن الإحسان أن يستميل القلوب، ومن شأن الحرمان أن يملأه بالحقد والكراهية.

فالزكاة تطهر نفس الغني من الشح، الذي هو من أكبر الآفات النفسية كما أنها تطهر نفس الفقير، من الحقد الذي له مضاعفات كثيرة.

بل إن الزكاة، تطهر المجتمع كله، من عوامل الهدم، والتفرقة والصراع، والفتن.

وتطهير للمال أيضاً، من تلوثه بتعلق حق الغير به، فالحجر المغصوب في الدار سبب خرابها.

((إذا أديت زكاة مالك فقد أذهبت عنك شره))

[رواه ابن خزيمة وصححه الحاكم على شرط مسلم]

وقال وقال عليه الصلاة والسلام:

((حصنوا أموالكم بالزكاة))

[رواه الطبراني والبيهقي مرفوعاً متصلاً، ورواه أبو داود في المراسيل]

يُستنبط أيضاً من كلمة " وتزكيهم " في هذه الآية، والزكاة هنا بمعنى: النماء والزيادة، نماء للغني وللفقير، ولمال كل منهما، ونماء للعلاقات الاجتماعية، وللقيم الإنسانية.

فهي نماء لشخصية الغني وكيانه المعنوي ؛ فالإنسان الذي يُسدي الخير ويصنع المعروف، ويبذل من ذات نفسه، لينهض بإخوانه في الدين والإنسانية، وليقوم بحق الله، يشعر بامتدادٍ في نفسه، وانشراح واتساع في صدره، ويُحسُّ بما يُحسُّ به من انتصر في معركة، وهو فعلاً قد انتصر على ضعفه وأثرته وشيطان شُحِّه وهواه. هي نماء لشخصية الفقير، حيث يشعر أنه ليس ضائعاً في المجتمع ولا هيناً عليه، ولا متروكاً لضعفه وفقره، إن مجتمعه ليعمل على إقالة عثرته، ويحمل عنه أثقاله، ويمدُّ له يد المعونة، بكل ما يستطيع والزكاة بعد ذلك، نماء للمال، وبركة فيه، فأداء الزكاة ترفع القوة الشرائية عند الفقير، وهذا يعود بالنفع على دافع الزكاة، وقد يزيد المال بالعناية الإلهية المباشرة، بغير ما يُعرف من الأسباب، قال تعالى:

﴿ يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ (276)﴾

[سورة البقرة]

أيها الإخوة الكرام، أرجو أن تكونوا قد أفدتم من هذا الموضوع وشكراً لأصغاءكم، وإلى لقاء آخر إن شاء الله تعالى، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

والحمد لله رب العالمين

الدرس(28-30) : حقوق الإنسان في الإسلام

بسم الله الرحمن الرحيم

أعزائي المشاهدين، إخوتي المؤمنين، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

وبعد، فمن أعجب الأشياء أن تعرف الله ثم لا تحبه، ومن أعجب الأشياء أيضاً أن تحبه ثم لا تطيعه، وأن تسمع داعيه ثم تتأخر عن الإجابة، وأن تعرف قدر الربح في معاملته ثم تعامل غيره، وأن تعرف قدر غضبه ثم تتعرَّض له، وأن تذوق ألم الوحشة في معصيته ثم لا تتطلب الأنس بطاعته، وأن تذوق العذاب عند تعلُّق القلب بغيره ثم لا تهرب إلى نعيم الإقبال عليه والإنابة إليه. وأعجب من هذا، علمك أنك لابد لك منه، وأنك أحوج شيءٍ إليه وأنت عنه مُعْرِض، وفيما يبعدك عنه راغب.

أيها الإخوة الأحباب... قبل أن تسمع أذن الدنيا عن حقوق الإنسان لاثني عشرة قرناً أو تزيد، ويوم كان العالم كله لا ينظر إلى الإنسان إلا من جهة ما عليه من الواجبات يطالب بأدائها، وإلا كان عليه من العقاب ما يستحق، جاء الإسلام ليؤكِّد جهرةً أن للإنسان حقوقاً ينبغي أن ترعى، كما أن عليه واجباتٍ يجب أن تؤدَّى، وكما أنه يسأل عما عليه، يجب أن يعطى ما له.

ومن هذه الحقوق أيها الإخوة التي أعلنها الإسلام جهرةً قبل خمسة عشر قرناً ؛ حق الحياة، وحق الكرامة الإنسانية، وحق التفكير، وحق التديّن، وحق الاعتقاد، وحق التعبير، وحق التعلّم، وحق التملك، وحق الكفاية، وحق الأمن من الخوف.

إخوة الإيمان... لقد قدَّس الإسلام حق الحياة، وحماه بالتربية والتوجيه، وبالتشريع والقضاء، وبكل المؤيدات النفسية والفكرية والاجتماعية، وعدَّ الحياة هبةً من الله تعالى، لا يجوز لأحدٍ كائناً مَن كان أن يسلبها منه، فالإنسان بنيان الله، وملعونٌ من هدم بنيان الله، وقد أنكر الإسلام على أهل الجاهلية قتلهم أولادهم سفهاً بغير

علم، قال تعالى:

﴿ وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ (8) بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ (9)﴾

(سورة التكوير)

ولم يفرِّق الإسلام في حق الحياة بين أبيض وأسود، ولا بين شريكٍ ووضيع، ولا بين حرٍ وعبد، ولا بين رجلٍ وامرأة، ولا بين كبيرٍ وصغير، حتى الجنين في بطن أمه له حرمةٌ لا يجوز المساس بها، ومن هنا جاء تحريم الإجهاض، حتى الجنين الذي ينشأ من طريقٍ حرام لا يجوز لأمه ولا لغيرها أن تسقطه، لأنه نفسٌ بريئة لا يحل الاعتداء عليها..

﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾

(سورة الزمر: من آية " 7 ")

لذلك شرع القصاص صوناً لحياة كل الأطراف، وشرعت الديَّة والكفَّارة في القتل الخطأ، وقد حمى الإسلام أيضاً حياة الحيوان إن لم يكن منه أذىً، وفي الحديث الصحيح:

((أن امرأةً دخلت النار في هرة حبستها حتى ماتت، فلا هي أطعمتها ولا هي تركتها تأكل من خشاش الأرض))

(متفقٌ عليه)

وأما حق الكرامة وحماية العرض، فقد أكد الإسلام حرمة العرض والكرامة للإنسان، مع حرمة الدماء والأموال، حتى أن النبي ﷺ أعلن ذلك في حجة الوداع أمام الجموع الغفيرة في البلد الحرام، والشهر الحرام، واليوم الحرام، فقال عليه الصلاة والسلام:

((إن الله حرَّم عليكم دماءكم، وأعراضكم، وأموالكم))

(من صحيح البخاري: عن " ابن عمر ")

فلا يجوز أن يؤذى الإنسان في حضرته، ولا أن يهان في غيبته، سواءٌ أكان هذا الإيذاء للجسم بالفعل أم للنفس بالقول، فربما كان جرح القلب بالكلام أشد من جرح الأبدان بالسياط والسنان.

لقد حرم الإسلام أشد التحريم أن يضرب إنسانٌ بغير حق، وأن يجلد ظهره بغير حد، وأنذر باللعنة مَن ضرب إنساناً ظلماً، ومَن شهده يضرب ولم يدفع عنه، كما حرم الإسلام الإيذاء الأدبي للإنسان، حرم الهمز، وحرم اللمز، والتنابذ بالألقاب، والسخرية، والغيبة، وسوء الظن بالناس، وكفل الإسلام صون كرامة الإنسان بعد مماته، ومن هنا جاء الأمر بغسل المَيِّت وتكفينه ودفنه، والنهي عن كسر عظمه، أو الاعتداء عليه أو على جثته، وقد جاء هذا في الحديث النبوي:

((كسر عظم الميت ككسره حياً))

(من الجامع لأحكام القرآن)

وكما حمى الإسلام جسم الميت بعد الموت، حمى عرضه وسمعته، لئلا تلوكها الأفواه، فقال عليه الصلاة والسلام:

((لا تذكروا موتاكم إلا بخير))

(من تخريج أحاديث الإحياء: عن " السيدة عائشة ")

أيها الإخوة الأحباب... وأما حق الكفاية التامَّة، فمن حق كل إنسانٍ أن تهيأ له كفايته التامة من العيش، بحيث تتوافر له الحاجات الأساسية للمعيشة ؛ من مأكلٍ، وملبسٍ، ومسكنٍ، وعلاج، والأصل أن يكون للإنسان دخلٍ كافٍ يحقق كفايته منه عن طريقٍ مشروعٍ ؛ من زراعةٍ، أو تجارةٍ، أو صناعةٍ، أو وظيفة، أو حرفة، فإن لم يكن للإنسان دخلٌ يكفيه كان على أقاربه الموسرين أن يحملوه لأنه جزءٌ منهم، قال تعالى:

﴿ وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾

(سورة الأنفال: من آية " 75 ")

فإن لم يكن له أقارب موسرون يستطيعون حمله وجبت كفايته من مال الزكاة، التي فرضها الله على المسلمين، تؤخذ من أغنيائهم وترد على فقرائهم، والزكاة فُرِضَت لتحقيق تمام الكفاية للإنسان، وذكر الفقهاء أن الزواج لمَن لا زوجة له من تمام الكفاية، وأن آلات الحرفة من تمام الكفاية، وأن كُتب العلم لطالب العلم من تمام الكفاية، وهذه الكفاية التامَّة تجب للإنسان الفقير له ولأسرته مدة عامٍ بأكمله على مذهب، ومدة العمر كله على مذهبٍ آخر، بحيث يغدو آخذ الزكاة دافعاً للزكاة. يقول عمر رضي الله عنه: " إذا أعطيتم فأغنوا".

أيها الإخوة الأكارم... في خلافة عمر رضي الله عنه وأرضاه، جاء إلى المدينة جبلة بن الأيهم، آخر ملوك الغساسنة يعلن إسلامه، فيرحب به عمر أشد الترحيب، وفي أثناء الطواف . طواف هذا الملك حول الكعبة . داس بدويٌ طرف إزار الملك الغساني، فيغضب الملك، ويلتفت إلى هذا البدوي فيضربه ويهشِّم أنفه، فما كان من هذا البدوي من فزارة إلا أن توجه إلى الخليفة الراشد عمر بن الخطاب شاكياً، فيستدعي عمر رضي الله عنه الملك الغسَّاني إلى مجلسه، ويجري بينهما حوارٌ صيغ على الشكل التالي:

قال عمر: جاءني هذا الصباح مشهدٌ يبعث في النفس المرارة، بدويٌ من فزارة، بدماءٍ تتظلل، في جراحٍ تتكلل، مقلةٌ غارت، وأنفٌ قد تهشم، وسألناه، فألقى فادح الوزر عليك بيديك، أصحيحٌ ما أدعى هذا الفزاري الجريح ؟

قال جبلة: لست ممن ينكر أو يكتم شيئاً، أنا أدَّبت الفتى أدركت حقي بيدي.

قال عمر: أي حقٍ يا ابن أيهم ؟ عند غيري يقهر المستضعف العافي ويظلم، عند غيري جبهةٌ بالإثم بالباطل تلطم، نزوات الجاهلية، ورياح العنجهية قد دفناها، أقمنا فوقها صرحاً جديدا، وتساوى الناس أحراراً لدينا وعبيدا، يا جبلة ارضٍ الفتى لابد من إرضائه، مازال ظفرك عالقاً بدمائه، أو يُهشمن الآن أنفك، وتنال ما فعلته كفك.

قال جبلة: كيف ذاك يا أمير المؤمنين ؟! هو سوقةٌ وأنا عرشٌ وتاج، كيف ترضى أن يخر النجم أرضا ؟!!

قال " دعك من هذا، نزوات الجاهلية، ورياح العنجهية قد دفناه.

فقال جبلة: كان وهماً ما مشى في خلدي أنني عندك أقوى وأعز، أنا مرتدٌ إذا أكرهتني.

قال عمر: عالمٌ نبنيه، كل صدعٍ فيه بشذى السيف يداوى، وأعز الناس بالعبد بالصعلوك تساوى.

أما جبلة فلم يستوعب هذا المعنى الكبير في الإسلام، وفرَّ من المدينة هارباً مرتداً، ولم يبالِ عمر ولا الصحابة معه بهذه النتيجة، لأن ارتداد رجلٍ عن الإسلام أهون بكثيرٍ من التهاون في تطبيق مبدأ عظيم من مبادئه. وخسارة فردٍ لا تقاس بخسارة مبدأ.

أيها الإخوة الكرام... أرجو أن نكون جميعاً قد أفدنا من هذا، وإلى لقاءٍ آخر.

* * *

والحمد لله رب العالمين

الدرس(29-30) : سورة العصر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أعزائي المؤمنين ، إخوتي المشاهدين ، السلام عليكم و رحمة الله و بركاته:

يقول الإمام الشافعي رحمه الله تعالى في القرآن الكريم سورة لو تدبرها الناس لوسعتهم هي سورة العصر ، فالله سبحانه و تعالى يقسم في مطلعها فيقول:

﴿ وَالْعَصْرِ (1)﴾

[سورة العصر: الآية 1]

و العصر كما يقول بعض المفسرين مطلق الزمن.

أيها الإخوة الأحباب:

النقطة إذا تحركت رسمت خطاً ، و الخط إذا تحرك شكل سطحاً ، و السطح إذا تحرك شكل حجماً ، و الحجم إذا تحرك أصبح زمناً ، ففي تعريف الزمن إنه البعد الرابع للأشياء و لازالت حقيقة الزمن موضع نقاش طويل ، على كل الله سبحانه و تعالى يقسم بالزمن و هو خالق الكون فيقول:

﴿ وَالْعَصْرِ (1) إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ (2)﴾

[سورة العصر]

جواب القسم أن الإنسان خاسر ، ما نوع خسارته ؟ ذلك أن الإنسان في حقيقته زمن و في أدق تعريف الإنسان ، الإنسان بضعة أيام كلما انقضى يوم انقضى بضع منه ، ما من يوم ينشق فجره . القول للتابعي الجليل الحسن البصري . إلا و ينادي يا بن آدم أنا خلق جديد و على عملك شهيد ، فتزود مني فإني لا أعود إلى يوم القيامة ،

ما وجه الخسارة ؟ قال بعضهم إن مضي الزمن وحده يستهلك الإنسان ، هو بضعة أيام كلما انقضى يوم انقضى بضع منه ، ذلك أن الإنسان في حقيقته زمن أو أن أثمن شيء يملكه هو الزمن ، أو أن رأسماله الوحيد هو الزمن فكأن الله سبحانه و تعالى أقسم بمطلق الزمن لهذا المخلوق الأول الذي هو في حقيقته زمن فقال:

﴿ وَالْعَصْرِ (1) إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ (2)﴾

[سورة العصر]

الخسارة كما قلت قبل قليل أنه كائن متحرك يتحرك نحو نقطة ثابتة ، فكل ثانية تمضي تقربه من هدفه ، و على الإنسان أن يعد عمره عداً تنازلياً لا عداً تصاعدياً ، ليسأل نفسه هذا السؤال المحرج كل حين كم بقي لي ؟ هل بقي لي بقدر ما مضى ؟

أيها الإخوة الأحباب:

عند الإنسان أيام خمسة يوم مفقود و لا جدوى من الحديث عنه إطلاقاً، ويوم مشهود و هو أخطر أيامه ، و يوم مورود و هو يوم موته ، و يوم موعود و هو يوم القيامة ، و يوم ممدود و هو الخلود في الجنة أو في النار: فالذي نفس محمد بيده ما بعد الدنيا من دار إلا الجنة أو النار ، ذلك أن الله سبحانه و تعالى قال:

﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ (2)﴾

[سورة الملك: الآية 2]

قدم الموت لأن في الموت خيارين اثنين لا ثالث لهما كما قال عليه الصلاة و السلام فالذي نفس محمد بيده ما بعد الدنيا من دار إلا الجنة أو النار.

أيها الإخوة الأحباب:

هذه خسارة محققة و لكن هل تتلافى ؟ هل يستطيع الإنسان أن ينجو منها ؟ إن الآية الكريمة في قوله تعالى:

﴿ إِلَّا الَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ (3)﴾

[سورة العصر: الآية 3]

قبل أن أنتقل إلى شرح هذه الكلمات في الآية لابد من لفتة رائعة إلى أن هذا الزمن الذي هو حقيقة الإنسان أو هو رأسماله الثمين أو هو أثمن شيء يملكه هذا الزمن إما أن ينفق إنفاقاً استهلاكياً و إما أن ينفق إنفاقاً استثمارياً، هذا بمنطق التجارة ، و الإنسان حينما يأكل و يشرب و يستريح و يستجم و يبيح لنفسه كل المتع الصالحة أو الطالحة ، المقبولة أو المرذولة ، الشرعية أو غير الشرعية ، هذا إنفاق للوقت إنفاق استهلاكي ، ما مضى فات و المؤمل غيب و لك الساعة التي أنت فيها و لكن حينما نمضي أيامنا في معرفة الله:

﴿ إِلَّا الَّذِينَ آَمَنُوا﴾

[سورة العصر: الآية 3]

و معرفة الله ﷻ هي أصل الدين ، و حينما نعرف الله عز وجل نعرف لماذا خلقنا في الدنيا ؟ نعرف علة وجودنا؟ و نعرف غاية وجودنا ؟ و نعرف الرسالة التي حملنا إياها و نعرف الطريق المجدي لأن الله سبحانه و تعالى يقول:

﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالاً (103) الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعاً (104)﴾

[سورة الكهف]

إذا تأملنا في خلق السماوات و الأرض وجدنا أن الكون بكل ما فيه ينطق بوجود الله و بكماله و بوحدانيته ، و أن الله عز وجل صاحب الأسماء الحسنى و الصفات الفضلى فحينما نؤمن بالله نؤمن أيضاً بالمهمة التي أوكلت

إلينا:

﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ﴾

[سورة الأحزاب: الآية 72]

و الإيمان أيها الإخوة هو الذي يحقق إنسانية الإنسان ، هو أذلي يحقق وجوده الذي أراده الله عز وجل لأن الله عز وجل يقول:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾

[سورة الأنفال: الآية 24]

الحياة الحقيقية ، الحياة التي تليق بالإنسان ، الحياة التي يسعد بها الإنسان ، الحياة التي أرادها الله لهذا الإنسان هي حياة الإيمان بالله و العمل وفق منهجه و التقرب إليه ، لأن الله عز وجل يقول:

﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ (56)﴾

[سورة الذاريات: الآية 56]

و يقول أيضاً:

﴿ إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ﴾

[سورة هود: الآية 119]

فالإيمان أيها الإخوة ما إن تستقر حقيقته في نفس المؤمن حتى يعبر عن ذاته بحركة و ليس الإيمان تقوقعاً ، و ليس الإيمان انسحاباً من الحياة ، و ليس الإيمان انعزالاً ، لكن الإيمان حركة إيجابية نافعة ، فلذلك فرق كبير جداً بين المؤمن و غير المؤمن:

﴿ أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِناً كَمَنْ كَانَ فَاسِقاً لَا يَسْتَوُونَ (18)﴾

[سورة السجدة: الآية 18]

﴿ أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ (35) مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ (36)﴾

[سورة القلم]

﴿ أَفَمَنْ وَعَدْنَاهُ وَعْداً حَسَناً فَهُوَ لَاقِيهِ كَمَنْ مَتَّعْنَاهُ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْمُحْضَرِينَ (61)﴾

[سورة القصص: الآية 61]

المؤمن أيها الإخوة يعيش في جنة و قد قال بعض العلماء في الدنيا جنة من لم يدخلها لم يدخل جنة الآخرة ، يؤكد هذا قوله تعالى:

﴿ وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ (6)﴾

[سورة محمد: الآية 6]

في الدنيا ، أي أنه ما إن تستقر حقيقة الإيمان في نفس المؤمن حتى تعبر عن ذاتها بحركة نحو الخلق ، فالإيمان خير كله ، الإيمان عطاء كله ، مرة قرأت كتاباً عن رسول الله صلى الله عليه و سلم و قد لفت نظري إهداؤه يخاطب النبي عليه الصلاة و السلام يقول: يا من جئت الحياة فأعطيت و لم تأخذ ، يا من قدست الوجود كله و رعيت قضية الإنسان ، يا من زكيت سيادة العقل و نهنهت غريزة القطيع ، يا من هيأك تفوقك لتكون واحداً فوق الجميع فعشت واحداً بين الجميع ، يا من كانت الرحمة مهجتك ، و العدل شريعتك ، و الحب فطرتك ، و السمو حرفتك ، و مشكلات الناس عبادتك.

أيها الإخوة الأحباب:

﴿ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا﴾

[سورة العصر: الآية 3]

ورد في بعض الأدعية لا بورك لي في طلوع شمس يوم لم أزدد فيه من الله علماً:

﴿ إِلَّا الَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾

[سورة العصر: الآية 3]

حجمك عند الله بحجم عملك الصالح لقوله تعالى:

﴿ وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِمَّا عَمِلُوا﴾

[سورة الأحقاف: الآية 19]

أنت حينما تستقيم على أمر الله تمهد الطريق إلى الله و تجعله سالكاً أما حركتك على هذا الطريق لا تكون إلا بالعمل الصالح لأن العمل الصالح هو الذي ينفع الإنسان ، و لأن حجم الإنسان الحقيقي عند الله هو حجم عمله الصالح:

﴿ وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِمَّا عَمِلُوا﴾

[سورة الأحقاف: الآية 19]

بل أيها الإخوة إن هناك من الأعمال ما يبقى بعد الموت ، أنا حينما أؤمن بالله الإيمان الحق و حينما أعمل عملاً صالحاً خالصاً لله عز وجل و بالمناسبة الأعمال لا تقبل عند الله إلا إذا كانت خالصة و صواباً قيل ما خالصة و ما صوابها ؟ قال خالصة ما ابتغي بها وجه الله و صواباً ما وافقت السنة:

((عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ إِذَا مَاتَ الْإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثَةٍ إِلَّا مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ))

[مسلم ، الترمذي ، النسائي ، أبو داود ، أحمد ، الدارمي]

إن أعظم الأعمال خيرية هي الأعمال التي تبقى بعد موت صاحبها صدقة جارية إلى أبد الآبدين:

﴿ إِلَّا الَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ ﴾

[سورة العصر: الآية 3]

الدعوة إلى الله أيها الإخوة فرض عين و فرض كفاية ، هي فرض كفاية لقوله تعالى:

﴿ وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ﴾

[سورة آل عمران: الآية 104]

أي ليكن بعضكم يدعون إلى الخير ، هؤلاء المتخصصون ، هؤلاء المتفرغون ، هؤلاء الذين تعمقوا بالعلم و لكن الدعوة إلى الله كفرض عين أن تبلغ عن رسول الله و لو آية كما قال عليه الصلاة و السلام:

((عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً........))

[البخاري ، الترمذي ، أحمد ، الدارمي]

و أن تنقل إلى الناس ما سمعته من كلام الحق في حدود ما تعلم و مع من تعرف:

﴿ إِلَّا الَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ (3)﴾

[سورة العصر : الآية 3]

ينبغي أن تصبر على قضاء الله و قدره ، و عن معصيته و على طاعته ، هؤلاء الأربع أركان النجاة من الخسارة المحققة ، قال تعالى:

﴿ وَالْعَصْرِ (1) إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ (2) إِلَّا الَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ (3)﴾

[سورة العصر]

و إلى لقاء آخر إن شاء الله تعالى.

والحمد لله رب العالمين

الدرس(30-30) : أخلاق النبي ﷺ

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، إخوتي المؤمنين السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

كما ورد في الأثر:

((عن الرسول ﷺ قال: إنما بعثت معلماً إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق))

يبدو من خلال هذا الحديث أن جوهر دعوته ﷺ التحلي بالقيم الأخلاقية بعد الإيمان بالله وبعد التقرب إليه بالأعمال الصالحة، لذلك حينما سأل النجاشي سيدنا جعفر بن أبي طالب عن رسول الله والإسلام فقال:

((عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ ابْنَةِ أَبِي أُمَيَّةَ بْنِ الْمُغِيرَةِ زَوْجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَتْ.....أَيُّهَا الْمَلِكُ كُنَّا قَوْمًا أَهْلَ جَاهِلِيَّةٍ نَعْبُدُ الْأَصْنَامَ وَنَأْكُلُ الْمَيْتَةَ وَنَأْتِي الْفَوَاحِشَ وَنَقْطَعُ الْأَرْحَامَ وَنُسِيءُ الْجِوَارَ يَأْكُلُ الْقَوِيُّ مِنَّا الضَّعِيفَ فَكُنَّا عَلَى ذَلِكَ حَتَّى بَعَثَ اللَّهُ إِلَيْنَا رَسُولًا مِنَّا نَعْرِفُ نَسَبَهُ وَصِدْقَهُ وَأَمَانَتَهُ وَعَفَافَهُ فَدَعَانَا إِلَى اللَّهِ لِنُوَحِّدَهُ وَنَعْبُدَهُ وَنَخْلَعَ مَا كُنَّا نَعْبُدُ نَحْنُ وَآبَاؤُنَا مِنْ دُونِهِ مِنَ الْحِجَارَةِ وَالْأَوْثَانِ وَأَمَرَنَا بِصِدْقِ الْحَدِيثِ وَأَدَاءِ الْأَمَانَةِ وَصِلَةِ الرَّحِمِ وَحُسْنِ الْجِوَارِ وَالْكَفِّ عَنِ الْمَحَارِمِ وَالدِّمَاءِ))

(مسند الإمام أحمد)

سيدنا جعفر رضي الله عنه يبين أن منظورة القيم الأخلاقية بعد الإيمان بالله هو جوهر دعوة النبي عليه الصلاة والسلام.

لذلك حينما كان عليه الصلاة والسلام مع أصحابه في سفر وأرادوا أن يعالجوا شاة فقال أحدهم: علي ذبحها وقال الآخر علي سلخها وقال الثالث: علي طبخها فقال عليه الصلاة والسلام ووعلي جمع الحطب، فقالوا: يا

رسول الله نكفيك ذلك، قال: أعلم أنكم تكفونني ولكن الله يكره أن ير عبده متميزاً على أقرانه وفي معركة بدر حينما كان أصحابه يزيدون على الألف وكانت الرواحل تقل عن ثلاثمائة راحلة أصدر النبي عليه الصلاة والسلام توجيهاً فقال: كل ثلاثة على راحلة، كلام طيب قال:

((عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ قَالَ كُنَّا يَوْمَ بَدْرٍ كُلُّ ثَلَاثَةٍ عَلَى بَعِيرٍ كَانَ أَبُو لُبَابَةَ وَعَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ زَمِيلَيْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ وَكَانَتْ عُقْبَةُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ فَقَالَا نَحْنُ نَمْشِي عَنْكَ فَقَالَ مَا أَنْتُمَا بِأَقْوَى مِنِّي وَلَا أَنَا بِأَغْنَى عَنِ الْأَجْرِ مِنْكُمَا))

(مسند الإمام أحمد)

هكذا كانت أخلاق النبي ﷺ.

أيها الاخوة الكرام: في الطائف حينما دعا أهل الطائف لهذا الدين العظيم بالغ أهلها في الإساءة إليه فسخروا منها ونالوه بالأذى المادي حتى قال في دعائه المشهور: إن لم يكن بك غضب علي فلا أبالي ولك العتبة حتى ترضى لكن عافيتك أوسع لي، ثم جاءه ملك الجبال فقال: يا محمد أمرني ربي أن أكون تحت إرادتك لو شئت لطبقت عليهم الجبلين فقال عليه الصلاة والسلام قولته الشهيرة: لا يا أخي اللهم اهدي قومي إنهم لا يعلمون، لعل الله يخرج من أصلابهم من يوحده، من يتبرأ من قومه انتسب إليهم قال: الله اهدي قومي ودعا لهم واعتزل عنهم ورجى لهم في المستقبل أن يوحدوا الله عز وجل.

أيها الأخوة الأحباب:

((عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ لَمَّا أَعْطَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا أَعْطَى مِنْ تِلْكَ الْعَطَايَا فِي قُرَيْشٍ وَقَبَائِلِ الْعَرَبِ وَلَمْ يَكُنْ فِي الْأَنْصَارِ مِنْهَا شَيْءٌ وَجَدَ هَذَا الْحَيُّ مِنَ الْأَنْصَارِ فِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى كَثُرَتْ فِيهِمُ الْقَالَةُ حَتَّى قَالَ قَائِلُهُمْ لَقِيَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَوْمَهُ فَدَخَلَ عَلَيْهِ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ

هَذَا الْحَيَّ قَدْ وَجَدُوا عَلَيْكَ فِي أَنْفُسِهِمْ لِمَا صَنَعْتَ فِي هَذَا الْفَيْءِ الَّذِي أَصَبْتَ قَسَمْتَ فِي قَوْمِكَ وَأَعْطَيْتَ عَطَايَا عِظَامًا فِي قَبَائِلِ الْعَرَبِ وَلَمْ يَكُنْ فِي هَذَا الْحَيِّ مِنَ الْأَنْصَارِ شَيْءٌ قَالَ فَأَيْنَ أَنْتَ مِنْ ذَلِكَ يَا سَعْدُ قَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا أَنَا إِلَّا امْرُؤٌ مِنْ قَوْمِي وَمَا أَنَا قَالَ فَاجْمَعْ لِي قَوْمَكَ فِي هَذِهِ الْحَظِيرَةِ قَالَ فَخَرَجَ سَعْدٌ فَجَمَعَ النَّاسَ فِي تِلْكَ الْحَظِيرَةِ قَالَ فَجَاءَ رِجَالٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ فَتَرَكَهُمْ فَدَخَلُوا وَجَاءَ آخَرُونَ فَرَدَّهُمْ فَلَمَّا اجْتَمَعُوا أَتَاهُ سَعْدٌ فَقَالَ قَدِ اجْتَمَعَ لَكَ هَذَا الْحَيُّ مِنَ الْأَنْصَارِ قَالَ فَأَتَاهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ بِالَّذِي هُوَ لَهُ أَهْلٌ ثُمَّ قَالَ يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ مَا قَالَةٌ بَلَغَتْنِي عَنْكُمْ وَجِدَةٌ وَجَدْتُمُوهَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَلَمْ آتِكُمْ ضُلَّالًا فَهَدَاكُمُ اللَّهُ وَعَالَةً فَأَغْنَاكُمُ اللَّهُ وَأَعْدَاءً فَأَلَّفَ اللَّهُ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ قَالُوا بَلِ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمَنُّ وَأَفْضَلُ قَالَ أَلَا تُجِيبُونَنِي يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ قَالُوا وَبِمَاذَا نُجِيبُكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَلِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ الْمَنُّ وَالْفَضْلُ قَالَ أَمَا وَاللَّهِ لَوْ شِئْتُمْ لَقُلْتُمْ فَلَصَدَقْتُمْ وَصُدِّقْتُمْ أَتَيْتَنَا مُكَذَّبًا فَصَدَّقْنَاكَ وَمَخْذُولًا فَنَصَرْنَاكَ وَطَرِيدًا فَآوَيْنَاكَ وَعَائِلًا فَأَغْنَيْنَاكَ أَوَجَدْتُمْ فِي أَنْفُسِكُمْ يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ فِي لُعَاعَةٍ مِنَ الدُّنْيَا تَأَلَّفْتُ بِهَا قَوْمًا لِيُسْلِمُوا وَوَكَلْتُكُمْ إِلَى إِسْلَامِكُمْ أَفَلَا تَرْضَوْنَ يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ أَنْ يَذْهَبَ النَّاسُ بِالشَّاةِ وَالْبَعِيرِ وَتَرْجِعُونَ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي رِحَالِكُمْ فَوَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَوْلَا الْهِجْرَةُ لَكُنْتُ امْرَأً مِنَ الْأَنْصَارِ وَلَوْ سَلَكَ النَّاسُ شِعْبًا وَسَلَكَتِ الْأَنْصَارُ شِعْبًا لَسَلَكْتُ شِعْبَ الْأَنْصَارِ اللَّهُمَّ ارْحَمِ الْأَنْصَارَ وَأَبْنَاءَ الْأَنْصَارِ وَأَبْنَاءَ أَبْنَاءِ الْأَنْصَارِ قَالَ فَبَكَى الْقَوْمُ حَتَّى أَخْضَلُوا لِحَاهُمْ وَقَالُوا رَضِينَا بِرَسُولِ اللَّهِ قِسْمًا وَحَظًّا ثُمَّ انْصَرَفَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَتَفَرَّقْنَا))

(مسند الإمام أحمد)

أيها الأخوة: هذه القصة تندرج في أي موضوع ؟ مع رحمته أم مع وفائه أم مع تواضعه أم مع حنكته في امتصاص المشكلة، كان عليه الصلاة والسلام قد أوتي من الخلق العظيم مالا سبيل إلى وصفه.

أيها الأخوة الكرام:

((عَنْ عَبَّادِ بْنِ شُرَحْبِيلَ قَالَ قَدِمْتُ مَعَ عُمُومَتِي الْمَدِينَةَ فَدَخَلْتُ حَائِطًا مِنْ حِيطَانِهَا فَفَرَكْتُ مِنْ سُنْبُلِهِ فَجَاءَ صَاحِبُ الْحَائِطِ فَأَخَذَ كِسَائِي وَضَرَبَنِي فَأَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَسْتَعْدِي عَلَيْهِ فَأَرْسَلَ إِلَى الرَّجُلِ فَجَاءُوا بِهِ فَقَالَ مَا حَمَلَكَ عَلَى هَذَا فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّهُ دَخَلَ حَائِطِي فَأَخَذَ مِنْ سُنْبُلِهِ فَفَرَكَهُ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا عَلَّمْتَهُ إِذْ كَانَ جَاهِلًا وَلَا أَطْعَمْتَهُ إِذْ كَانَ جَائِعًا ارْدُدْ عَلَيْهِ كِسَاءَهُ وَأَمَرَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِوَسْقٍ أَوْ نِصْفِ وَسْقٍ))

(سنن النسائي)

من أين عالج المشكلة ؟ من نهايتها أم من بدايتها ؟ وما أحوج العالم اليوم إلى أن يقتضي بهذا النبي الكريم ليحل المشكلات لا من نهايتها بل يحلها من بدايتها.

أيها الأخوة: فيما ورد في الأثر:

((صحابي آخر في أثناء الهجرة ألقي القبض عليه، فقال لمن قبض عليه عهد علي إن أطلقتموني لن أقاتلكم، فلما وصل إلى النبي ﷺ وقصى عليه ما حدث فرح به النبي عليه الصلاة والسلام، بعد سنوات عدة كانت غزوة فانخرط هذا المهاجر في جنود هذه الغزوة فرآه النبي قال له: ارجع ألم تعاهدهم.))

أيها الأخوة: النبي عليه الصلاة والسلام كان ذو خلق عظيم.

((أَخْبَرَنِي خَارِجَةُ بْنُ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ أَنَّ أُمَّ الْعَلَاءِ امْرَأَةً مِنَ الْأَنْصَارِ بَايَعَتِ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَخْبَرَتْهُ أَنَّهُ اقْتُسِمَ الْمُهَاجِرُونَ قُرْعَةً فَطَارَ لَنَا عُثْمَانُ بْنُ مَظْعُونٍ فَأَنْزَلْنَاهُ فِي أَبْيَاتِنَا فَوَجِعَ وَجَعَهُ الَّذِي تُوُفِّيَ فِيهِ فَلَمَّا تُوُفِّيَ وَغُسِّلَ وَكُفِّنَ فِي أَثْوَابِهِ دَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقُلْتُ رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْكَ أَبَا السَّائِبِ فَشَهَادَتِي عَلَيْكَ لَقَدْ أَكْرَمَكَ اللَّهُ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَا يُدْرِيكِ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَكْرَمَهُ فَقُلْتُ بِأَبِي أَنْتَ يَا

رَسُولَ اللَّهِ فَمَنْ يُكْرِمُهُ اللَّهُ فَقَالَ أَمَّا هُوَ فَقَدْ جَاءَهُ الْيَقِينُ وَاللَّهِ إِنِّي لَأَرْجُو لَهُ الْخَيْرَ وَاللَّهِ مَا أَدْرِي وَأَنَا رَسُولُ اللَّهِ مَا يُفْعَلُ بِي قَالَتْ فَوَاللَّهِ لَا أُزَكِّي أَحَدًا بَعْدَهُ أَبَدًا))

(صحيح البخاري)

لأن النبي عليه الصلاة والسلام إقراره تشريع، لو أنه سكت لكان كلامها صحيحاً.وأنا نبي مرسل لا أدري ما يفعل بي ولا بكم، هذا من تواضعه، بل كان إذا دخل عليه أحد الأعراب يسأل الحاضرين: من محمد منكم ؟ أيكم محمد ؟ ليست له علامة معينة ولا ثياب معينة ولا كرسي معين، كان مع أصحابه، من رآه بديهة هابه ومن عامله أحبه، وكان عليه الصلاة والسلام يقول أنا محمد، ومرة دخل أعرابي قال: أيكم محمد فقال أحد أصحابه ذاك الوضيء. كان عليه الصلاة والسلام في أعلى درجة من التواضع، قلبه ممتلئ رحمة، كان يصلي الفجر ومن عادته أن يطيل القرآن في صلاة الفجر:

((عن أَنَسِ ابْنِ مَالِكٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنِّي لَأَدْخُلُ فِي الصَّلَاةِ وَإِنِّي أُرِيدُ إِطَالَتَهَا فَأَسْمَعُ بُكَاءَ الصَّبِيِّ فَأَتَجَوَّزُ فِي صَلَاتِي مِمَّا أَعْلَمُ لِوَجْدِ أُمِّهِ بِبُكَائِهِ))

(سنن ابن ماجة)

((عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَعْفَرٍ قَالَ أَرْدَفَنِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَاتَ يَوْمٍ خَلْفَهُ فَأَسَرَّ إِلَيَّ حَدِيثًا لَا أُخْبِرُ بِهِ أَحَدًا أَبَدًا وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَحَبُّ مَا اسْتَتَرَ بِهِ فِي حَاجَتِهِ هَدَفٌ أَوْ حَائِشُ نَخْلٍ فَدَخَلَ يَوْمًا حَائِطًا مِنْ حِيطَانِ الْأَنْصَارِ فَإِذَا جَمَلٌ قَدْ أَتَاهُ فَجَرْجَرَ وَذَرَفَتْ عَيْنَاهُ قَالَ بَهْزٌ وَعَفَّانُ فَلَمَّا رَأَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَنَّ وَذَرَفَتْ عَيْنَاهُ فَمَسَحَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَرَاتَهُ وَذِفْرَاهُ فَسَكَنَ فَقَالَ مَنْ صَاحِبُ الْجَمَلِ فَجَاءَ فَتًى مِنَ الْأَنْصَارِ فَقَالَ هُوَ لِي يَا رَسُولَ اللَّهِ فَقَالَ أَمَا تَتَّقِي اللَّهَ فِي هَذِهِ الْبَهِيمَةِ الَّتِي مَلَّكَكَهَا اللَّهُ إِنَّهُ شَكَا إِلَيَّ أَنَّكَ تُجِيعُهُ وَتُدْئِبُهُ))

(مسند الإمام أحمد)

في أثناء الهجرة تبعه سراقة ليأخذ مائة ناقة لمن يأتي بالنبي حياً أو ميتاً، هو مهاجر مهدور دمه، مائة ناقة لمن يأتي به حياً أو ميتاً تقول له: يا سراقة كيف بك إذا لبست سواري كسرى.

أيها الأخوة المشاهدين دققوا في هذا الكلام: أي أني سأصل ثقة بالله عز وجل وسأنشئ دولة وسأحارب أقوى دولتين في العالم وسأنتصر عليهما وستأتيني كنوز كسرى إلى المدينة ويا سراقة لك سوار كسرى. أيها الأخوة الكرام: هذا غيض من فيض أخلاق الرسول الكريم ﷺ وينبغي أن نقول كما قال الله عز وجل:

﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ (4)﴾

(سورة القلم)

لولا أنه بشر تجري عليه كل خصائص البشر، لما كان سيد البشر، فهو سيد البشر لأنه انتصر على بشريته. أيها الأخوة الكرام: إلى لقاء آخر إن شاء الله والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.

والحمد لله رب العالمين

الفصل الثاني : ندوات مختلفة

ندوة (01) : العروبة والإسلام

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا هو موضوع ندوتنا لهذه الليلة، ومنذ أن شرف الله العرب بالإسلام وبحمل أمانته إلى الناس كافة وعبر القرون وهم مرتبطون بالإسلام ارتباطاً حميمياً لا تنفصم عراه، وعندما نقول الإسلام والعروبة فإننا لا نضع العروبة في مواجهة الإسلام وإنما نقصد هذه العلاقة الحميمية والوثيقة هذه العلاقة المتشابكة تشابك السدى واللحمة.

أيها الأعزاء أرحب في مستهل ندوتنا هذه بضيوفنا الكرام الأساتذة د. وهبة الزحيلي رئيس قسم الفقه الإسلامي ومذاهبه في كلية الشريعة بجامعة دمشق، الدكتور إحسان هندي الباحث والأستاذ في القانون وفي التاريخ، الأستاذ محمد راتب النابلسي الأستاذ المحاضر في كلية التربية بجامعة دمشق.

أهلاً ومرحباً بكم ضيوفنا الأعزاء.

د. وهبة الزحيلي نبدأ بسؤالكم عن الإسلام والعرب وهذه النقلة التي نقل الإسلام بها العرب من حال إلى حال، كيف كانوا قبل الإسلام وكيف أصبحوا بعده ؟

د. وهبة الزحيلي:

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ والحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه وبعد:

فإن التاريخ العالمي سيذكر دائماً بكل اعتزاز وفخار هذا التحول الخطير الذي حظيت به الجزرية العربية، وتكون لهذه الجزيرةِ مهمة قيادة العالم في اعتزازها وقيامها في تبليغ رسالة جديدة إلى أنحاء البشرية قاطبة، ولكن سوءِ الحظ الذي كانت به الشعوب العربية في الجزيرة العربية تعيش أسيرةً لحالتين أثرت في تكوينهما الحضاري الحالة الأولى هو العيش في مجتمع قبلي حضاري .

أدى كل ذلك إلى تمزق هذه الأمة والى وجود خلافات وحروب ومنازعات مستمرة لم تمكنهم هذه الحالة من أن يقيموا قاعدة لأمة أو دولة تقابل ما عليه الدول الأخرى الدولتان الكبيرتان في ذلك العصر الإمبراطورية الرومانية والإمبراطورية الفارسية، فكان هذا الوسط القبلي هو الذي أوجد هذا الشلل في القفزة الحضارية التي تضارع بها هذه الأمة الدول المجاورة والحالة الثانية أن هذه الأمة كانت فريسة مع الأسف الشديد للديانة الوثنية التي جعلت من هذا الوسط القبلي يفكر تفكيراً مخطئاً في كثير من الأمور الحياتية والقضايا العقدية والأحوال المعيشية فإذاً ظرف المجتمع القبلي وظرف البيئة الوثنية أدى الى وجود حالة من التشنجات الكثيرة ومن الغليان في قلب هذه الجزيرة العربية وأدى أيضاً الى شيء من الفوضى في نظام المجتمع، لكن حكمة الله ﷻ اقتضت أن هذه القيود وهذه السلبية لا تمنع من أن تؤهل هذه الأمة لحمل رسالة عالمية جديدة لأن لها مقومات عريقة ولها لغة سامية هي أفضل اللغات وأخصبها وأعظمها احتواءً لكل المعاني الخيرة والمعاني الكريمة في هذه الحياة، فكانت مقومات العرب بحق أهلتهم بأن يكونوا جند الرسالة وأن يكون لهم دور البناء ودور التكليف في القيام بنشر هذه الدعوة الجديدة التي كان فيها ضرف إنزال الوحي على نبينا محمد بن عبد الله ﷺ، من هنا نستطيع أن نقول إن مقومات الأمة العربية من الناحية الفردية باعتزازها بقيم وأخلاق وفضائل أهلتهم في الحقيقة لحمل هذه الرسالة فكانوا يتميزون بالجرأة والشجاعة والسخاء والصراحة والبأس وحماية العرض والذود عن الجار وحماية المستجير ويعد

بحق، نحن في العام الذي يحتفل فيه العالم بحقوق الإنسان وميثاق الأمم المتحدة، يعد حلف الفضول الإنساني أول وثيقة لإعلان حقوق إنسان في المجتمع العربي، فإذاً هذا المجتمع كان لا يغيب عنه مثل هذه الانفتاحات والاتجاهات نحو أن يكون أمة رسالة وأمة خير وأمة دعوة لذلك كان من حكمة الله ﷺ أن يكون هذا النبي من العرب والنبي يقول عن نفسه، " إن الله اصطفى كنانة من قريش واصطفى بني هاشم من قريش واصطفاني من بني هاشم فأنا خيار من خيار من خيار، حفظ الله له طهارة الأصل ونبل المحتد وعراقة القبيلة فهو من ارقى القبائل العربية وهي قبيلة قريش وكانت هي سيدة القبائل العربية، كل ذلك مكن من أن تكون هذه الرسالة فيهم، ولذلك يمتن الله سبحانه وتعالى على هذه الأمة حينما يقول:

﴿ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آَيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (2)﴾

[سورة الجمعة]

فإذا المقومات متوفرة والمنطلقات متجسدة فيهم ولذلك كانوا بحق جديرين بأن يكلفوا بعبئ حمل هذه الرسالة العظيمة للعالم أجمع وهي رسالة عالمية تختلف عن كل الرسالات السماوية السابقة إذ كانت تلك الرسالات محفورة في أقوال أنبيائهم وفي نطاق محدود، " كان النبي يبعث لقوم خاصة وبعثت للناس كافة "، لذلك وجود الرسالة فيهم في الحقيقة كان له مبررات ومسوغات كثير، لذلك كان هناك عطاء متبادل بين الإسلام وبين هذه الأمة، هذا العطاء أن الأمة العربية تعد بمثابة القاعدة للبناء، وجاء البناء يرسي أركانه على هذه القاعدة فاكتمل الأصل والفرع وكان العطاء عظيماً وخيراً وكبيراً ويستمر هذا العطاء مع مختلف أدوار التاريخ وعلى ممر الحياة الإنسانية، ومن هنا يقول الحق سبحانه وتعالى ممتناً على هذه الأمة بقوله:

﴿ وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ (44)﴾

(الزخرف 44)

﴿ لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَاباً فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ (10)﴾

(الأنبياء 10)

فإذاً تنويه بفضل الإسلام على العرب أمر لا ينكره أحد لأنه حقق نقلة كما أشرتم كبيرةً وانطلاقةً جبارةً بتلاقح هذه المقومات التي امتاز بها العرب مع النزعة الجديدة التي تمثلت بالقرآن العظيم وكان هذا التلاقح بين الاتجاهين محققاً لأفضل العطاءات المستمرة والدائمة والخالدة الى يوم القيامة.

المقدم:

شكراً دكتور وهبة، دكتور إحسان كما تفضل الأستاذ د. وهبة الله تعالى أعلم حيث يجعل رسالته ورسالة الإسلام نزلت على قوم مهيؤون وفيهم فصائل وفيهم مقومات تجعلهم أهلاً لحمل هذه الرسالة، وإن كانت هناك مقومات أيضاً تفضل بالإشارة إليها معطلة، جاء الإسلام ليضعها في الطريف الصحيح ولينقل العرب من حال العصبية والضعف الى حال الاتحاد والوحدة والقوة ومن حال الشرك والوثنية الى حال الإيمان، إذاً الإسلام وضع العرب على الطريف الصحيح لينطلقوا في بنائهم الحضاري الشامخ، بالمقابل ماهو دور العرب كحملة لهذه الرسالة لتبليغها إلى الناس كافة، ماهو دورهم في الإسلام وماهي نظرة الإسلام إليهم ؟

د. إحسان:

أحب قبل كل شيء أن أثني على ما ذكره أخي وعميد كليتي سابقاً الأستاذ د. وهبة الزحيلي، في نقطتين، النقطة الأولى هي، ما يمكن تسميته بالإنجاز العربي والذي سماه، ما كسبونتج، باسم المعجزة العربية المعجزة العربية حصلت خلال مائة أو مائتي سنة من الزمن وهي مدة قصيرة بعمر الحضارات وعمر الشعوب، كيف أمكن لهذه الدعوة أن تمتد على مسافة ستة آلاف كيلومتر نحو الشرف وستة آلاف كيلومتر نحو الغرب بدون العمق في ظرف لا يتجاوز مائتي سنة هذا معجزة بالإضافة الى المنجزات الحضارية طبعاً، هذه النقطة الأولى.

النقطة الثانية، قضية حلف الفضول تفضل وأشار الى حلف الفضول وأنه يمكن اعتبار هذا الحلف بمثابة أول صك لنقل يتناول حقوق الإنسان ويحددها بالمفهوم حتى العصير المتداول اليوم، درجنا نحن في كلية الحقوق وكلية القانون على القول إن أول صك في حقوق الإنسان كان الماغناكارتا، البريطانية بينما هذا الصك سبق الماغناكارتا بمئات السنين، ويسعدني هنا أن أقول إن واحداً من إخواننا العرب المسيحيين يهتم بهذا الموضوع ويشير إليه وكتب في عدة مجلات عربية وأجنبية حول أسبقية حلف الفضول بالنسبة الى جميع الوثائق التي تتناول حقوق الإنسان.

من حيث سؤالك حول فضل في نشر الدعوة الإسلامية، لقد شرف العرب بحمل الرسالة الإسلامية، قاموا بها على خير وجه وكما قلت ضحوا بالغالي والرخيص في سبيل نشر هذه الدعوة بأمانة ونشر هذه الدعوة بإخاء بدون ضغط بدون إكراه الى أن أوصلوا هذه الدعوة الى مسافة تتجاوز الإثني عشر ألف كيلومتر، بين أقصى المشرف وأقصى المغرب.

زميلي تفضل حول فضل الإسلام على العروبة، لا أدري إذا كان من الدقيق أن نقول بالمقابل فضل العروبة، (أنا قلت دور) نعم دور العرب المسلمين، لنقل إن العرب المسلمين هم من نشروا الدعوة الإسلامية وليس غيرهم، من أتى بعد ذلك من المسلمين غير العرب هم عرب باللسان وعرب بالحضارة وقدموا لحضارة الإسلامية شيئاً ما، هذا الإنجاز كان بفضل اللغة التي اكتسبوها، والعرب المسلمون هم من حملوا الرسالة وهم من أوصل الرسالة الى أقاصي الغرب وهم من كانوا رسل الحضارة ثم بعد ذلك أتى من المسلمين العرب من ساهم معهم في حمل هذه الرسالة بعد ذلك .

ومن هنا يبدو لي أن كلاً من الإسلام والعروبة جوهران متكاملان ومن الخطأ تماماً أن نفصلهما، ولا أدري إذا كان من الصحيح أن أشبههما بالتوأمين الصياميين، التوأمان الصياميان هما الذين يولدان ملصوقان الى بعضهما

ومن المميت ومن الخطر أن نقوم بفصلهما عن بعضهما، هذا الجوهر المزدوج، أنا لا أسميهما جوهران بل جوهر واحد، العروبة والإسلام عبارة عن وجهان لعملة واحدة ومن الخطأ محاولة تمييز العروبة عن الإسلام أو تمييز الإسلام عن العروبة، وهذا للإسف سيئة أو مطب وقع في بعض المفكرين في فترة معينة من أوائل هذا القرن، والحمد لله الآن أغلب المفكرين المسلمين وأغلب المفكرين العرب وأغلب المفكرين العرب المسلمين يصرون على هذا التلاحم يصرون على هذا اللحمة.

د. الزحيلي:

الحقيقة من المناسب أن نذكر أن حلف الفضول الإنساني أقره النبي ﷺ وقال " لقد حضرت في دار جلاء بن جدعان حلفاً ما أحب أن لي به حمر النعم ولو دعيت به في الإسلام لأجبت "، وهذا دليل التلاقح والتعاون والفكر، دليل على أن هناك فكر، الأمة العربية التي أنجبت مثل قادة الإسلام العظماء سواء في الجهاد قادة المعارك مثل خالد بن الوليد مثل في السياسة والإدارة وبناء الدولة مثل عمر بن الخطاب، هذه كلها أرضية من العرب فالإسلام نمَّاها واستطاع أن يحولها الى طاقة خيرة أوسع من النطاق الضيق الذي ذكرته، فإذاً الإسلام دوره تفعيل طاقات الأمة العربية وتحويلها من رقعة ضيقة الى نطاق العاليمة.

د. إحسان:

انتقل الإسلام لنقل من دعوة عصبية الى دعوة إنسانية، يعني هو الذي أمن لها البعد الروحي الإنساني.

المقدم: أيضاً دكتور، تفضلت قبل قليل أن العرب كانوا هم قاعدة الإسلام وهم جوهره وتاريخياً الواقع لو استعرضنا بعض أحداث التاريخ هناك نمرة خاصة في الإسلام الى العرب، مثلاً الدعوة الإسلامية التي ابتدأت في مكة المكرمة ثم في المدينة انطلقت قبل كل شيء لتحرر الجزيرة العربية من الشرك والوثنية قبل أن تنطلق

خارج الجزيرة العربية وقبل أن تمتد الدعوة الى خارج الجزيرة العربية، كأن هناك ملاحظة أن العرب هم مادة الإسلام وهم جوهره وهم جنوده.

د. الزحيلي: ومن هنا لم يقبل من مشركي العرب إلا أحد أمرين إما الإسلام وإما الحرب، على عكس الآخرين، وقتلوهم حيث ثقفتموهم وقاتلوا المشركين كافة، أي الوثنيين وهذا في الحقيقة قد يكون قسوة ولكن في صالحهم، فقد تكون القسوة طريقاً لإعداد جيل قوي متمرس يستطيع أن يتسلم زمام القيادة.

المقدم:

جيوش الإسلام كانت تصالح أحياناً في البلاد المفتوحة كانت تصالح الوثنيين والمشركين لقاء شرود وهدنه لكن من العرب لم يقبل هذا الأمر أبداً إما أن يكونوا مسلمين أو أهل كتاب.

د. إحسان:

ضمن شبه جزيرة العرب أحب هنا وقد أثرت نقطة صغيرة أحب أن أعقب عليها وهي قضية الهدنة والمهادنة، لنلاحظ أن في التفكير الإسلامي الهدنة يجب أن تكون مؤقته بمدة معينة، الغاية منها هي أنه خلال مدة الهدنة يتلمس الشعب الآخر غير المسلم محاسن الإسلام إنسانية الإسلام فيدخل في الإسلام، يعني حتى هذه كانت موظفة فكانت الحرف في سبيل الدعوة والهدنة كانت موظفة لكسب ود بقية الشعوب وإقناعهم بالدخول في الإسلام عن اقتناع كامل.

د. الزحيلي: نستطيع أن نضيف في الحقيقة ما يؤكد هذا التلازم والتلاحم العضوي أن النبي عليه الصلاة والسلام، في الحديث الصحيح يقول:

" إذا ذلت العرب ذلت الإسلام "، ويقول أيضاً في حديث آخر " أحبوا العرب لثلاث، لأني عربي والقرآن عربي ولسان أهل الجنة في الجنة عربي " أحبوا، يأمرنا، وربما الأستاذ راتب حفظه الله يحدثنا عن أهمية اللغة العربية في كونها وعاء للقرآن وللوحي الإلهي.

المقدم:

لكن قبل أن ننتقل الى هذه النقطة أيضاً لو توقفنا عند مثال أو أشرنا الى موقف عمر بن الخطاب من قبيلة تغلب، يعني هذا يدل على أن العرب لهم مكانة وأن التلاحم بين الإسلام والعروبة قائم وأن العروبة هي الجوهر فعلاً فيما يتعلق بقضية الإسلام.

د. الزحيلي:

لذلك الحكم الشرعي أنه لا جزية على عربي وبنوا تغلب رفضوا أن الجزية وقالوا نحن نؤديها صدقة فرحب عمر رضي الله عنه بذلك وراعى هذه العزة والمكانة في أنفسهم ونحن مع كل إنسان عزيز كريم على أن يفتح قلبه للقيم الكبرى من أجل إرساء معالم حضارة كبيرة .

د. إحسان:

لنستعرض أسماء القادة المسلمين قادة الفتح تجد أنهم كلهم على حق خالد بن الوليد، محمد بن القاسم الثقفي، كلهم على حق.

المقدم:

أستاذ راتب كما تفضل الدكتور الزحيلي، هذه الرسالة تشرف بها العرب، النبي محمد ﷺ نبي عربي، والقرآن هذا الكتاب العظيم الذي أنزل على النبي الكريم نزل بلسان مبين نزل بلسان عربي، وهذا هو أكبر تشريف للغتنا العربية، هذا أيضاً جانب من هذه العلاقة الحميمة بين الإسلام والعروبة.

الأستاذ راتب:

قبل أن أدخل في الموضوع أحب أن أنوه الى أن النبي ﷺ الذي رواه الإمام أحمد في مسنده فيقول: " يا سلمان لا تبغضني فتفارق دينك، قال يا رسول الله كيف نبغضك وبك هدانا الله، قال تبغض العرب فتبغضني "، أرأيت الى هذا التلازم الحميم والتلاحم بين العروبة والإسلام ثم إن سيدنا جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه حينما كان في الحبشة والتقى ملك الحبشة وسأله عن الإسلام، قال: أيها الملك كنا قوماً أهل جاهلية نعبد الأصنام ونأكل الميتة ونأتي الفواحش نسيء الجوار ويأكل القوي منا الضعيف، حتى بعث الله فينا رجلاً نعرف أمانته وصدقه وعفافه ونسبه، فدعانا الى الله لنعبده ونوحده نخلع ما كان يعبد آباؤنا من الحجارة والأوثان، وأمرنا بصدق الحديث وأداء الأمانة وصلة الرحم والكف عن المحارم والدماء ".

هذا النص البليغ الموجز يبين تلك النقلة التي انتقلها العرب بفضل الإسلام، والإسلام رفع من شأنهم وجعلهم قادةً للأمم، قضية التلاحم بين العروبة والإسلام، يقول عليه الصلاة والسلام " إنما بعثت معلماً إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق "، وفي هذا الحديث إشارة أن في الحياة سبقت الإسلام بعض القيم التي كان يعتز بها العربي، كالكرم والشجاعة والنجدة والحمية والصراحة، "إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق "، وفي حديث آخر يقول عليه الصلاة والسلام: " خياركم في الجاهلية خياركم في الإسلام إذا فقه " حينما خاطب أصحابه قال: " أسلمت على ما

أسلفت من خير ".

اذكر قصة قصيرة أن فارساً عربياً يمتطي جواده رأى في الصحراء اللاهبة رجلاً ينتعل رمال الصحراء المحرقة، رق له ودعاه الى ركوب الخيل، كان هذا لصاً من لصوص الصحراء، ما إن اعتلى ظهر الخيل حتى دفع صاحبها الى الأرض وعدى بها لا يلوي على شيء، أذكر هذه القصة لهدف دقيق، قال له صاحب الفرس يا هذا لقد وهبت لك الفرس ولن أسأل عنها بعد اليوم، ولكن إياك أن يشيع هذا الخبر في الصحراء فتذهب منها المروءة وبذهاب المروءة يذهب أجمل ما فيها فالنبي حينما قال بعثت لأتمم مكارم الأخلاق أشار الى أن هناك قيماً في الجاهلية أخلاقية وجاء الإسلام ليقر بعضها ويعدل بعضها الآخر وليلفت النظر الى قيم جديدة، فالإسلام نقل الأمة العربية نقلة نوعية سماها الدكتور معجزة.

أما أن اللغة العربية وعاء الإسلام يكفي أن الله سبحانه وتعالى خالق الكون اصطفى هذه اللغة لكلامه:

﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآَناً عَرَبِيّاً لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (2)﴾

(يوسف 2)

يكفي أن الآية الكريمة تشير الى لغة القرآن بلسان عربي مبين معنى مبين أي واسع البيان، أعداء الأمة يعترفون مرغمين بأن اللغة العربية من أرقى اللغات الإنسانية، من أرقى اللغات المتصرفة، فمن أبرز خصائصها مثلاً دقة التعبير، قد نستخدم كلمة نظر وقد نستخدم كلمة رأى والرؤيا تشمل رؤية القلب، رأيت العلم نافعاً، أما أذا قلنا حدج، حدج نظر مع المحبة، وفي الحديث الشريف، " حدث القوم ما حدجوك بأبصارهم "، أما أذا نظر الى الشيء واستشفه نقول استشف تلمسه بيده أما أذا نظر وتمطى نقول استشرف، أما أذا اتسعت حدقة عينه نقول حدق، أم إذا ظهر حملاق عينه نقول حملق، أما إذا لاح الشيء واختفى نقول لاح، أما إذا نظرنا وأعرضنا نقول لمح، أما إذا نظرنا مع الخوف نقول شخص، أما إذا نظرنا في السخرية نقول نظر شزراً.

هذه الدقة البالغة في التعبير، لماذا قال الله عز وجل لعلكم تعقلون يعني كلمة اللغة العربية أي أنها واسعة البيان، بلسان عربي مبين فاللغة العربية تختص بخصائص تعد فريدة من بين اللغات الإنسانية من هذه الخصائص دقة التعبير، منها الحركات، أقل الإعراب الحركة في أصل الكلمة في حروفها الداخلية، فالبَر اليابسة البُر القمح البِر الإحسان قَدام سبقه بقدمه، قدُم أصبح قديماً، الخَلْق الخُلُق الخَلِق، هذه الفروقات الدقيقة في الحركة تقلب المعنى رأساً على عقب، المنصِب والمنصَب وبينهما بون شاسع، ثم إن الإعراب، (إنَّما يخشى اللهَ منْ عِبَادِهِ العُلَمَاءُ)، ضمةٌ جعلت العلماء هي الفاعل ولولا الإعراب لكان المعنى فاسداً، إنما يخشى الله من عباده العلماء، (وجعلَ كلمةَ الذين كفروا السُفلى، وكلمةُ الله هي العليا) لم يقل وكلمةَ، لأن كلمة الله عليا دائماً لم تتحول من حال الى حال، ففي اللغة العربية دقة بالغة تتعلق بالحركات والحركة كما تعلمون حرف صوتي مخطوف، الضمة واو مخطوفة والفتحة ألف مخطوفة والكسرة ياء مخطوفة، فهذه الحركات تنطوي على معان دقيقة جداً. من خصائص اللغة العربية أن الحرف العربي له معنى في ذاته وكل كلمة فيها سين فيها شيء نفسي، السر والأنس والحس واللمس والوسواس، كل كلمة فيها غين شيء اختفى غاب عن الأنظار، فيها راء فيها تتالي، فرَّ مرّ، كرَّ، جرَّ، فيها قاف فيها اصطدام، الإنسان حينما يغرق اختفى عن الأنظار وضعت الغين، تتالى سقوطه وضعت الراء، اصطدم بالقاع وضعت القاف، ثم إن الأصل اللغوي كما تعلمون أصل ثلاثي وكل كلمة ثلاثية لها ست تقاليب، اكتشف علماء اللغة أن بين كل التقاليب معنىً مشتركاً واحداً، فعَلِمَ و لَمَعَ و مَلَعَ، التقاليب الستة يجمع بينها معنىً مشتركاً، الظهور بعد الخفاء، فالعلم إشراقة وقفزة في المجهول.

وهناك شيء دقيق جداً في اللغة أن طلابنا في المدارس الآن يقرأون شعر مرئ القيس وقد قيل من قبل ألف وخمسمائة عام.

يالك من ليلٍ كأن نجومـــه بكل مغار الفتل شدت بيذبــل

إلا أيها الليل الطويل ألا انجل بصبح وما الإصباح منك بأمثل

هذا شعر قيل قبل ألف وخمسمائة عام وطلابنا في الصف العاشر يقرأونه ويفهمونه، بينما شعر شكسبير الذي ظهر بالقرن السادس عشر لا يستطيع بريطاني واحد الآن أن يفهمه من دون ترجمة، يترجم الشعر الإنكليزي من اللغة الإنكليزية القديمة الى اللغة الإنكليزية الحديثة، إذاً فضل الإسلام على العروبة ثبات لغتها، شيء لا يصدق أن هذا الشعب العربيَ لغته ثابتة عبر القرون والعصور، فالحقيقة ربنا سبحانه وتعالى حينما قال

﴿ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ (195)﴾

(الشعراء 195)

﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآَناً عَرَبِيّاً لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (2)﴾

(يوسف 2)

هذا مما يؤكد أن هذه اللغة شرفها الله عز وجل حينما كانت وعاءً لكلام الله عز وجل وللوحي الذي أنزله على نبيه عليه الصلاة والسلام.

المقدم:

أيضاً هذا مدار فخر لنا نحن العرب، حيثما ارتفع مسجد في أقاصي الأرض ترتفع منارة للغة العربية، حيثما وقف مسلم ليصلي فإنه سيتلو القرآن بالعربية، يعني كأن كل مسلم يمت بصلة ما بشعور ما الى العربية والعرب.

الأستاذ راتب:

هذه الفكرة تعد أحدث نظريات اللغة، أن الإنسان حينما يتكلم بلغة أخرى يتشبع بأفكارها وثقافة أهلها وقيمهم وعاداتهم، أشار الى هذه الحقيقة التي اكتشفها علماء اللغة مؤخراً، أشار النبي عليه الصلاة والسلام إليها قال: " من تكلم العربية فهو عربي ".

معنى ذلك أن المسلمين الذين ليسوا عرباً حينما يقدسون هذه اللغة لانتمائهم الى هذا الدين العظيم حينما يقدسونها ويتعلمونها صاروا حكماً كالأمة العربية، من تكلم العربية فهو عربي.

د. الزحيلي:

أنا أريد أن أؤكد ما تفضل به الأستاذ راتب الحقيقة هناك حديث موجز مختصر يقول: " حب العرب إيمان وبغضهم نفاق ". هذا شيء والشيء الثاني لا أؤيد الأستاذ راتب بأن اللغة العربية هي من أرقى اللغات بل أقول هي أرقى اللغات وأفصحها، فهي لغة السياسة والحكم والغزل والعشق والغرام ولغة العلم، وبعض الناس يشككون أن هذه اللغة في العصر الحاضر لا تستطيع أن تقوم بواجبها نحو احتواء العلوم والمخترعات الحديثة وهذا تقصير من مجامع اللغة العربية وأساتذة اللغة العربية، ثم إن هذه العظمة للغة العربية هي التي جعلت القرآن الكريم معجزة النبي عليه الصلاة والسلام الى يوم القيامة في أنه تحدى العرب بأن يأتوا بمثل هذا الكتاب أو يأتوا بسورة منه أو بعشر سورة منه ليكون ذلك دليلاً وبرهاناً قاطعاً على أن هذا كلام الله ﷻ، وكل مسلم كما أشرتم لا يصح له في صلاته إلا أن يتلو آيات القرآن والأدعية في صلاته إلا باللغة العربية ومن هنا يقول الإمام الشافعي، فرض على كل مسلم أن يتعلم من اللغة العربي ما يمكنه من أداء العبادة، ويقول الإمام الشافعي أيضاً رقة اللغة العربية، " ومن تكلم اللغة العربية رق قدره "، هذه الرقة وهذا اللطف وهذا التجانس وهذا السمو في

المشاعر تعابير لا نكاد نجدها في أي لغة حينما نجد شعراءنا وأدباءنا وكتابنا يتكلمون عن أمور في غاية العمق وفي غاية الدقة كما أشار الأستاذ راتب وفي غاية الرصانة وفي غاية الحفاظ على تماسك الشخصية فلا تكاد تجد عربياً يتكلم بلغة فصيحة وهو محدود الشخصية، فإذا اللغة تكون الشخصية وتحقق بناءً ذاتياً وبناءً حضارياً، فإذا اللغة في الحقيقة كان لها دور كبير في تفاعل الأمة العربية واحترامها لرسالة السماء ونقلها للأمم ولشعوب الأخرى.

المقدم:

أيضاً الله سبحانه وتعالى أعلم حيث يجعل رسالته سوءٌ في اصطفاء النبي عليه الصلاة والسلام أو في اصطفاء العربية لغةً للقرآن.

الأستاذ راتب:

أريد أن أعقب على ما تفضل به الدكتور وهبة، فيما يبدو للناس متوهمين أن هناك لغات أجنبية واسعة الانتشار، الحقيقة هذه اللغات خدمت خدمات لا توصف، فهذه الخدمات الكبير هي سبب أنها انتشرت واتسع نطاقها، وحينما نقول أن اللغة العربية من أرقى اللغات، هي الحقيقة أرقى اللغات إلا أننا مقصرون في خدمتها، ولو أتيح للغة العربية واحد بالمئة من الخدمات التي قدمت لغير اللغة العربية لكانت اللغة الأولى في العالم، فأنا ما قصدت إلا أننا مقصورون نحو لغتنا.

المقدم:

العرب تراجعوا حضارياً في هذا العصر فتراجعت معهم لغتهم لكنها في أصلها لغة قابلة لاستيعاب العلوم الحديثة.

الأستاذ راتب:

والدليل أن جامعاتنا في سورية تستخدم اللغة العربية كلغة أساسية في كل العلوم، والفنون والطب والهندسة والفلك وهي مفخرة.

د. الزحيلي:

وهذه مفخرة لم يسبقنا إليه أحد من الدول العربية أن التعليم في كل معطياته من التقنيات الحديثة وعلوم الطب والكيمياء والفيزياء والجيولوجيا والهندسة والعلوم الإنسانية وغير الإنسانية في الحقيقة باللغة العربية وهذا سبق حضاري لن يفوقه أحد.

الأستاذ راتب:

لقد عثرت على قول لسيدنا عمر رضي الله عنه " تعلموا العربية فإنا من الدين ". يعني جزءِ من دين الإنسان أن يتعلم العربية ليفهم كلام الله، فمثلاً الآية (أَنَّ اللهَ بَرِيءٌ مِنَ المُشْرِكِينَ ورَسُولُهُ) لو قال ورسولهِ لفسد المعنى، ورسولهُ بريءُ أيضاً من المشركين، فمن أجل أن نصلي من أجل أن نقرأ في صلاتنا قرأةً صحيحة لابد من حد أدنى من تعلم اللغة العربية.

المقدم:

من أجل هذا أيضاً كان هناك تشدد في اللحن، اللحن يقود الى معاني فاسدة وخاطئة وخطيرة.

الأستاذ راتب:

في عهد النبي ﷺ، لحن أحد الأعراب فقال عليه الصلاة والسلام بأدب جم، " أرشدوا أخاكم فإنه قد ضل "، عد

اللحن ضلالاً.

د. إحسان:

هل ممكن أن أضيف تحفظين في عكس التيار، التحفظ الأول هو أن اعتزازنا باللغة العربية وتدريسها في جامعة دمشق وأنها اللغة الوحيدة في المعتمدة في تدريس العلوم ونجاحنا في ذلك يجب أن لا ينسينا أهمية اللغات الأجنبية وتعلمها، يعني لا أريد أن يمر هذا الكلام أننا معتزون جداً بلغتنا العربية أنا أيضاً معتز بلغتي العربية ولكني بحمد الله أجيد لغتين أو ثلاث لغات أجنبية وهذا أفضل، فإجادة لغات أجنبية الى جانب اللغة العربية شيء ضروري اليوم.

المقدم: هذه مسألة بديهية .

الأستاذ راتب: من تعلم لسان قوم أمن مكرهم.

المقدم: هناك لغات العلم ينتشر بينهم وهي التي.

د. إحسان: أنا أخاف أن يفهم البعض أن اعتزازنا باللغة العربية.

المقدم: اعتزازنا باللغة هو من قبيل الاعتزاز بالهوية من قبيل الاعتزاز بحضارتنا بشخصيتنا.

الأستاذ راتب: يعني أنا أذكر أنه لا يسمح لشركة صناعية أن تسمي شركتها باسم أجني هذا في سورية فقط.

د. إحسان:

والثانية هي قضية النظرة العربية الواسعة وخاصة نظرة القومية النظرية القومية العربية المعاصرة النظرة المتسعة لتحديد العرب لتحديد المفهوم العربي، فنظرية القومية العربية المعاصرة تشمل كل إنسان يتكلم اللغة العربية

ويشعر بآمال وأهداف وآلام الأمة العربية، فهذا ليس من الضروري أن يكون جده عدنان وقحطان لكي يكون عربياً، ولكنه الآن يتكلم اللغة العربية ويشعر بآمال وآلام الأمة العربية.

المقدم: هو كلمة التكلم كما تفضل الأستاذ راتب تنطوي على معنى الشعور الإحساس بالانتماء.

د. إحسان:

هذا شيء لا بد منه، ثم عفواً، أيضاً ذكرني الأستاذ بمثال شكسبير أحب أن أقول أنني مررت بمشكلة من هذا النوع وعانيت مشكلة من هذا النوع، أردت أثناء دراستي للأدب الفرنسي أن أقرأ نصوصاً فرنسية قديمة، كان منها نص لمؤلف اسمه . لابلي . عاش في القرن السادس عشر، له كتاب لم أفهم مع الاستعانة بالمعجم حتى عشر، يعني الوقت ليس بعيد بيننا المرحلة ليست أكثر من أربعمائة سنة لم أفهم حتى عشر الكلمات بالرغم من أنني مجاز في الأدب الفرنسي لم أفهم إلا عشر الكلمات والتردد للأستعانة لترجمات أخرى في هذا المجال.

المقدم:

القرآن هو الذي حفظ اللغة من الضياغ والاندثار عبر القرون على كثرة ما تعرض وطننا العربي من غزوات استعمارية حاولت أن.

د. الزحيلي:

حفظ اللغة وحفظ عزة الانتماء للوطن والبلد والأم، فعروبة الجزائر هي التي جعلتهم يقفون صامدين أما جيوش حلف الأطلسي وعروبة كثير من الدول التي تحررت من نير الاستعمار إنما كان هو الدافع القوي للحفاظ على هوية واستقلال هذه الشعوب.

د. إحسان:

لذلك لا غرابة إذا قلنا إنها لحمة لأنها سببت التلاحم.

المقدم:

كما تفضل الأستاذ راتب طالبنا اليوم يفهم نصوصاً من الشعر الجاهلي لأنها ظلت محفوظة ومتداولة عبر الأجيال وإن كان يجد غرابة ففي بعض الأسماء أو بعض الكلمات التي لم تعد مستعملة بكثرة كما كانت.

الأستاذ راتب: اللغة اللاتينية أصبحت عدة لغات.

د. الزحيلي:

وهذا يؤكد خطأ النظرة التي ينكر فيها بعض الأدباء مع الأسف الشديد وجود الشعر الجاهلي، فالشعر الجاهلي بما تميز به من الخصائص الفصيحة وتلك المعلقات التي كانت تعلق على أستار الكعبة المشرفة كل ذلك دليلاً على أن هذه اللغة موصولة النسب في مادتها وفي اشتقاقها وفي أحداثها وغاياتها، وأن القرآن الكريم حينما حفظ كما أشرتم للعرب هذه اللغة من الاندثار والضياع يؤكد لهم دائماً وأبداً أن الدعوة الى العامية كما يحاول بعض الأدباء المحدثين أنها دعوة متحررة ودعوة صحيحة ودعوة كل ذلك في الحقيقة هي خيانة للعربية و للأمة العربية وللإسلام في آن واحد.

المقدم:

هذه الاستطرادات جميلة، هي ليست في صلب الموضوع ولكنها تمت إليه بنسب.

د. إحسان:

في أحد الأيام بإحدى المدن الفرنسية صادفني عامل جزائري، في عام 1953 بدقة قبل الاستقلال وألقى علي سؤالاً بعربيته ولهجته فلم أفهم منه شيئاً، لآن لما أذهب الى الجزائر وأتكلم بلغة نصف فصحى يفهمني الجميع وأفهم الجميع، فمجرد أن ننتقل الى اللغة العربية الفصحى نصبح شعباً واحداً وأمة واحدة من الماء الى الماء، بمجرد أن نستخدم العامية معنى ذلك أننا قطعنا وجزأنا وميزنا.

د. الزحيلي:

وكلمة جوهرية في هذا الموضوع أريد من اصل عرض هذا الموضوع العروبة والإسلام أنه ينبغي أن لا ننسى أن فكرة اندماج وتلاحم العروبة بالإسلام لا يعني بحال من الأحوال وجود ما يسمى بالتمييز العنصري أو التميز الطبقي أو أننا نوجد تناحراً جديداً بين عرب وإسلام وإنما هناك في الحقيقة تكامل، فالإسلام سوى بين جميع المنتمين إليه، والإسلام هو الذي جعل كل هذه القوى العظيمة تخدم هدفاً إنسانياً رائعاً نبيلاً وشاملاً فالله سبحانه وتعالى حينما يقول في سورة الحجرات

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ (13)﴾

(الحجرات 13)

جعل أساس التفاضل في الأعمال هو التقوى والعمل الصالح، وهذا لا يعني التمييز العنصري، هناك فرق بين التمييز وبين التفاضل في سبب المقومات، هناك تميز ولا يخل في عنصر المساواة، هناك تميز في العمل الصالح في البناء والإنتاج والعطاء والتقديم، هناك تميز في المواهب هناك أيضاً رتبة العلم والعلماء، وهذا لا يؤدي أيضاً الى وجود طبيعة في المجتمع، هناك أيضاً فئة يقدمون لأمتهم من أغلى ما يقدم من تضحيات عالية

سواء بالفكر أو بالعمل أو بالنضال أو بالدفاع عن مقومات الأمة و مقدراتها كل هذا في الحقيقة هو محل تقدير ينبغي أن لا يظن أحد أن هذا يعد لوناً من ألوان التمييز العنصري، نحن في بوتقة الإسلام صورت كل هذه النزعات وحولت نحو وجهة إنسانية سامية وأصبح العرب هم القاعدة والأساس ولكن بدون أن يشعر أحداً أن هذا يعني التفضيل، تفضيل العرب على العجم، لا فضل لعربي على أعجمي إلا بالتقوى، وإنما الإنسان ونتاجه والإنسان وعطاؤه والإنسان بمقدار ما يقدم لأمته ويكون سبباً لتميزه وسبباً لمحبة وتقدير الآخرين له.

المقدم:

المسألة ليست مسألة تمييز وإنما مسألة تقرير تاريخ وتقرير دور للعرب في أنهم حملة رسالة وفي أنهم القاعدة لهذه الرسالة، واعتزازنا بعروبتنا لا يتناقض تماماً مع اعتزازنا بالإسلام ولا يتناقض مع إنسانيتنا وليس من قبيل الأنانية ولا من قبيل العصبية أو من قبيل الشنفونية.

د. الزحيلي:

كذلك نحن لا نسمح بما يسمى بالشعوبية وهي تفضيل غير العرب على العرب والتركيز على تصيد مثالبهم وعيوبهم والانتقاص من أقدارهم فهذا لا نسمح به في حال من الأحوال، فنحن حينما نعتز بأصلنا لا يعني أننا نغمط حقوق الآخرين، وكذلك لا نسمح للآخرين أن ينتقصوا من أقدارنا ومن عروبتنا وأصالة انتمائنا الى هذه الأمة.

المقدم:

هناك نقطة قبل أن يستدركنا الوقت أحب أن نتوقف عندها أيضاً في العلاقة ما بين العروبة والإسلام هي هذا البعد الحضاري المتجسد فيما نسميه الحضارة الإسلامية والتي هي في الواقع وبالمدلول نفسه حضارة عربية فهذه

نقطة أحب أن نتوقف عندها.

د. إحسان:

أنا في رأي المتواضع سواءً قلنا الحضارة العربية سواءً قلنا الحضارة الإسلامية والأفضل أن نقول الحضارة العربية الإسلامية وكلها مترادفات وأحب هنا أن أركز على دور اللغة في الإبداع، الإنسان يبدع بلغته فعن نطريق هذه اللغة يمكن أن يقدم نتاجه الفكري أذا كان هذا النتاج أبداعاً أو لم يكن أبداعاً، ومن هنا فإن جميع من ساهموا في الحضارة العربية الإسلامية هم على قدم سواء ويمكن اعتبارهم عرباً سواء أسهموا في الحضارة العربية سواءً كانوا من العرب الأقحاح سواء كانوا من المسلمين غير العرب، فكل هؤلاء هم عرب وكلهم صنعوا الحضارة العربية.

المقدم:

هناك من يدعي أن هناك حضارة إسلامية وليست هناك حضارة عربية، وهو قول فاسد وقول متجن في الواقع، وطالما أن هؤلاء الذي أبدعوا عاشوا في ظل حضارة عربية وفي ظل تراث عربي وكانت أقلامهم وألسنتهم عربية.

د. إحسان:

وكتبوا بالعربية، عن طريق هذا الوعاء الفكري تمكنوا من إبداع وإيصال ما يريدون قوله، ولذلك فالفضل يعود الى اللغة العربية والى الحضارة العربية ككل،وكون بعض المبدعين ممن أسهموا في الحضارة العربية الإسلامية من غير العرب فهذا لا يضير الحضارة العربية ولا ينتقص منها لأن كل هذه الحضارة هي جسد واحد سميناه باسم الحضارة العربية الإسلامية.

د. الزحيلي:

مما يؤكد ما تفضل به د. الهندي، الحقيقة هناك تكامل،العطاء ينبغي أن لا يقتصر على فئة دون فئة فمما لا شك فيه أن التاريخ الإسلامي يعتز بعطاء العرب وغير العرب وكلهم أسهموا في جوانب متعددة ولكن الذي أريد أن أؤكده أن قوة الدولة وعظمة الأمة وتسطير سجلات الخلود لهذه الأمة إنما تم في الحقيقة على أيدي المجاهدين من هذه الأمة فالجهاد وحمل راية الجهاد ولواء التضحية من أجل فتح القلوب وفتح بلاد العالم على أسس سلمية وإقناعية وحضارية إنما هو في الحقيقة الذي مثل هذا الدور هم العرب مما لا شك فيه. الجانب الآخر جانب الابتكارات العليمة الحقيقة أسهم العرب إسهامات طيبة وغير العرب كان لهم مثل هذا الدور المشرف لأنه لم يكن أي واحد يشعر أنه غريب عن هذه الأمة، وهذه هي عظمة الإسلام أنه استطاع أن يستفيد من كل هذه الطاقات و إن يصبها باسم قالب واحد وبنتاج واحد ومن أجل تحقيق هدف واحد.

الأستاذ راتب:

يقول عليه الصلاة والسلام تأكيداً لما قاله الدكتور الزحيلي " أنا جد كل تقي ولو كان عبداً حبشياً "، " سلمان منا آل البيت "، " نعم العبد صهيب لو لم يخف الله لم يعصه "، " بل إن سيدنا الصديق حينما أعتق بلالاً من سيده وضع يده تحت إبطه وقال هذا أخي حقاً.

ولا نستغرب أن يخرج عمر بن الخطاب عملاق الإسلام الى ظاهر المدينة ليستقبل بلالاً، هذا كله يؤكد أن مضمون الإسلام إنساني واعتزازنا بإمتنا لا يلغي ما قدمه الأخرون من جهد.

المقدم:

إذاً في نهاية هذه الجلسة الجملية لو حاولنا أن نلم أطراف الحديث وأن نلخص ما دار فيها بكلمات وجيزة نقول أن الإسلام والعروبة هما شيء واحد أو هما أمران متلازمان ولا تعارض بينهما وإن اعتزازنا بعروبتنا وفي نفس الوقت ينطوي على اعتزاز بالإسلام، لأن الإسلام إذا كان بالنسبة للعربي المسلم ديناً وتراثاً وحضارةً وتاريخاً فإنه بالنسبة للعربي عامة، وأقول العربي غير المسلم هو تراث وحضارة وتاريخ إذاً هذا هو الإسلام وهذه هي العروبة وهذه هي العلاقة الوثيقة بينهما والواقع أيضاً اعتزازنا بالعروبة ليس نابعاً من عصبية ولا أنانية ولا إلغاء لآخرين ولأدوار الآخرين، فالعروبة هي نزعة إنسانية وحضارية في الوقت ذاته وهي والإسلام متشابكان تشابك السدى واللحمة.

أيها الأعزاء ختاماً لهذه الندوة التي دارت حول العروبة والإسلام والعلاقة والوثيقة بينهما أتوجه بالشكر الجزيل لضيوفنا الأعزاء الأستاذ الدكتور وهبة الزحيلي رئيس قسم الفقه الإسلامي ومذاهبه في كلية الشريعة بجامعة دمشق، الأستاذ الدكتور إحسان هندي الباحث في القانون وفي التاريخ والأستاذ فيهما، والأستاذ محمد راتب نابلسي الأستاذ المحاضر في جامعة دمشق، وشكراً.

والحمد لله رب العالمين

ندوة (02) : رمضان

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

المقدم: في هذا الشهر الفضيل الشهر المبارك شهر رمضان تتحدث مع ضيفين كريمين، مع الأستاذ راتب النابلسي ومن والدكتور محمد الزحيلي، أهلاً ومرحباً بكما، الحديث سيكون حول رمضان كعبادة رمضان كفريضة، رمضان كخلق اجتماعي وخلق سلوكي وخلق إنساني نبدأ بموضوع، وأرمي هذا الموضوع في الهواء وتلتقطوه بالطريقة التي تشاؤون، أهلاً وسهلاً بكم، رمضان يقال أنه توقف عن الطعام والشراب من فترة إلى فترة، معروف أن رمضان والصيام ليس هذا فقط وإنما هناك أبعاد لرمضان صيام عن قضايا كثيرة، الموضوع مفتوح ونأمل منكم تعليق على هذا الموضوع.

الأستاذ راتب:

الصيام ترك الطعام والشراب وسائر المفطرات من طلوع الشمس إلى غياب الشمس بنية العبادة، ولكن الله سبحانه وتعالى حينما أمرنا أن ندع المباحات والطعام الشراب مباح، حينما أمرنا أن ندع المباحات أراد من ذلك أن نتوصل إلى ترك المحرمات، " فمن لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة أن يدع طعامه وشرابه " أراد الله سبحانه وتعالى أن يكون هذا الشهر تدريباً على طاعة الله من أجل أن نقطف ثمار هذه الطاعة شعوراً بالقرب وتألقاً بالنفس وكأن الله سبحانه وتعالى أراد أن ينسحب هذا الشهر على كل أشهر العام، فكأنه قفزة نوعية تعين الإنسان على أن يرتقي إلى المستوى الذي أراده الله به فإن الله سبحانه وتعالى يقول:

﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ (56)﴾

[سورة الذاريات]

إنه حينما يصطفي زماناً كرمضان، يريد الله سبحانه وتعالى أن يشيع هذا الصفاء في كل أشهر العام، و حينما

يصطفي مكاناً كبيت الله الحرام يريد الله سبحانه وتعالى أن يشيع هذا الصفاء في كل مكان، و حينما يصطفي إنساناً كسيد الأنام أراد الله سبحانه وتعالى أن يكون نموذجاً يحتذى ويقتفى أثره، وأن يكون مثلاً أعلى لكل إنسان، فالإنسان هو المقصود في كل عبادة، والعبادات في الإسلام معللة فإذا خلت من التعليل أصبحت طقوساً لا معنى لها، قال تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (183)﴾

المقدم:

دكتور الزحيلي، العبادة فريضة، رمضان صيام فريضة، وبنفس الوقت تحدث الأستاذ راتب النابلسي هناك عنصر عبادة في الموضوع لنتحدث عن هذا الأمر ونسلط عليه الأضواء إذا سمحت.

الزحيلي:

الحقيقة أن شهر رمضان أولاً شهر خطير وهو أفضل الشهور عند الله سبحانه وتعالى ولذلك اختار الله الصيام كعبادة ليكون هذا الشهر الخطير ليلتقي عنصر الزمان والعبادة ولتكون العبادة في أفضل أوقاتها وأفضل الشهور عند الله سبحانه وتعالى، وأن الله عندما فرض رمضان بمعنى أنه أمرض مفروض مقطوع وبالتالي فهو يجب على كل مسلم أن يصوم بعينه كما يقول الفقهاء فهو واجب عيني ن فلا يجوز لمسلم أن يترك هذا الصيام وهذا الشهر إلا إذا كان لعذر التي قررها الشرع وجاء بها الإسلام، والعبادات كما تفضل الأستاذ راتب أنها معللة والعبادات في الإسلام متنوعة من عدة جوانب فعض العبادات جسدية بعضها مالية وبعضها تجمع بين الجسد والمال، ومن هنا فإن العبادة متنوعة أيضاً من جهة أخرى أن بعضها فريضة لا يجوز تركه وبعضها سنة ومندوب لمن شاء أن يتطوع ويأخذ بهذا وقد جمع ذلك الحديث الشريف القدسي، قال الله تعالى " من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب، (ثم قال) وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته....، وقال وما تقرب

إلي عبدي بأفضل مما افترضته عليه "، فهذه هي الفريضة أولاً ثم يأتي النفل ثانياً، وهذه العبادة الحقيقة هي مكملة العبادة الرئيسية في الإسلام اليومية أو التي تتكرر في اليوم خمس مرات وهي الصلاة وهذا ما يحس به اليوم مع كثير من التقصير في الصلاة أحياناً ومع ذلك فإن فضيلة شهر رمضان وهذه العبادة العظيمة للصيام تذكر الناس جميعاً بالعودة إلى ربهم والى دينهم والى عبادتهم، ومن هنا فتكثر الصلاة وتمتلئ المساجد في شهر رمضان المبارك، وتمتاز أيام رمضان بعبادة خاصة نسميها فاكهة رمضان وهي قيام الليل أو ما يسمى صلاة التراويح، كما أن العبادة في رمضان شائعة بين الناس جميعاً والحمد لله المتعلم وغير المتعلم والكبير والصغير وهي تلاوة القرآن المقترن بشهر رمضان وهو شهر القرآن كما قال الله سبحانه وتعالى وأن الرسول عليه الصلاة والسلام كان يكثر من تلاوة القرآن وخاصة في رمضان وكان جبريل عليه الصلاة والسلام ينزل عليه في رمضان لتدارس القرآن الكريم كما أن العبادة المتنوعة في رمضان بكثرة الدعاء، والدعاء مخ العبادة ومن هنا وردت في ضمن آيات الصيام في سورة البقرة:

﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ (186)﴾

[سورة البقرة]

ولذلك يتجه الناس بإخلاص ونية طيبة وتوجه إلى الله سبحانه وتعالى أن يفرج عنهم وأن يعطيهم خيري الدنيا والآخرة وأن يجمع بينهم وأن يحقق النصر لهم ولأمتهم.

واضح أستاذ راتب أن حالة العبادة هذه هي حالة خاصة وتنشر طيفها داخل المتعبد داخل الإنسان الذي يمر بشهر رمضان وبهذه الحالة النفسية المحببة، لنتحدث عن هذه الحالة الخاصة في الإنسان.

الأستاذ راتب:

الحقيقة أن الإنسان هو المخلوق الأول، لقوله تعالى:

﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُوماً جَهُولاً (72)﴾

[سورة الأحزاب]

والإنسان هو المخلوق المكرم، لقوله تعالى:

﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آَدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً (70)﴾

[سورة الإسراء]

الحقيقة المتعلقة بموضوع هذه الندوة أن الإنسان هو مخلوق مكلف كلف بالعبادة، بل إن العبادة علة وجوده، قال تعالى:

﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ (56)﴾

[سورة الذاريات]

والعبادة في تعريف العلماء، غاية الطاعة وغاية الحب، فم أطاع ولم يحب لم يعبد الله ومن أحب ولم يطع لم يعبد الله.

تعصي الإله وأنت تظهر حبه ذاك لعمري في المقال شنيع

لو كان حبك صادقاً لأطعته إن المحب لمن يحب يطيع

بعضهم يعرف العبادة بأنها طاعة طوعية ممزوجة بمحبة قلبية أساسها معرفة يقينية تفضي إلى سعادة أبدية، وكأن في هذا التعريف تعريفاً لأصول الدين، في الدين جانب اعتقادي وجانب فكري وفي الدين جانب سلوكي وفي الدين جانب جمالي، فأساس العبادة الطاعة لكن تحتاج إلى معرفة الله، وأصل الدين معرفة الله، ومن ثمار الطاعة القرب.

فلو شاهدت عيناك من حسننـا الذي رأوه لما وليت عنا لغيرنا

ولو سمعت أذناك حسن خطابنا خلعت عنك ثياب العجب وجئتنا

ولو ذقت من طعم المحبـة ذرة عذرت الذي أضحى قتيلاً بحبنا

ولو نسمت من قربنا لك نسمـة لمت غريباً واشتياقاً لقربنـا

هذا الذي طلبتموه، الإنسان حينما يعكف على طاعة الله يتصل به، يتصل بأصل الجمال بالكون، إن الله يعطي الصحة والذكاء والجمال والمال للكثيرين من خلقه ولكنه يعطي السكينة بقدر لأصفيائه المؤمنين، في قلب المؤمن من الطمأنينة والسكينة والسعادة ما لو وزع على أهل بلد لكفاهم:

﴿ فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (81) الَّذِينَ آَمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ (82)﴾

[سورة الأنعام]

العبادة علة وجودنا.

المقدم:

أستاذ راتب واضح من كلامك اتخذت نقطتين أساسيتين سلوكية وعلاقة مع الخالق، أيضاً السلوكية ليست فعل محسوس دائماً هناك نية هناك تفكير داخل الإنسان المؤمن ويحاسب أيضاً على ذلك، تتجلى في شهر رمضان

هذه الحالة من صفاء الذهن صفاء التفكير وصفاء النية مطلوبة، لنتحدث حول هذا الموضوع لو سمحتم.

د. الزحيلي:

الحقيقة هذا يعود بنا إلى السر في موضوع العبادات والهدف الأساسي من العبادات ومنها الصيام وأن العبادة حتى الصيام والصلاة والزكاة والحج، ليست مقصودة لذاتها وإنما المقصود منها ما وراء ذلك، وهذا ما تفضل عليه الأستاذ راتب وسماها العبادات معللة، وجاء في القرآن الكريم في أول سورة عن الصيام (لعلكم تتقون) وفي آخر آية من آيات الصيام :

﴿ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ آَيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ (187)﴾

[سورة البقرة]

ومن هنا فإن التقوى هي جموع الخير والإحسان والتقويم والسلوك وهذا ما يريده الإسلام من العبادة، فالله سبحانه وتعالى غني عن عبادة الناس فلا تضره معصية ولا تنفعه طاعة وإنما هذه العبادات إنما جاءت لتهذيب الإنسان أولاً وإقامة المجتمع السليم ثانياً، وأن الإسلام حريص على تكريم الإنسان وأن يكون في أحسن صوره وأنه هو المخلوق المفضل والمميز في هذا مالكون وقد سخر الله له ما في السماوات وما في الأرض، ومن هنا فالله سبحانه وتعالى يريد من هذا الإنسان أن يكون على أكمل صورة وأحسن حالة، لم يطلب منه الإسلام هذه الغاية دون أن يرسم له الطريق الموصل إلى هذا الهدف وهذه الغاية ومن هنا كانت العبادات عامة والصيام خاصة من أجل تهذيب النفس و من أجل المراقة الذاتية والصلة مع الله سبحانه وتعالى .

الصلة مع الله سبحانه وتعالى وهنا نأتي إلى علاقة الخالق بالمخلوق في هذا الشهر بالذات، يبدو أن هناك علاقة خاصة في هذا الشهر لنتحدث عن موضوع النية والتفكير وعلاقة الخالق بالمخلوق في هذا الشهر.

الأستاذ راتب:

لو أن رجلاً وجد في الطريق قطعة نقود غالية فعكف على أخذها ووضعها في جيبه وفي نيته أن يأخذه دون أن يبحث عن صاحبها إنسان آخر التقط هذه القطعة ووضعها في جيبه وفي نيته أن يبحث عن صاحبها، لو صورنا هذين الرجلين لوجدنا أن الصورتان متطابقتان تماماً، الأول يحاسب على سيئة ارتكبها والثاني يثاب على فضيلة فعلها والفرق بينهما هو النية، إن السلوك الذاتي قد يصل إلى نتائج تلتقي مع نتائج العبادة لكن البواعث مختلفة، باعث السلوك الذكي تحقيق المصالح في الدنيا، لكن باعث العبادة إرضاء الله عز وجل، فالمتعبد يقطف ثمار عبادته في الدنيا والآخرة، لذلك قالوا من آثر دنياه على آخرته خسرهما معاً ومن آثر آخرته على دنياه ربحهما معاً، النية أساس الإخلاص، فالله سبحانه وتعالى لا يقبل من عبد عملاً إلا بشرطين هذا قاله الفضيل، لا يقبل الله من عبد عملاً إلا بشرطين إلا إذا كان خالصاً وصواباً، خالصاً ما ابتغي به وجه الله وصواباً ما وافق منهج الله عز وجل، فإذا وافق السلوك منهج الله والنية قنص المصالح واكتساب الأموال وانتزاع إعجاب الآخرين فهذه ليست عبادة أما المتعبد هو الذي يبتغي وجه ربه:

﴿ وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى (17) الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى (18) وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى (19) إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى (20) وَلَسَوْفَ يَرْضَى (21)﴾

[سورة الليل]

لذلك ورد في الأحاديث الشريفة، " أن رب درهم سبق ألف درهم " كثير العمل وقليله ينفع مع الإخلاص، وكثير العمل وقليله لا ينفع من دون إخلاص، والله سبحانه وتعالى أرادنا أن نخلص له، والإخلاص له هو توحيده هو التوجه إليه وحده هو طاعته وحده هو التعلق بما عنده وحده، هذا هو الإخلاص والإخلاص هو جوهر الدين.

المقدم:

في هذا الشهر بالذات تتطور حالة خاصة من العبادة من التفكير النقي الواضح من العلاقة الخاصة بين الخالق والمخلوق، دار الحديث حول هذا الموضوع، لماذا لا تسحب هذه الحالة من شهر رمضان المبارك إلى بقية الشهور على الصعيد السلوكي الأسري على الصعيد الاجتماعي على الصعيد العلاقات بين البشر، نريد من الدكتور الزحيلي أن يتحدث عن هذا الموضوع ونعود إلى الأستاذ راتب أيضاً للحديث عن هذا الموضوع بالذات، هذه السلوكية الاجتماعية نحن بأمس الحاجة لأن نكون في حالة تعاضد في حالة ألفة مستمرة لنقل عبادة الله ودفاعاً عن وطننا ودفاعاً عن أنفسنا.

د. الزحيلي:

قبل أن أبدأ في هذه النقطة الحقيقة أريد أن أكمل نقطة تتعلق بالنية وهي أن هذه العبادة لا تقبل إلا بنية، ولذلك يقول الرسول عليه الصلاة والسلام " لا صيام لمن لم يبيت الصوم من الليل " وبالتالي يجب أن يصوم قبل الفجر حتى يصح صومه وهذا في الفرض والواجب أما في السنن فيمكن أن يكون صومه وله نية خاصة نتحدث عنها فيما بعد كذلك النية أساس عندما ذكر الرسول عليه الصلاة والسلام وحصر أن الأعمال بالنيات.

وإذا عدنا إلى الأمر الآخر وهو الأثر الاجتماعي، الحقيقة إذا أردنا أن نتأمل العبادات في الإسلام يطلق عليها اسم عبادة ولكن لو حللت تحليلاً دقيقاً لرأينا أنها شرعت أصلاً من أجل العلاقات الاجتماعية ومن أجل المجتمع وإقامة المجتمع الفاضل وتحسين العلاقة بين أفراد المجتمع، من هنا فإن رمضان نفي الحقيقة هو دورة تدريبية وتربوية بين الإنسان وربه أولاً وبين الإنسان وأفراد المجتمع ثانياً، أما إذا اقتصر على الجانب الروحي ومجرد الصلة بينه وبين الله سبحانه وتعالى وأساء وفرط في جوانب الحياة وأساء مع الآخرين فإن هذه الإساءة تلغي جميع عبادته، ولذلك يقول الرسول عليه الصلاة والسلام " كم من صائم ليس له من صومه إلا الجوع والعطش "،

وهذا ما نريد أن ننبه عنه الحقيقة في حياتنا الحاضرة وأما الإسلام بصورته المشرقة الوضاءة ورمضان هذا الجو العظيم والروحانية التي فيه، للأسف نجد أنها لا تتبلور بشكل كاف في المجتمع ومن هنا فإننا نرى المسلمين في جهة والإسلام في جهة ثانية، ومن هنا نلاحظ أن شهر رمضان يجب أن يكون كتذكير للعودة إلى أحكام الإسلام والالتزام بهذا الدين ومن هنا جاءت أمور العلاقات الاجتماعية في أمور الصيام وتكثر وتتطور حتى نكاد نرى من الجانب الإيجابي في المجتمع أن اهتمام الناس بالصيام وبشهر رمضان المبارك والكلفة التي تظهر بينهم والنظام والوحدة التي تقع فيما بين الأفراد ثم صلة الأرحام والاتصال المباشر بين أفراد الأسرة كأساس للمجتمع ثم العائلة الكبيرة ثانياً تعتبر أمر طيب و ممتاز وتشكل رصيداً طيباً وهذا أثر من آثار شهر رمضان المبارك.

المقدم:

الأستاذ راتب الإسلام كلمة ملفتة للانتباه، الإسلام في واد والمسلمين في واد آخر، البعض نظراً لبعض السلوكيات التي لا تنسجم مع محيط الدين ومحيط المجتمع وأخلاقياته، لماذا لا يكون رمضان بعدالته وبسلوكيته الخيرة الطيبة المستقيمة التي تشكل وحدة اجتماعية وطنية مقاومة صامدة لا ينسحب على كل زاوية من زوايا حياتنا.

الأصل أن الدين بناء أخلاقي، فلما قال النبي عليه الصلاة والسلام " بين الإسلام على خمس " فالإسلام شيء والخمس شيء آخر، بني الإسلام على خمس، الإسلام بناء أخلاقي، سيدنا جعفر بن أبي طالب خاطب النجاشي ملك الحبشة وحدثه عن الإسلام، فلنصغ إليه " قال أيها الملك كنا قوماً أهل جاهلية نعبد الأصنام ونأكل الميتة ونأتي الفواحش ونسيء الجوار ونقطع الرحم، حتى بعث الله فينا رجلاً (قصد النبي عليه الصلاة والسلام) نعرف أمانته وصدقه وعفافه ونسبه، فدعانا إلى الله لنعبده ونوحده ونخلق ما كان يعبد آباؤنا من الحجارة والأوثان وأمرنا بصدق الحديث وأداء الأمانة وصلة الرحم وحسن الجوار والكف عن المحارم والدماء.

لذلك في الإسلام عبادات تعاملية وعبادات شعائرية، العبادات التعاملية كالأمر بالصدق والأمانة والإخلاص والاستقامة وإنجاز الوعد والوفاء بالعهد وضبط الدخل وتحري الحلال وضبط الجوارح، " ركعتان من ورع خير من ألف ركعة من مخلط "، " من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر لم يزدد من الله إلا بعداً "، " ما لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة أن يدع طعامه وشرابه "، يحج الإنسان ويقول لبيك اللهم لبيك، يحج بمال حرام يقول الله له لا لبيك ولا سعديك وحجك مردود عليك، ينفق من مال ليس حلالاً:

﴿ قُلْ أَنْفِقُوا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً لَنْ يُتَقَبَّلَ مِنْكُمْ إِنَّكُمْ كُنْتُمْ قَوْماً فَاسِقِينَ (53)﴾

[سروة التوبة]

الأصل هي العبادات التعاملية فإذا صحت صحت العبادات الشعائرية أضرب لكم مثلاً، العبادات التعاملية شأنها كشأن العام الدراسي والعبادات الشعائرية ومنها الصيام شأنها كشأن ساعات الامتحان المعدودة، فالذي أمضى العام كله في درس وبحث وعكف على الكتاب يلقى ساعات الامتحان وهو من أسعد الناس، أما الذي أمضى العام الدراسي بكسل وتوان، لو أن القاعة منضبطة لو أن القلم جيد، لو أن الجو هادئ، كل هذه الظروف لا تغنيه شيئاً، فالمسلمون تخلفوا وكانوا هم في واد والدين في واد حينما ظنوا الإسلام عبادات شعائرية فقط إنه عبادات تعاملية، " ترك دانق من حرام خير من ثمانين حجة بعد حجة الإسلام"، والله لئن أمشي مع أخ في حاجته خير لي من صيام شهر واعتكافه في مسجدي هذا "، المنافق إذا صام رمضان مثله كمثل الناقة عقلها أهلها فلا تدر لا لما عقلت ولا لما أطلقت، ما أراد الله أبداً أن نصوم رمضان وأن ننتهي في أيامه عن المحرمات ثم نعود إلى ما كنا عليه، إنّا إذاً كالتي نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثاً، ما أرادنا الله عز وجل أن نعود إلى ما كنا عليه، أراد أن يكون رمضان ورمضان و رمضان كالدرج، قفزة نوعية مستمرة ثم قفزة مستمرة ثم قفزة مستمرة من أجل أن نلقى الواحد الديان وقد حققنا الهدف من وجودنا، فحينما ننظر الى العبادات الجوفاء دون أن يرافقها انضباط سلوكي في كسب المال وانفاقه في ضبط الجوارح في ضبط الأمور كلها فنحن ابتعدنا كثيراً عن جوهر

الدين.

المقدم:

لنتحدث عن أمثله حية في حاضر في واقع، في شهر رمضان هناك حاجات للناس يذهبون إلى السوق هناك أناس في السوق يبيعون ويشترون هناك معاملات وتعامل بين البشر رمضان يكون أحياناً رادع بين البشر يذكر الناس بأنه في هذا الزمان بالذات يجب أن يكون الصلاة بشكل مستقيم وينتهي رمضان ولا يعود من يكون مستقيماً إلى استقامته تحدث الأستاذ راتب عن هذا الموضوع وبشكل جميل نود أن نسمع من د. زحيلي حول هذا الموضوع سلوكيات اجتماعية بين البشر وكيف نستمد درس هام من هذا الامتحان من هذا الشهر المبارك لكي تكون سلوكيات الإنسان في مجتمعنا على خير ما يمكن.

د. الزحيلي:

قد يأتي الجواب على هذا الأمر في حديث بكلمتين عن الرسول عليه الصلاة والسلام في حديث قدسي عن الله يقول " الصيام لي وأنا أجزي به "، فالصيام لله سبحانه وتعالى وبالتالي فإنه يقوي العلاقة وهو قاب من الإنسان إلى الله سبحانه وتعالى ويشعر أن الله مع في كل صغيرة وكبيرة ومن هنا فإن أهداف الصيام تكوين هذه العلاقة والرقابة الذاتية مع الله أولاً وليكون الإنسان صادقاً مع نفسه ثانياً ثم ليكون صادقاً مع الناس ثالثاً، من هنا عندما دعا الرسول عليه الصلاة والسلام إلى حسن التعامل مع الناس فقال " رحم الله امرأ سمحاً إذا باع سمحاً إذا اشترى سمحاً إذا قضى سمحاً إذا اقتضى "، ولم يحدد ذلك في شهر رمضان أو عندما يكون صائماً ويترك ذلك بعد الصيام، ففضل الله سبحانه وتعالى أولا ورقابته على الإنسان ثانياً موجودة في كل زمان وفي كل مكان وفي شهر رمضان وفي غير شهر رمضان ومن هنا نريد أن نتبين المسلك القويم الذي التزمه الرسول عليه الصلاة والسلام في صيام شهر رمضان مع صحابته الكرام، وعندما انحرف بعض المسلمين عن معاني رمضان وعن

الأثر الاجتماعي والسلوك الطيب مع الآخرين بين الرسول عليه الصلاة والسلام أن هذا الصيام لا ينفع صاحبه شيئاً، وقال عندما سئل عن امرأة تصوم النهار وتقوم الليل ولكنه تؤذي جاراتها فقال هي في النار، وسأل عن امرأة أخرى تصوم رمضان فقط وتصلي الفرائض فقط وتحسن إلى جاراتها فقال هي في الجنة، ولذلك فإن الصيام إنما هو من أجل الرقابة والصلة مع الله ليبقى الإنسان دائماً متصلاً مع الله سبحانه وتعالى وإلا كان مسؤلاً وكان قد ضيع عمله الذي أداه والصيام الذي اكتسبه في شهر رمضان.

أستاذ راتب قضية أخرى نلاحظ في هذا الشهر تجمع الأهل وهذا صلة الرحم شيء جميل وسلوكية حسنة ولكن في بعض السلوكيات على سبيل المثال دعوات ضخمة ولائم بذخ أشياء أتصور ويتصور كثيرون أن هذه ليست من العبادة وليست من مواجهة الخالق بشيء نريد أن نسمع منكم تجد المسرفون في رمضان أكثر من المسرفين بأي شهر آخر.

الأستاذ راتب:

كأن الله سبحانه وتعالى أراد في هذا الشهر الكريم أن يكون دورة وقائية لأكثر الأمراض ودورة علاجية لبعضها، أراد هذا الشهر صيانةً لأجسامنا فإذا أسرفنا في الطعام والشراب أفسدنا حكمة الخالق في هذه العبادة العظيمة وإذا خرجنا من ذواتنا وأكثرنا اللقاءات ضعفت عبادتنا هذا شهر يعكف فيه الإنسان على طاعة ربه وعلى تلاوة قرآنه وعلى الأمر بالمعروف والنهي عن لمنكر، سيدنا ابن عمر رأى راعياً في الطريق يرعى غنماً، قال له بعني هذه الشاة أراد أن يمتحنه، قال ليست لي قال خذ ثمنها قال ليست لي قال قل لصاحبها ماتت أو أكلها الذئب، قال والله إنني لفي أشد الحاجة إلى ثمنها ولو قلت لصاحبها ماتت أو أكلها الذئب لصدقني فإني عنده صادق أمين ولكن أين الله، هذا الراعي وضع يده على جوهر الدين، أين الله، من قال لا إله إلا الله بحقها دخل الجنة قيل وما حقها قال أن تحجره عن محارم الله، فنحن حينما نتخذ من رمضان موسماً للقاءات والاحتفالات والولائم والبذخ

والإسراف كأننا أخرجناه عن القصد النبيل والقصد الرفيع الذي أراده الله سبحانه وتعالى.

تحدثنا قبل اللقاء عن هذه التمرات البسيطة التي يتناولها ذكر تلي شيئاً.

كان عليه الصلاة والسلام يفطر على تمرات ويصلي المغرب ثم يجلس إلى الطعام، وقد ثبت علمياً أن المادة السكرية في التمر من النوع الأحادي سريع الهضم سريع التمثل، وقد أجرى العلماء تجارب دقيقة على أن سكر التمر ينتقل من الفم إلى الدم في أقل من عشر دقائق وإذا وصل السكر إلى الدم وصل إلى مركز تنبيه الشبع في الإنسان في الجملة العصبية في مكان تحت السرير البصري في مركز الشبع، فإذا تناول تمرات ثلاثة وصلى المغرب ثم جلس إلى الطعام يجلس ويأكل باعتدال وكأنه في الإفطار، أما حينما يأكل المواد الدسمة، المواد الدسمة تحتاج إلى أن تهضم إلى أكثر من ثلاث ساعات، لا يدع الطعام حتى يمتلئ جوفه، إذاً يصاب الصائم أحياناً بالتخمة، التمر كما تفضلتم فيه مواد سكرية أحادية وفي ستة فيتامينات أساسية في حياتنا، فيه ثمانية معادن إذا تناولنا مائة غرام من التمر في اليوم الواحد نأخذ نصف حاجتنا من المعادن، وفيه اثنا عشر حمض أميني، وفيه مواد بروتينية مرممة وفيه مواد دهنية قليلة، وقد أحصى بعض العلماء أن في التمر ست وأربعين مادة غذائية وأنه لا يتلوث وأن معظم الأمراض الناتجة عن الإمساك يزيلها التمر لأنه مضاد للإمساك ومهدئ للأعصاب وملين، والنبي سماه الأطيبين، سمى التمر واللبن الأطيبين،" وقال بيت لا تمر فيه جياع أهله ". هذه سنة النبي عليه الصلاة والسلام وأنا أعتقد أن الأطباء يأتون هذه التوجيهات دون أن يعلموا هذه السنة، وهذه من دلائل نبوة النبي عليه الصلاة والسلام تناول السكر البسيط الأحادي قبل الطعام ينبه مراكز الشبع في الإنسان بل إن الإنسان في الإفطار إذا تناول الفاكهة قبل الطعام أصاب وأحسن، استنبطوا هذا من قوله تعالى:

﴿ وَفَاكِهَةٍ مِمَّا يَتَخَيَّرُونَ (20) وَلَحْمِ طَيْرٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ (21)﴾

[سورة الواقعة]

قدمت الفاكهة على اللحم لأن تمثل السكر أسرع بكثير، هذا من توجيه النبي عليه الصلاة والسلام.

المقدم:

د. الزحيلي، أسأل سؤال وقد يكون سؤال فج صعب، نريد منك تسليط الضوء على علاقة مخاليق الله الإنسان الناس بخالقهم كيف تراها هذه الأيام هل هي بحالة اهتزاز هل هي بحالة معافاة.

هذا يرجع إلى مبدأ وهو أن كل مولود يولد على الفطرة، وبالتالي فالإنسان بفطرته متجه إلى ربه سبحانه وتعالى ولكن قد يعطل هذا التوجه وهذه الفطرة كثير من أمور الحياة وأمور المادة، وللأسف في وقتنا الحاضرة يشغل الناس كثيراً بالمادة عن الصلة الروحية بالله سباحان وتعالى وعن التطبيق العملي والسلوك القويم في هذا المجال وكأنهم يجعلون المادة هي الأساس ولا شك أن هذا مما يدل على ضعف الإيمان الذي يحتاج إلى تغذية ومن هنا في حديثنا الآن عن شهر رمضان كأنه تغذية للإيمان وتذكير بالعودة إلى الله سبحانه وتعالى حتى شبه بعض العلماء شهر رمضان بأنه كمحطة بانزين يزود الإنسان منها سيارته ليسير بها مئات الكيلو مترات وليست ليقف في المحطة وينقطع عندها فقط، و أن الجانب الذي تفضلتم عنه في موضوع الإسراف في رمضان وتقديم الأطعمة الكثيرة الحقيقة هذا الموضوع له جانبان جانب سلبي تفضل الأستاذ راتب عنه وجانب إيجابي وهو ما أريد التنبيه عليه وذلك أن شهر رمضان دعوة للناس للشعور بإحساس ببعضهم البعض وخاصة بإحساس الغني بالفقير ومن هنا فيقدم الناس الأطعمة لأنفسهم وقد يسرفون لكن يقدمون في كثير من الأحيان لا قاربهم وذويهم وللفقراء وللمساكين وهذا ما رغب به الرسول عليه الصلاة والسلام بتفطير الصائم وتقديم الأطعمة للصائم فقال عليه الصلاة والسلام " من فطر صائماً فله ثوابه دون أن ينقص من أجره شيء وأن الأموال التي تنفق في شهر رمضان المبارك من أجل الفقراء والمساكين المحرومين في كثير من أيام السنة وأكثر أشهر السنة فهو يأتي الإنفاق العظيم الطيب من المحسنين والأغنياء والأثرياء وحتى متوسطي الحال يقدموا في هذا الشهر المبارك لأن

الرسول عليه الصلاة والسلام رغبهم إلى ذلك وبين أن من أدى في رمضان فريضة فكأنما أدى سبعين فريضة فيما سواه ومن أدى فيه نافلة فكأنما أدى فريضة فيما سواه، ومن هنا يكثر توجه الناس في أداء زكاة مالهم في شهر رمضان فما تكثر الحسنات والصدقات في هذا الشهر وجاء آخر الشهر ليذكر المسلمين أنه إذا غفلوا وهو وجوب زكاة الفطر على كل صائم وأن صيامهم يكون معلقاً بين المساء والأرض حتى تدفع زكاة الفطر ليكون العيد مسرى للناس جميعاً في هذا المجال.

الأستاذ راتب:

قال تعال:

﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آَمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئاً وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (55)﴾

[سورة النور]

الآية المكملة لها:

﴿ فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيّاً (59)﴾

[سورة مريم]

تعقيبي على سؤالكم الكريم هو أن علاقة الإنسان بربه تهتز إذا خرج عن منهجه، يروى أن شاباً سمع من أحد أساتذته أن لك سيئة عقاباً زلت قدمه مرةً، فشعر بالخجل من الله عز وجل، في أثناء بعض صلواته ناجى ربه قال يا رب لقد عصيتك فلم تعاقبني، حسب المقولة لم يأتي العقاب، فوقع في قلبه أن يا عبدي قد عاقبتك ولم تدر ألم أحرمك لذة مناجاتي.

الإنسان تهتز علاقته بالله عز وجل حينما يسيء إلى خلقه الخلق كلهم عيال الله وأحبهم إلى الله أنفعهم لعياله، وسيدنا عيسى عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام جاءت آية على لسانة لخص الدين كله، قال:

﴿ كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصّلاةِ والزَّكَاةِ مَا دُمْت حَيّاً (31)﴾

[سورة مريم]

الصلاة حركة إلى الله والزكاة حركة إلى خدمة الخلق فالإنسان حجمه عند الله بحجم عمله الصالح، عند الله مقاييس يوم القيامة غير مقاييسنا المقياس الذي يحاسب عليه الإنسان مدى خدمته لخلق الله، فالإنسان يتألق إذا استقام على أمر الله، جاء إلى الدنيا فأعطى، قلت لكم قبل هذه الندوة الذي قدم كتاب النبي عليه الصلاة والسلام، قال يا من جئت الحياة فأعطيت ولم تأخذ يا من قدست الوجود كله ورعيت قضية الإنسان يا من زكيت سيادة العقل ونهنهت غريزة القطيع، يا من هيأك تفوقك لتكون واحداً فوق الجميع فعشت واحداً بين الجميع، يا من كانت الرحمة مهجتك والعدل شريعتك والحب فطرتك والسمو حرفتك ومشكلات الناس عبادتك.

" اصنع المعروف مع أهله وغير أهله فإن أصبت أهله أصبت أهله وإن لم تصب أهله فأنت أهله ".

والحمد لله رب العالمين

ندوة (03) : العيد1

بسم الله الرحمن الرحيم

الأستاذ راتب:

في أبسط مفهومات العيد، العيد عودة إلى الله، عودة إلى الفطرة وعودة إلى العقل السليم صعد النبي ﷺ منبره فقال آمين فلما صعد الدرجة الثانية قال آمين فلما " صعد الدرجة الثالثة قال آمين سأله أصحبه الكرام، على ما أمنت يا رسول الله قال، جاءني جبريل وقال لي رغم انف عبد (أي خاب وخسر) أدرك رمضان فلم يُغفر له إن لم يغفر له فمتى "، فرمضان مناسبة كبرى لنيل مغفرة الله عز وجل وإذا رجع العبد إلى الله نادى مناد في السماوات والأرض أن هنئوا فلاناً فقد اصطلح مع الله، وأن الإنسان إذا عرف الله عرف كل شيء " ابن آدم اطلبني تجدني فإذا وجدتني وجدت كل شيء وإن فتك فاتك كل شيء وأنا أحب إليك من كل شيء "، إذا كان الله معك فمن عليك، وإذا كان الله عليك فمن معك يا رب ماذا وجد من فقدك وماذا فقد من وجدك، قال تعالى:

﴿ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (185)﴾

[سورة البقرة]

فالعيد هو الفرحة الكبرى حينما يعود الإنسان إلى أصل عقله وإلى أصل فطرته، ويصطلح مع ربه فقد ملك الدنيا والآخرة.

المقدم:

الفطرة يقال عيد الفطر والفطر ليس إنسان كان صائم وتناول الغداء إنما عملية الخلق، أرجو التوضيح لهذا الموضوع ؟

الأستاذ راتب:

الإنسان هو المخلوق الأول رتبةً فطره فطرةً عالية، فطره فطرة تكشف خطأه، ففي النفس فراغ لا يملؤه المال ولا تملؤه المباهج الدنيوية ولا يملؤه المركز العالي، لا يملؤه إلا الاتصال بالله عز وجل والسعادة بقربه، لأن الله سبحانه وتعالى يقول:

﴿ الَّذِينَ آَمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ (28)﴾

[سورة الرعد 28]

خالق هذا الإنسان مبدعه هو الخبير به يؤكد بآية دقيقة جداً، قال تعالى:

﴿ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ (28)﴾

لو أن الآية، تطمئن القلوب بذكر الله، لكان معنى الآية أنها تطمئن بذكر الله وبغير ذكر الله، أما حينما صيغت على هذا الشيء القسري إلا بذكر الله تطمئن القلوب أي أن قلب الإنسان لا يطمئن ولا يسعد إلا إذا اتصل بخالقه، واستمد منه قوته واستمد منه رؤيته واستمد منه طريقة سيره في حياته.

فالعيد فرحة كبرى لأن الإنسان عاد إلى الله وعاد إلى فطرته وعاد إلى أصل عقله، الفطرة في الأصل سليمة، كل مولود يولد على الفطرة لكن الإنسان حينما يحيد عن منهج ربه يشوه فطرته، فإذا عاد إلى فطرته عاد إلى صحته النفسية عاد إلى سعادته عاد إلى ثقته بربه عاد إلى قوة عظمى يركن إليها يلوذ بحماها يستعين بها، هذا الذي تعنيه الفطرة، الفطرة سليمة، والدليل، النبي عليه الصلاة والسلام يقول " البر ما اطمأنت إليه النفس والإثم ما حاك في صدرك وكرهت أن يطلع عليه الناس "، الفطرة السليمة تكشف للإنسان خطأه من دون تعليم، من دون تعليم إطلاقاً، والذي يؤكد هذا قوله تعالى:

﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا (7) فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا (8)﴾

[سورة الشمس]

قد يفهم الآخرين هذه الآية على غير ما أراده الله عز وجل، أن الله عز وجل حينما يستقيم الإنسان يشعر بفطرته أنه يستقيم، و حينما يفجر يشعر بفطرته أنه يفجر من دون أن يذكره أحد، هذه الفطرة السليمة تتوافق مع العقل السليم ومع الكون العظيم ومع الواقع الثابت، بل إن الحقيقة في الأصل دائرة يتقاطع فيها أربعة خطوط، خط العقل وخط النقل وخط الواقع، فإذا توافقت الفطرة مع العقل مع النقل مع الواقع فهذا هو الحق، الانسجام، من أحد أسباب السعادة الانسجام، أن ينسجم الإنسان، أحياناً يذهب إنسان إلى بلد غير بلده،ينزل في فندق يستيقظ صبيحة اليوم الأول، إلى أين يذهب، إن لم يعرف سر وجوده في هذا البلد لا تصح حركته لو أنه جاء هذا البلد سائحاً يذهب إلى المقاصف والمتنزهات، لو أنه جاء هذا البلد طالب علم يذهب إلى المعاهد والجامعات، لو أنه جاء تاجراً يذهب إلى المعامل والمؤسسات، إذا لو انسجم الإنسان مع هدفه ستسعد نفسه.

شيء آخر لو أن طالباً على مشارف امتحاناً مصيري، وأخذه أصدقاؤه إلى مكان جميل وأطعموه أطيب الطعام وتمتع بأجمل المناظر يشعر بكآبة لأن هذه الحركة لا تتناسب مع هدفه الخطير والقريب، لو أنه قبع في غرفة مظلمة وقرأ الكتاب المقرر وتفهمه لشعر براحة كبيرة جداً، ما هذه الراحة ؟ الانسجام، الانسجام مع هدفه فوافق الإنسان مع هدفه هو الذي يريحه، معرفته بسر وجوده وغاية وجوده هذه المعرفة تعينه على سلامة حركته، الإنسان له عمل إن كان عمله متوافقاً مع سر وجوده ومع غاية وجوده، متوافقاً مع هدفه في الحياة يَسعد ويُسعد.

المذيع:

العيد له خصائص محددة أرجو التفضل والحديث عنها.

الأستاذ راتب:

العيد يأتي عقب الصيام والصيام عبادة كبرى، هدفها تدريب الإنسان على طاعة ربه، أمره بترك المباحات فلئن يترك المحرمات من باب أولى، يدربه على تقوية إرادته يدربه على طاعة ربه على ضبط جوارحة على ضبط لسانه على ضبط عينه، على ضبط حركت في الحياة، هذا الضبط من أجل أن يرتقي إلى الله عز وجل لأن سر السعادة أن تتصل بالله، الله ﷻ أصل كل شيء، منبع الجمال منبع الطمأنينة منبع السعادة، فإذا استقام الإنسان على أمر الله صار الطريق إلى الله سالكاً، أصل رمضان أن يتدرب الإنسان على طاعة الواحد الديان، فإذا أنجز هذه المَهمة بنجاح جاء العيد، لأن الله تعالى يقول:

﴿ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (185)﴾

[سورة البقرة]

إذاً العيد صلح مع الله، فلئن يكون صلحاً مع الأهل مع الأقرباء فمن باب أولى، إذا كنت مصطلحاً مع أصل الكون، هؤلاء الذين هم عباده ينبغي أن تصطلح معهد، لأن الخلق كلهم عيال الله، وأحبهم إلى الله أنفعهم لعياله. من لوازم العيد أن تلغى الخصومات، الله ﷻ يقول:

﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (1)﴾

[سورة الأنفال]

هذه الآية لها معان كثيرة، المعنى الأول إصلاح ذات البين أن تحملها على طاعة الله، وأن تسمو بها إلى الله، جعل الصوم أن تصلح العلاقة بينك وبين الآخرين، بالاعتذار، بتقديم هدية بالكلمة الطيبة، بالابتسامة ممكن أن تصلح العلاقة بينك وبين الآخرين بطرائق شتى، فإذا اصطلحت مع من حولك شعرت بمكانتك في المجتمع وسعدت بهذا الصلح .

شيء آخر يقول عليه الصلاة والسلام:

" أمرني ربي بتسع، خشيةِ الله في السر والعلانية، كلمةِ العدل في الغضب والرضا، القصدِ في الفقر والغنى، وأن أصِلَ من قَطَعَني وأن أعفوَ عن من ظلمني وأن أُعطي من حَرَمَني وأن يكونَ صمتي فكراً ونطقي ذكراً ونظري عبرةً ".

في موضوع الاصطلاح مع الآخرين وحل المشكلات فيما بين الإنسان وبين الآخرين هناك أحاديث كثيرة، يقول عليه الصلاة والسلام " اصنع المعروف مع أهله ومع غير أهله، فإن أصبت أهله وإن لم تصب أهله فأنت أهله ". الحركة نحو الآخرين مما ترضي الله عز وجل، بدليل أن الإنسان طبعه يقتضي الفردية، لكن التكليف يقتضي أن تلتقي بالآخرين وأن تعاونهم، هذه القضية دقيقة جداً الإنسان له طبع، ويبدو في الظاهر أنه متناقض مع التكليف، طبع الإنسان يدعوه إلى النوم والتكليف يدعوه إلى أن يستيقظ وأن يصلي، طبع الإنسان إلى أخذ المال، التكليف يدعون إلى إنفاق المال، طبع الإنسان يقتضي أن يطلق بصره التكليف يأمره أن يغض بصره، طبع الإنسان يقتضي أن يتحدث في قصص الآخرين وأن يخوض في مشكلاتهم الخاصة والتكليف يأمره أن يضبط لسانه، فيما يبدو أن الإنسان لا يرقى إلا إذا خالف طبعه، قال تعالى:

﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى (40) فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى (41)﴾

[سورة النازعات]

المقدم:

هنا عملية التكليف، أن الإنسان مكلف.

الأستاذ راتب:

الإنسان مكلف، الإنسان هو المخلوق الأول المكلف، قال ربنا ﷻ:

﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ (56)﴾

[سورة الذاريات]

العبادة علة وجود الإنسان في الأرض.

المقدم:

ما المقصود بالعبارة علة وجود الإنسان في الأرض ؟

الأستاذ راتب:

الإنسان قد يذهب إلى بلد، ما علة وجوده في هذه البلد، أن يدرس وينال دكتوراه، قد يذهب إلى بلد آخر علة وجوده أن يتاجر، فالإنسان هنا في الأرض ما علة وجوده، يعني لماذا خلقه الله عز وجل، خلقه ليعبده، ما العبادة؟، العبادة طاعة طوعية ممزوجة بمحبة قلبية، لو أن الإنسان أطاع الله ولم يحبه ما عبده، لو أنه أحبه ولم يطيعه، هذا لا يكون.

تعصي الإله وأنت تظهر حبه ذاك لعمري في المقال شنيع

لو كان حبك صادقاً لأطعته إن المحب لمن يحب يطيع

فالعبادة طاعة طوعية، تسبقها معرفة يقينية تفضي إلى سعادة أبدية العبادة لها كليات ثلاثة كلية معرفية وكلية سلوكية وكلية جمالية.

المقدم:

لنتحدث بالسلوكيات وخاصة نحن في هذه الأيام الفضيلة.

الأستاذ راتب:

الإنسان أعقد آلة في الكون من دون استثناء، تفضلتم قبل قليل بأنه المخلوق الأول، ولهذا الإنسان خالق ولهذا الخالق تعليمات ، تعليمات هي بمثابة تعليمات الصانع للآلة، تعليمات التشغيل والصيانة وحسن الأداء، فالإنسان إذا رجع إلى منهج ربه، بمعنى افعل ولا تفعل، منهج الله عز وجل منهج تفصيلي، يبدأ مع علاقة الإنسان بنفسه وعلاقته بزوجته وبأولاده وبعمله وبجيرانه وبمن حوله وبمن فوقه وبمن دونه منهج كامل، و حينما فهم المسلمون الإسلام على أنه عبادات شعائرية ليس غير ضيعوا جوهر الإسلام، لأن الإسلام كما قال النبي الكريم بني على خمس، العبادات أعمدة والإسلام شيء آخر، الإسلام بناء أخلاقي ذكرت لكم من قبل أن سيدنا جعفر رضي الله عنه لما سأله النجاشي عن الإسلام، قال: " كنا قوماً أهل جاهلية نعبد الأصنام ونأكل والميتة ونأتي الفواحش ونسيء الجوار ونقطع الرحم، حتى بعث الله فينا رجلاً نعرف أمانته وصدقه وعفافه ونسبه، فدعانا إلى الله لنعبده ونوحده ونخلع ما كان يعبد آباؤنا من الحجارة والأوثان وأمرنا، بصدق الحديث وأداء الأمانة وحسن الجوار وصلة الرحمن والكف عن المحارم والدماء " هذا هو الإسلام منهج أخلاقي.

ذكرت قبل قليل العبادة طاعة طوعية تسبقها معرفة يقينية تفضي إلى سعادة أبدية، الطاعة الطوعية تطبيق منهج الله تطبيق تعليمات الصانع ما من شيء في حياة الإنسان إلا وله حكم شرعي، يبدأ من الفرضية إلى الاستحباب والندب ثم الإباحة ثم الكراهية ثم التحريم، فالمؤمن الصادق بعد أن عرف الله عز وجل لا يعنيه إلا شيء واحد أن يعرف أمره ونهيه كي يطبق منهجه، لأن الإنسان بالكون يعرف الله وبالشرع يعبده، إذا أراد الإنسان أن يتقرب إلى الله كيف ؟، يبحث عن أمره ثم يطبقه ليكون طائعاً، لأن الله عز وجل يقول:

﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ (56) ﴾

﴿ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً (71) ﴾

﴿ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ (52)﴾

[سورة الذاريات . سورة الأحزاب . سورة . النور]

الفوز العظيم، الفلاح كل الفلاح، النجاح كل النجاح، الفوز كل الفوز التفوق كل التفوق في طاعة الله عز وجل وبشكل علمي طاعة الله تطبيق تعليمات الصانع، (وما ينبئك مثل خبير).

الحقيقة عليه الصلاة والسلام كان حريصاً حرصاً لا حدود له على أن تكون بيوت المسلمين بيوت متماسكة، يقول عليه الصلاة والسلام " خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي ".

يقول: " أكرموا النساء فإنهن المؤنسات الغاليات ".

" أكرموا النساء فوالله ما أكرمهن إلى كيم وما أهانهن إلا لئيم ".

(ولهذا الحديث زيادة) يغلبن كل كريم ويغلبهن لئيم، وأنا أحب أن أكون كريماً مغلوباً من أن أكون لئيماً غالباً ".
يقول عليه الصلاة والسلام: " ليس مني من وسَّع الله عليه ثم قتَّر على عياله "

كان عليه الصلاة والسلام وهو السيد العظيم يركب الحسن والحسين على ظهره ويمشي بهما في البيت ليدخل على قلبهما السرور، كان عليه الصلاة والسلام إذا دخل البيت كان واحداً من أهل البيت، كان يرفو ثوبه ويخصف نعله ويحلب شاته وهو في مهنة أهله، فالإنسان إذا دخل إلى بيته وكان باش الوجه مبتسماً وضاح المحيى، ألقى السلام على أهله أهانهم في مهمتهم تلطف معهم تماسك البيت، وأنا أرى أن البيت المتماسك أساس النجاح خارج البيت، والبيوت المتماسكة أساس نجاح الأمة.

الإنسان حينما يسعى إلى دعم الأسرة والى تحصينها من كل فساد أو خلل هو في الحقيقة يسعى إلى ضبط المجتمع، وأي منهج نتبعه يقلل من قيمة الأسرة هو منهج يؤدي بنا إلى الخراب، لا بد من دعم الأسرة والنبي عليه الصلاة والسلام يقول: " خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي "، " لاعب ولدك سبعا وأدبه سبعاً وراقبه سبعاً "، " من كان له صبي فليتصابى له "، إدخال السرور على قلب الأولاد جزء من منهج الله عز وجل.

المذيع :

والحالة أساسية جداً كمنهج تربوية في الأسرة ومع الأولاد وأنت تخرج بشر صالين للمساهمة الفعالة في المجتمع، أرجو إيضاح مرحلة التربية وكيف ننهج... ؟

الأستاذ راتب:

أولُ ملاحظة أن الإنسان مهما ارتقى ومهما وصل إلى درجة عالية في أي مجال في الحياة وشقي أولاده يشقى بشقائهم، تربية الأولاد جزء أساسي من منهج الله عز وجل، لأن الولد يشقي أبويه ويسعد أبويه:

﴿ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَاماً (74)﴾

[سورة الفرقان]

إن لم نؤدب أولادنا منذ الصغر أتعبونا في الكبر، فكل أب يحرص على سلامة أسرته عليه أن يسعى إلى تربية أولاده منذ نعومة أظفارهم والشيء الملاحظ أن الإنسان ينحرف حينما تكون تربيتهم المنزلية سيئة وقد نجد أشخاصاً قدموا للمجتمع عطاءً كبيراً بسبب تربيتهم المنزلية المتماسكة، فالأبوة مسؤولية، و ينبغي أن ينتبه الأب إلى ابنه إلى جسمه إلى عقله.

المقدم:

لنركز قليلاً على عقله إذا سمحت.

الأستاذ راتب:

التعليم من الضروريات، إذا أردت الدنيا فعليك بالعلم وإذا أردت الآخرة فعليك بالعلم وإذا أردتهما معاً فعليك بالعلم، الحقيقة العلم خطوة أولى لأي إصلاح، لا يمكن للإنسان أن يتحرك حركة عشوائية من دون إلا ويملك نفسه، أما إذا كان على بينة من أمره كان على بصيرة يعرف كل شيء، يعرف ما ينبغي ومالا ينبغي وما يجوز وما لا يجوز يضع الأشياء في مكانها، هذا هو التعليم، التعليم نقل خبرات الأجداد إلى الأجيال، التعليم إعطاء خبرات جاهزة، فالأب الذي يطعم أولاده ويسقيهم وينسى أن يعلمهم وينسى أن يؤدبهم ما فعل شيء، ورد في الحديث الشريف " كفى بالمرء إثماً أن يضيع من يقوت "، يضيعهم، هو يطعمهم ويسقيهم لكن ضيعهم ضيع أخلاقهم ضيع عقلهم، لم يعلمهم العلم الذي يرقى بهم، الحقيقة العلم، في القرآن الكريم أكثر من ألف آية تتحدث عن العلم، والإنسان في الأساس، يقولون الجماد شيء يشغل حيزاً وله وزن وأبعاد ثلاثة هذا الجماد، النبات شيء يشغل حيزاً وله أبعاد ثلاثة وينمو، الحيوان شيء يشعل حيزاً وله أبعاد ثلاثة وينمو ويتحرك، الإنسان شيء له يشغل حيزاً وله أبعاد ثلاثة وينمو ويتحرك ويفكر، فحينما نعطل فكر الإنسان ونبقيه في جهل كبير حطمنا إنسانيته العمر وجوده الإنساني، ليس الإنسان جسماً يأكل ويشر، الإنسان عقل بل إن الغذاء أنواع ثلاثة، هناك الغذاء للجسم وهناك غذاء للعقل وهناك الغذاء للروح، غذاء الجسم الطعام والشراب وغذاء العقل العلم وغذاء الروح القرب من الله عز وجل، فهذه الجوانب الثلاثة في شخصية الإنسان ما لم نلبي كل جانب بما يحتاجه تنشأ شخصية غير متوازنة شخصية مشوهة.

المقدم:

أستاذ راتب الشخصية المتوازنة.. للأسف هناك وجود لشخصيات غير متوازنة وأحد الأشياء التنكس على الذات ويشعر المرء بأنه قطب الرحى وعملية إلقاء الآخر، وأنا وما خلق أحد من بعدي إلى آخره هناك بعض الحالات المؤسفة التي لا تساهم على الإطلاق ببناء مجتمع لنتحدث بهذا الموضوع ووضع بعض النقاط على الحروف تجاه بناء فرد، أسرة مجتمع معافى.

الأستاذ راتب:

ذكرت قبل قليل أن الإنسان له طبع، الفردية من طبعه أما الجماعية تكليف من الله عز وجل فالإنسان حينما يتفلت من منهج ربه يعود إلى فرديته يتمركز حول ذاته يرى العالم كله من خلال رؤيته هو، يرى أنه وحده يعيش والآخرون ينبغي أن يكونوا في خدمته، النبي عليه الصلاة والسلام حينما كان في سفر مع أصحابه، أراد أصحابه أن يعالجوا شاة قال حدهم علي ذبحها وقال آخر علي سلخها وقال ثالث علي طبخها فقال عليه الصلاة والسلام وعلي جمع الحطب، قالوا نكفيك ذلك قال أعلم أنكم تكفونني ولكن الله يكره أن يرى عده متميزاً عن أقرانه، الفردية تتوافق مع الطبع قبل أن يعرف الله، قال تعالى:

﴿ إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعاً (19) إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعاً (20) وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعاً (21) إِلَّا الْمُصَلِّينَ (22)﴾

[سورة المعارج]

المتصل بالله روحه جماعية، يتعامل مع الآخرين، يعمل ضمن فريق قرأت مرةً إعلاناً مترجماً.. هناك وظيفة في بلد غربي من شروط الموظف أن يصلح للعمل ضمن فريق، هذه النزعة الفردية مشكلة كبيرة جداً، لن نتقدم إلا

إذا تعاونا، قال الله عز وجل:

﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ (2)﴾

[سورة المائدة]

لكن النبي عليه الصلاة والسلام أمر أن يشاور أصحابه، قال تعالى:

﴿ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ (159)﴾

[سورة آل عمران]

بل إن الله عز وجل وصف مجتمع المؤمنين بأنهم أمرهم شورى بينهم، هذا التعاون، الإنسان بفرديته لا يتعاون بطبعه قبل أن يتعرف إلى الله لا يتعاون أما حينما ينفذ أمر ربه وينفذ منهج ربه يتعاون مع إخوانه، ورد في الحديث القدسي " وجبت محبتي للمتحابين في والمتجالسين في والمتباذلين في والمتزاورين في، والمتحابون في جلالي على منابر من نور يغبطهم عليها النبيون يوم القيامة ".

فالفردية من صفات الإنسان المنقطع عن الله المتفلت من منهج الله هو الأصل هو المحور كل التمركز على ذاته، يلغي وجود الآخرين يلغي آراءهم يعيش وحده وكأن الأرض كلها له، أما المؤمن يصدع بأمر ربه ينفذ تعليمات صانعه يتعاون مع إخوانه، يأخذ منهم ويعطيهم، يقول سيدنا عمر " أحب ما أهدي إلي أصحابي عيوبي"، النبي عليه الصلاة والسلام أصغى إلى النصيحة، من الحباب بن المنذر، قال هذا المكان وحي أوحاه الله إليك أم هو الرأي والمشورة قال بل هو الرأي والمشورة قال ليس بموقع، فأشار إلى موقع آخر فقال هذا هو الصواب، وقف النبي عليه الصلاة والسلام الموقف الكامل في الإصغاء إلى النصيحة فالإنسان حينما يبتعد عن منهج الله فسيكون فرديا وسيكون أنانياً وسيتمحور حول ذاته، لكن المؤمن إذا عرف الله خرج من ذاته إلى المجتمع صار في خدمة الآخرين.

المقدم:

أستاذ راتب في أي مؤسسة في أي بلد إن لم تتوفر هذه الروح الجماعية وهذه الروح الفريقية وهذه الروح الاستعدادية للتفاني في العمل ضمن فريق لن يكون هناك لا تقدم ولا إنجاز ولا صمود ولا وقفة مشرفة للاستمرار في الحياة.

الأستاذ راتب:

أتصور أن هناك إنساناً واحداً لا يخطئ هو الذي لا يعمل، الذي لا يعمل إنسان يعيش على أنقاض الآخرين يبني مجده على أنقاضهم يبني حياته على متاعبهم أما الذي يقدم شيء هذا يستحق كل تقدير، يقول سيدنا عمر إني أرى الرجل ليس له عملاً يسقط من عيني، سأل النبي رجلاً يصلي في المسجد في غير أوقات الصلاة من يطعمك قال أخي قال أخوك أعبد منك.

امسك النبي ﷺ بيد سيدنا عبد الله بن مسعود ورفعها وقال هذه اليد يحبها الله .

ورسوله، الحقيقة الروح الجماعية في الإسلام صارخة.

والحمد لله رب العالمين

ندوة (04) : العيد2

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدم:

سنتحدث الليلة عن الإنسان، هذا المخلوق الأول، المكلف وهو أيضاً مكرم، ما المقصود بعبارة مكلف، وعبارة مكرم، وما هي مقومات التكليف، نبدأ بقضية الإنسان مكلف.

الأستاذ راتب:

ربنا سبحانه وتعالى يقول:

﴿ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ (159)﴾

[سورة آل عمران]]

الله ﷻ كلفنا بعبادته، يبدو أن سعادتنا كلها بطاعته والوصول إلى جنته، العبادة التي كلفنا بها هي أن نسمو بنفوسنا، لأن الله عز وجل يقول:

﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا (9)﴾

[سورة الشمس]

وردت كلمة قد أفلح في القرآن في أربع آيات فقط أحد هذه الآيات قد أفلح من زكاها، تزكية النفس أن تُعرِّفَها بربها وأن تَحملها على طاعته وأن تصطبغ بصبغة الله عز وجل كما قال الله ﷻ:

﴿ صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ (138)﴾

[سورة البقرة]

ذكرت في الحلقة السابقة البارحة أن الإنسان يطيع الله عز وجل لكن هذه الطاعة لابد لها من معرفة، لن تكون طاعة قبل أن تكون معرفة المعرفة هي السبب والطاعة هي الأصل أما السعادة هي الثمرة فالطاعة أصل والمعرفة سبب والسعادة ثمرة، الحقيقة لما الإنسان يتحرك في كليات الدين الثلاث معاً، في جانب معرفي وجانب سلوكي وجانب جمالي يتفوق، أما إذا ركز على جانب دون آخر يتطرف.

يمكن أن يميز الفرق بين التفوق والتطرف، التفوق أن تتحرك في الخطوط الثلاث، الإسلام جانب علمي، ما اتخذ الله ولياً جاهلاً لو اتخذه لعلمه، كن عالماً أو متعلماً أو مستمعاً أو محباً ولا تكن الخامسة فتهلك، فضل العالم على العابد كفضلي على أدناكم، كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب، لعالم واحد أشد على الشيطان من ألف عابد العلم لابد منه هذا جانب في الإسلام، الجانب السلوكي الطاعة لله عز وجل، إن لم تنضبط بمنهج الله لن تقطف ثمار هذا الإسلام:

﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ (30)﴾

﴿ فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (112)﴾

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا عَنْهُ وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ (20)﴾

﴿ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً (71)﴾

[سورة فصلت . سورة هود 112. سورة الأنفال . سورة الأحزاب]

الجانب الجمالي الإنسان المؤمن الملتزم سعيد في الدنيا.. جنة من لم يدخلها لم يدخل جنة الله عز وجل.

فلو شاهدت عيناك من حسننــا الذي رأوه لما وليت عنا لغيرنا

ولو سمعت أذناك حسن خطابنا خلعت عنك ثياب العجب وجئتنا

ولو ذقت من طعم المحبــة ذرة عذرت الذي أضحى قتيلاً بحبنـا

ولو نسمت من قربنا لك نسمــة لمت غريب واشتياقاً لقربنـــا

الحقيقة في الدنيا جنة من لم يدخلها لم يدخل جنة الله، في بعض الآيات الكريمة:

﴿ وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ (6)﴾

[سورة محمد]

في الدنيا ، هو على جانب من السعادة كيف لا يسعد فهو مع ربه الله سبحانه وتعالى هو كل شيء بيده:

﴿ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ (123)﴾

[سورةهود]

المقدم:

والسلامة والسعادة مطلبان ثابتان للإنسان.

الأستاذ راتب:

أي إنسان على وجه الأرض له مطلبان ثابتان، السلامة والسعادة من منا يحب المرض من منا يحب الفقر، من منا يحب أن يكون في مكان دني، هذا شيء ترفضه النفس البشرية ولكن قد يغيب عن الإنسان أن سلامته في طاعة ربه سلامته في تطبيق تعليمات الصانع، الإنسان إذا انطلق من حبه لذاته يطيع الله، لأن الإنسان مفطور

على حب وجوده وسلامة وجوده وكمال وجوده واستمرار وجوده، أي إنسان مفطور على حب وجوده وسلامة وجوده وكمال وجوده واستمرار وجوده، وهذا الوجود وسلامته وكماله واستمراره لا يتحققان إلا بتطبيق تعليمات الصانع، فالإنسان قد ينطلق من حبه لذاته فيطيع ربه، هذه السلامة أما السعادة فلا تكون إلا بالقرب من الله عز وجل، بتطبيق منهج الله يسلم بالاقتراب منه يسعد، بالطاعة يسلم بالعمل الصالح يسعد:

﴿ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَداً (110)﴾

سورة الكهف]

إذاً السلامة والسعادة مطلبان ثابتان لكل الناس، لماذا يشقى الإنسان يشقى لأنه يبحث عن السعادة في غير مظانها، من بحث عن اللؤلؤ في الصحراء لن يجد لؤلؤاً، إن لم تبحث عن السعادة في مظانها فلن تصل إليها، السعادة في القرب من الله، دققوا في هذه الآية:

﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى (124)﴾

[سورة طه]

و من أعرض عن ذكري فإن له معيشةً ضنكا، هذا كلام خالق الكون

﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (97)﴾

[سورة النحل]

فالحياة الطيبة في طاعة الله والحياة الضنك المتعبة في مخالفة منهج الله، فكل إنسان بفطرته يبحث عن سلامته وسعادته، ولكن المؤمن عرف أسباب السلامة وعرف مظان السعادة.

المقدم:

ويقال أيضاً أستاذ راتب لا يسعد الإنسان إلا إذا صح عمله ولا يصح عمله إلا إذا عرف سر وجوده، فسر لنا هذا القول لو سمحت.

الأستاذ راتب:

أكبر سؤال يطرح على الإنسان لماذا أنت في الأرض ؟

ذكرت البارحة، إنسانٌ سافر لماذا هو في هذا البلد، إن كان جاء هذا البلد طالب علم يتحرك نحو الجامعات والمدارس، إن كان جاء هذا البلد تاجراً يتحرك نحو المؤسسات والمعامل، وإن كان جاءه سائحاً يتحرك نحو المقاصف والمتنزهات، الحركة لا تصح إلا إذا عرفت سر وجودك في الأرض، الإنسان موجود ليعبد الله، يعرفه ويطيعه ويسعد بقربه، أريد ألح على هذا التعريف الثلاثي، كلمة يعبد الله يعني يعرفه فيطيعه فيسعد بقربه في الدنيا والآخرة، هذا ملخص الملخص، فحركة الإنسان لا تصح إلا إذا عرف سر وجوده، الإنسان قد يظن السعادة في المال، يعطى المال كل شيء، في وسط حياته يرى أن المال شيء وليس كل شيء، أما في نهاية المطاف يرى أن المال ليس بشيء، هذه الأوهام التي يعيش بها الإنسان أحياناً:

﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالاً (103) الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعاً (104)﴾

[سورة الكهف]

موضوع التكليف بعبادة الله عز وجل هو الذي يعين الإنسان على إسعاد نفسه وعلى طلب سلامته.

المقدم:

أستاذ راتب في هذا الشهر الفضيل الذي مر تتبلور سلوكيات محددة ينتهي رمضان ويأتي العيد ويكافئ الإنسان نفسه أو يكافئه رب العالمي بالفرح والسعادة، لماذا لا يكون في حياة الإنسان أشهر أخرى مشابهة جداً أو رمضان آخر ؟

الأستاذ راتب:

والله أعلم .. حينما أمرنا الله عز وجل أن نعبده في رمضان وأن نتدرب على طاعته لكي تصفو نفوسنا مع ربنا أراد من هذه العبادة أن تنسحب على بقية الشهور، كأني أرس ذلك في خط بياني قفزة نوعية في رمضان مستمرة طوال العام إلى رمضان ثان، قفزة نوعية ثانية مستمرة أما هذا الذي ينضبط في رمضان ويتفلت بعد رمضان كالتي نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثاً، وهذا أن المنافق كالناقة حبسها أهلها فلا تدري لا لما حبست ولا لما أطلقت، لا لما صام ولا لما أفطر، هذا الصيام الذي فيه ترك الطعام والشراب فقط، هو المستوى الأدنى الذي لا يقبل من الصائم، " من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه ".

أرادنا الله أن نصفوَا معه في رمضان لينسحب هذا الصفاء إلى بقية العام، اصطفى البيت الحرام ليشيع الصفاء في كل مكان، اصطفى سيد الأنام ليكون كل إنسان على شاكلة هذا الصفاء، الحقيقة لا يعقل أن يستقيم الإنسان في رمضان ويتفلت بعد رمضان، إذاً ما فعل شيئاً، هذا لا يليق بإنسانيته، أراده الله أن يتابع، يفطر عن الطعام والشراب أما يستمر في كل الطاعات التي التزمها في رمضان.

المقدم:

أيضاً بالنسبة إلى العيد، العيد عالمياً له الصبغة أو الصفة الجماعية وهنا نلاحظ شيئاً من الفردية، فرد أو مجموعة أو أسرة، لكن هناك فرح بيت واسع ساحات، أرجو أن نقارن هذه هل هذا السبب، العيد حالة جماعية في

مختلف دول العالم، وعندنا أيضاً تاريخياً كان له الصفة الجماعية، الآن نراه محدود جداً.لماذا ؟

الأستاذ راتب:

الإنسان إذا تراجع عن منهج ربه ينتمي إلى فرديته، وإذا أقبل على طاعة ربه ينتمي إلى روح الجماعة التي أودعها الله في، فالإنسان بين فرديته وجماعيته، وهناك توازن بينهما، فطاعة الله تقتضي أن تكون مع الناس،الأنبياء عاشوا مع الناس كي يعرفوا مشكلاتهم كي يأخذوا بيدهم إلى الله عز وجل، هذا الذي يخرج من المجتمع، يتقوقع ببيته لا يعنيه أحد، ورد ببعض الأحاديث أنه " من لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم "، إذا الإنسان حينما ينتمي إلى فرديته يبتعد عن المجتمع، أما إذا اقترب من المجتمع بنية إصلاحه، لأن الله عز وجل قال:

﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ (108)﴾

[سورة يوسف]

فالإنسان إذا أراد أن يدعو إلى الله لابد أن يعيش بينهم ويضع يده على جراحاتهم على مشكلاتهم كي يعالجها، سيدنا عمر رضي الله عنه ادخل أحد الشعراء السجن لأنه قال بيتاً أهجى بيتاً قالته العرب، ما هو البيت:

دع المكارم لا ترحل لبغيتها وقعد فإنك أنت الطاعم الكاسي.

أن دع المكارم لا ترحل لبغيتها وقعد فإنك أنت الطاعم الكاسي، هذه مشكلة كبيرة، الإنسان المؤمن يخرج من ذاته إلى الآخرين، يبدو أن المقياس الذي يرفع الإنسان عن الله بمقدار نفعه للمجتمع، الأنبياء ماذا فعلو، أعطوا كل شيء ولم يأخذوا شيء، يا من جئت الحياة فأعطيت ولم تأخذ شيئاً.

المقدم:

هناك موضوع هام للغاية يذكر في خطبته يقال أن جون كندي قال عبارة مشهورة، أيها الأمريكيون لندع التفكير بما نستطيع أن نأخذه من هذا البلد ونفكر فيما نستطيع أن نعطيه، عبارة هامة جداً.

الأستاذ راتب:

قدم أحدهم كتاباً حول سيرة النبي الكريم فقدم هذا الكتاب بعبارات أعجبتني:

يا من جئت الحياة فأعطيت ولم تأخذ.

يا من قدست الوجود كله ورعيت قضية الإنسان.

يا من زكيت سيادة العقل ونهنهت غريزة القطيع.

يا من هيأك تفوقك لتكون واحداً فوق الجميع فعشت واحداً بين الجميع .

ذكرت لك أن النبي الكريم في غزوة بدر كانت الرواحل قليلة فالصحابة الكرام ألف والرواحل ثلاثمائة، فقال كل ثلاثة على راحلة وأنا وعلي وأبو لبابة على راحلة، ركب النبي الناقة نوبته، فلما جاء دوره في المشي توسلا صاحباه أن يبقى راكباً، فقال عليه الصلاة والسلام ما أنتما بأقوى مني على المسير ولا أنا بأغنى منكما عن الأجر فروح الجماعية جزء من الدين .

المقدم:

الإنسان هو الأساس في كل العملية الروحانية والسلوكية والدينية نرى أن الإنسان هو غاية الحياة لنعلق على هذا الموضوع.

الأستاذ راتب:

الإنسان إذا كان معذباً كان شقياً ما قيمة التقدم العمراني ما قيمة أي تقدم إن لم يكن الإنسان هو الأصل وهو مركز الثقل في كل حركة نحو الأحسن، أيمكن أن تكون حياة على أنقاض الإنسان، أبداً، الإنسان هو الأصل، ورد في بعض الأحاديث، لئن أمشي مع أخٍ في حاجته خير لي من عبادة شهر وصيامه، كان بن عباس صحابي جليل معتكف في مسجد رسول الله، رأى رجلاً كئيباً، قال مالي أراك كئيبا، قال والله ديون لزمتني لا أطيق سدادها، قال لمن قال لفلان، قال أتحب أن أكلمه لك، قال إذا فعلت، فخرج ابن عباس من معتكفه، فإنسان فضولي كما هي العادة في كل مجتمع، قال له يا ابن عباس أنسيت أنك معتكف، قال لا والله أنا معتكف وما نسيت ذلك، ولكني سمعت صاحب هذا القبر والعهد به قريب ودمعت عيناه، " والله لئن أمشي مع أخ لي في حاجته خير لي من صيام شهر واعتكافه في مسجدي هذا "، المؤمن الحق يخرج من ذاته إلى خدمة عباد الله، هذا مقياس أساسي، " الخلق كلهم عيال الله وأحبهم إلى الله أنفعهم لعياله "، وهذا مقياس التفوق في الآخرة .

المقدم:

هذا المجتمع يحتاج إلى نهضة إلى حالة تماسك إلى حال قوة وخاصة أنَّ كل فرد فيه مستهدف، فنحن نعيش حالة غير عادية أمام عدو يستهدف وجودنا، أي شيء في هذه المناسبة بالذات، لا نتذكر الفرح السعادة فقط بل نتذكر الأشياء الأساسية التي تستهدفنا، أرجو التحدث في هذا الموضوع.

الأستاذ راتب:

لابد من أن يقوم المجتمع على أسس سليمة الإنسان حينما يكون معززا مكرماً تلبى حاجاته، نحن في رمضان نذكر آية الزكاة:

﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (103)﴾

[سورة التوبة]

الفقير حينما يرى مجتمعه يهتم به، والغني حينما يعطي من ماله ويشعر بنمو في نفسه، هذا المال الذي يعطيه الغني للفقير، أولاً تزكو نفس الفقير و تشعر بقيمتها، وتزكو نفس الغني، يشعر أنه قدم شيئاً ثميناً، ليس بالخبز وحده يحيى الإنسان، الإنسان يحيى بعمل صالح يشعر بقيمته يؤكد ذاته بعمله صالح.

المقدم:

مرحلة تكافل وتضامن اجتماعي.

الأستاذ راتب:

نعم و تطهره هذا المال يطهر نفس الفقير من الحقد، الإنسان حينما يكون معذباً، سيدنا علي يقول " كاد الفقر أن يكون كفراً "، ما ذهب الفقر إلى بلد إلا قال له الكفر خذني معك، النبي الكريم أثنى على الذي يعمل بجد ونشاط، " المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف وفي كل خير " الإنسان حينما يرى مجتمعه مهتماً به، إذا كان هناك تكافئ فرص دائماً، و العبرة أن نفجر طاقات الإنسان، كيف نفجرها، بأن نعلمه وأن نهيئ له حياته الكريمة، أعط الإنسان رغيف خبزه وكرامته وخذ منه كل شيئ، حتى الإنسان يعطي يجب أن تعطيه حقه، أنا أذكر أن المجتمعات الإسلامية في العصور المزدهرة كانت في درجة من التكافل والتضامن والتعاون من الصعب أن يتصورها الإنسان بسبب أن هذا المنهج الصحيح طبق، لا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها.

المقدم:

على الصلح وعلى فكرة التطوير والانتعاش أو العافية الاجتماعية نلاحظ في مجتمعنا ظاهرة تسيب، لا اهتمام، فردية، بعض الأشياء التي يجب أن لا نخجل بالحديث عنها، أرجو مخاطبة هذا الموضوع بالذات ولا أقول ماذا

يجب أن نفعل ولكن تشخيص لهذه الحالات وأيضاً توصيف لأسس أو منهجية يثق بفكر الإنسان عقل الإنسان، يكون عقله آلي يتعامل مع آخر المبتكرات خالقاً منهجية محددة، أرجو إيضاح ذلك .

الأستاذ راتب:

في الإنسان وازع ورادع، الوازع داخلي والرادع خارجي، انقطعت الكهرباء في مدينة نيويورك منذ عدة أعوام تمت مائتا ألف سرقة في ليلة واحدة، فمجتمع مبنيّ على الروادع الخارجية هذا المجتمع منهار من الداخل، لكن حياناً تجد في مجتمع ملتزم أمور بسيطة جداً، أنا أضرب مثلاً، سيدنا بن عمر رأى راعي شياه قل بعني هذه الشاة وخذ ثمنها قال ليست لي، قال قل لصاحبها ماتت، قال ليست لي قال خذ ثمنها قال والله إنني لفي أشد الحاجة إلى ثمنها ولو قلت لصاحبها ماتت أو أكلها الذئب لصدقني فإني عنده صادق أمين لكن أين الله. أنا أرى أنه لابد أن ينمو الوازع الداخلي حتى نعالج قضية التسيب وقضية الهدر وقضية الهروب من المسؤولية، وقضية أن تبني مجدك على أنقاض الناس هذه يحتاج إلى وازع داخلي، الروادع الخارجية قد لا تكفي، مهما تقدم العلم ووصل إلى طريقة للضبط، في بعض الطرق بأمريكا هناك أجهزة رادار تكشف السرعة الزائدة، والإنسان ذكي اخترع جهاز يكشف عمل الجهاز فاضطر المسؤولون أن يخترعوا جهازاً يكشف هذا الجهاز الذي في السيارة، معركة لا تنتهي بين عقلين، أما إذا كان المنهج إلهي والإنسان بنى حياته على وازع داخلي، انتهى التسيب انتهى الانحراف انتهى التجاوز انتهى كل شيء، لأن هذا المنهج منهج خالق الإنسان علاج التسيب أن ننمي الوازع الداخلي، لن نكون مع هذا العامل في معمله.

المقدم:

وكيف ننمي هذا الوازع الداخلي والحياة مليئة بالمغريات والحياة مليئة بالأشياء التي تكرس حالة الأنانية، وكيف

ينمو والعقل الإنساني ومنهجية هذا العقل لا تُستخدم وللأسف ؟

الأستاذ راتب:

لابد من أن نرجع إلى ما قلنا سابقاً العلم لا يمكن أن يبدأ النهوض إلا عن طريق تعليم الصغار، لا يمكن أن نتقدم إلا أن نبدأ بهؤلاء الصغار، نغرس فيهم الروح الجماعية، النظرة الموضوعية، الإحساس الأخلاقي، الاعتزاز بماضي هذه الأمة، لابد من وازع داخلي يحرك الفرد، الإنسان آلة يتحرك بسرعة عجيبة، إذا ما في مقود فالحادث حتمي، الشهوات قوة اندفاع شديدة جداً، تحتاج إلى عقل والى مثبت والى روادع والى حوافز وإلا نقع في شر أعمالنا، نحن نريد أن نبني جيلاً على أسس سليمة على أسس من النظرة الموضوعية العلمية، من الإحساس الأخلاقي من الشعور الجماعي من إدراك المسؤولية من أن نعيش كواحد في فريق، الإنسان أيام يستقطب، والإنسان يحمله الناس.

المقدم:

في المدرسة ماذا نفعل ؟

الأستاذ راتب:

يجب أن نعتني قبل كل شيء بالمعلمين، هؤلاء هم الذين سيبثون كل شيء، المعلم الابتداء هو حجر الزاوية في الإصلاح، المعلم ينبغي أن يكون موفور الكرامة واسع الأفق واسع الثقافة يرى مهنته رسالة وليست حرفة يرتزق منها، لابد من أن يرى عمله رسالة يؤديها مقدسة جداً لأن من شب على شيء شاب عليه ومن شاب على شيء مات عليه ومن مات على شيء حشر عليه، هذا الذي أرجو أن يكون واضحاً.

المقدم:

يبدو أستاذ راتب أخذنا الحديث بموضوع آخر ونسينا إلى حد ما الحديث عن مقومات التكليف وهو موضوع حساس وأساسي أرجو أن تحدثنا عنه.

الأستاذ راتب:

الله ﷻ ما كلفنا أن نعبده وما أمرنا بتزكية نفوسنا إلا بعد أن أعطانا مقومات هذا التكليف، أول هذه المقومات كون مسخر للإنسان تسخير تعريف وتكريم، رد فعل التعريف الإيمان ورد فعل التكريم الشكر، وقد قال الله عز وجل:

﴿ مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَآَمَنْتُمْ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا (147)﴾

هذا الكون، أحدث خبر اطلعت عليه من محطة أخبار عالمية أنه أرسل مركبة إلى المشتري بقيت تسير ست سنوات بأعلى سرعة وصلها الإنسان أربعين ألف ميل بالساعة، على هذه المركبة مرصد عملاق اكتشف أبعد مجرة تبعد عنا ثلاثمائة ألف مليون بليون سنة ضوئية، قال تعالى:

﴿ فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ (75) وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ (76)﴾

[سورة الواقعة]

بينما أقرب نجم ملتهب إلى الأرض يبعد عنا أربعة سنوات ضوئيـــة(ثلاثمائة ألف بليون) لو أردنا أن نصل إلى هذا النجم لاحتجنا إلى خمسين مليون عام، النجم القريب، فكيف البعيد، هذا الكون ينطق بوجود الله ووحدانيته وكماله.

الإنسان في رأسه ثلاثمائة ألف شعرة في كل شعرة وريد وشريان وعصب وعضلة وغدة دهنية وغدة صبغية، في دماغ الإنسان مائة وأربعين مليون خلية استنادية سمراء لم تعرف وظيفتها بعد، القلب يضخ ثمانية أمتار مكعبة في اليوم، (وفي أنفسكم أفلا تبصرون) هذا الكون مسخر للإنسان تسخير تعريف وتكريم، فإذا عرف الله وشكره

حقق الغاية من وجوده، عندئذ يتوقف العلاج

﴿ مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَآَمَنْتُمْ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا (147)﴾

[سورة النساء]

هذا المقوم الأول، الثانية العقل، العقل أداة معرفة الله، مبادئه ثلاث مبدأ السببية والغائية وعدم التناقض، هذه المبادئ تتوافق مع أنظمة الكون.

الشيء الثالث الفطرة، تحدثت عنا البارجة، فالإنسان مجبول جبلة تكشف خطأه ذاتياً.

الشيء الرابع التشريع، التشريع مقياس مركزي نقيس به العقل والفطرة، الحسن ما حسنه الشرع والقبيح ما قبحة الشرع.

ثم الشهوات أودعها الله بنا لنرقى بها إلى رب الأرض والسماوات هي حيادية، إلا أنها سلم نرقى به أو دركات نهوي بها، كالوقود السائل في السيارة إذا كان في مستودعاته المحمية وسال في أنابيبه المحكمة وانفجر في الوقت المناسب وفي المكان المناسب ولد حركةً نافعة، أما إذا خرج عن مساره وأصابت المركبة شرارة أحرقت المركبة ومن فيها فالشهوات قوة انفجار لابد من ضبطها بمنهج.

ثم حرية الاختيار من أجل تثمين العمل بالشهوات نرقى إلى الله نرقى مرة صابرين ومرة شاكرين، وما أودع الله فينا شهوة إلا وجعل لها قناةً نظيفة تسري خلالها، أما الاختيار من أجل أن يثمن عملنا، نحن إذا أُجبرنا على الطاعة بطل الثواب ولو أجبرنا على المعصية بطل العقاب ولو تركنا هملاً لكان عجزاً في القدرة إن الله أمر عباده تخييراً ونهاهم تحذيراً وكلف يسيراً ولم يكلف عسيراً وأعطى على القليل كثيراً.

فالكون والعقل والفطرة والمنهج وحرية الاختيار والشهوة هذه مقومات التكليف وهذه تحتاج إلى بسط وتفسير.

المقدم:

الحقيقة أستاذ راتب كل كلمة من الكلمات التي قلتها في مقومات التكليف تحتاج إلى ساعات وساعات من التمحيص والتدقيق والشرح والاستبانة.

والحمد لله رب العالمين

ندوة (05) : حقيقة الحج

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حول مفهوم الحج وحكمته يسرنا أن نستضيف فضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي الأستاذ المحاضر في جامعة دمشق، أهلاً وسهلاً ومرحباً بكم فضيلة الدكتور، بكم يا سيدي.

ورد في الحديث:

((" عَنْ عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّهَا قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ نَرَى الْجِهَادَ أَفْضَلَ الْعَمَلِ أفلا نُجَاهِدُ قَالَ لا لَكِنَّ أَفْضَلَ الْجِهَادِ حَجٌّ مَبْرُورٌ))

[البخاري، النسائي، ابن ماجه]

والحج عبادة شعائرية فما هي حقيقة الحج ؟

الحقيقة الأساسية في حياة الإنسان أن الإنسان خلق ليعبد الله بل إن العبادة علة وجوده لقول الله عز وجل:

﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ (56)﴾

[سورة الذاريات: الآية 56]

ومن أدق تعريفات العبادة أنها طاعة طوعية ممزوجة بمحبة قلبية أساسها معرفة يقينية تفضي إلى سعادة أبدية، لكن العبادات على أنواع منها ما هو عبادات شعائرية كالصلاة والحج والزكاة، ومنها ما هو عبادات تعاملية كالصدق والأمانة وأداء الحقوق ورعاية الأقارب والدخل الحلال وما إلى ذلك، والحقيقة الصارخة أنه ما لم تصح العبادات التعاملية لا تقبل العبادات الشعائرية، فقد ورد في بعض الأحاديث أن الحاج الذي يحج بمال حرام ينادى أن لا لبيك ولا سعديك وحجك مردود عليك، إذاً لابد أن تصح العبادات التعاملية لأن النبي ﷺ أمر أصحابه

بالصدق والأمانة والعفاف وصلة الرحم وحسن الجوار وما إلى ذلك، هذا جوهر الدين.

الحاج عندما يتوب إلى الله توبةً نصوحة ويحرر دخله من الحرام ويلتزم منهج الله عز وجل عندئذ حينما أدى العبادات التعاملية صار المجال مفتوحاً كي تقبل عباداته الشعائرية، شيء آخر الإنسان له عقل يدرك وقلب يحب وجسم يتحرك فلكل جانب غذاءه، فكما أن غذاء العقل العلم، وغذاء الجسم الطعام والشراب، غذاء القلب هو الاتصال بالله، فالحج شحنة روحية عالية جداً، الإنسان في الصلاة يشحن من صلاة إلى صلاة، وفي يوم الجمعة يشحن في خطبة الجمعة وصلاتها، وفي رمضان يشحن إلى عام بأكمله، لكن الحج هو شحنة العمر وينبغي أن تبقى آثار الحج طوال العمر لأنه فرض مرةً واحدة.

هذه العبادة لها خصوصية دقيقة تتميز بأنها تحتاج إلى تفرغ تام فلا تؤدى إلا في بيت الله الحرام، فلابد من ترك الأهل والخلان، وترك الأوطان، وترك العمل، والزوجة، والأولاد، والمرتبة الاجتماعية، هناك أقنعة كثيرة نحن نغتر بها في حياتنا، هذه الأقنعة ينبغي أن تسقط كلها من أجل أن يعرف الإنسان حقيقة نفسه وسر وجوده وغاية وجوده، فلابد من التفرغ التام ولكن شاءت حكمة الله أن هذا الحاج الذي ترك بيته وعمله وأهله وأولاده وهم أحب الناس إليه، وترك مكانته ورتبته وكل الميزات التي يقدمها له وطنه وبلده ورحل إلى الله، إن الحج في حقيقته رحلة إلى الله كما أنني أسافر لأتعلم في بلد معين أو أسافر لأستجم، أو أسافر لأتاجر، الحقيقة أن الحج رحلة إلى الله قال تعالى:

﴿ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعاً أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ﴾

[سورة النور: الآية 31]

س: فضيلة الدكتور هذا الحج، هذه الفريضة التي تؤدى في مكة المكرمة، الله موجود في كل مكان فما معنى أن تؤدى هذه الفريضة في هذا المكان بالذات ؟ ما معنى أن يكون لله بيت الله الحرام ؟

ج: الحقيقة أن الله في كل مكان، قال تعالى:

﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾

[سورة الحديد: الآية 4]

وهذه المعية معية العلم، وهو مع المتقين معية التوفيق، ولكن تمشياً مع كيان الإنسان المادي شاءت حكمة الله المطلقة أن يجعل لنفسه بيتاً في الأرض يأتيه من اشتاق إليه ومن أراد الصلح معه، هذا تمشياً مع طبيعة الناس المادية، أضرب مثلاً: لو أن طالباً له والد أستاذ في الرياضيات وأعطاه بعض الدروس، الدرس بلا مقابل، قد يهتم وقد لا يهتم، أما حينما يدفع الطالب ثمن درس مبلغاً باهظاً يصغي إلى كل كلمة يقولها المدرس لأنه دفع الثمن. الحج ترك الأهل والأوطان والعمل والمرتبة، ودفع أموال ومكان فيه ازدحام وحر، دفع ثمن هذا اللقاء، أراد الله عز وجل شيئين أن تدفع ثمن هذا اللقاء الكبير وأراد أن تشعر أنك تحبه بمعنى أنك آثرت تلبية دعوته على كل ما حولك من الدنيا، إذاً تمشياً مع كيان الإسلام اتخذ الله لنفسه بيتاً، قال تعالى:

﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكاً وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ (96)﴾

[سورة آل عمران: الآية 96]

هذا تمشياً مع طبيعة الإنسان المادية ومن أجل أن يدفع المسلم ثمن هذا اللقاء الطيب، وهو أعظم لقاء على الإطلاق، ومن أجل أن يشعر أنه صادق مع الله بدليل أنه آثره، آثر تلبية دعوته على كل ما حوله من الدنيا. يعني على مبدأ لا يعرف لذة الراحة إلا من تعب، ولا يعرف لذة الطعام إلا من جاع.

س: فضيلة الدكتور ما معنى بيت الله الحرام في هذه المنطقة الحارة بالذات، في هذا الوادي غير ذي زرع، في هذه المنطقة الجرداء الجافة، لماذا كان هنا بالذات هل له من معنى ؟

ج: كان من الممكن أن يكون مكان الحج، أو أن يكون بيت الله الحرام في أجمل بقعة في الدنيا حيث الجبال

الخضراء والبحيرات العذبة، والنسيم العليل، وأن يكون الحج على مدار العام دفعاً للازدحام، عندئذ يقبل جميع الناس على أداء هذه الفريضة طلباً للاستجمام لا عبادةً للواحد الديان، كأن لذة وهناك سعادة، فالله عز وجل عنده السعادة التي تنبع من الداخل والتي تتنامى والتي تعقبها راحة نفسية، وقد تتصل سعادة الدنيا بنعيم الآخرة، أما اللذة أولاً آنية وطابعها حسي وهي متناقصة وقد تنتهي بكآبة إن لم تكن وفق منهج الله، شاءت حكمة الله عز وجل أن يكون الحج في مكان حار، وفي وقت معين، وفي ازدحام شديد كي تعطل أسباب اللذائذ المادية وتتحرك السعادة الروحية، لو أن اللذائذ المادية موجودة وحصل اتصال بالله قد يضيع الإنسان ما سر هذه السعادة ؟ أهو الطعام الطيب؟ أم المناظر الجميلة ؟ أم النسيم العليل ؟ أم البحيرات الرائعة ؟ عطل الله كل أسباب اللذائذ المادية في هذا المكان وحرك الاتصال به ليعلم الإنسان علم اليقين أن غاية السعادة القرب من الله عز وجل، قال تعالى:

﴿ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ (28)﴾

[سورة الرعد: الآية 28]

والشيء الدقيق أن ما من حاج حج بيت الله الحرام بإخلاص شديد وبأداء تام لشعائر الحج إلا وتمنى أن يعود إلى هذه البلاد كل عام مع أن الحر شديد، مع أن النفقات باهظة، ومع أن الازدحام شديد والوقت محدد، حكمة الحج أن تعطل أسباب اللذائذ المادية وتحرك لذة السعادة بالله عز وجل.

س: هنا نستطيع أن ندرك بأن الحج هو رحلة إلى الله لا يخامرها أي لبث آخر من لذائذ الدنيا أو مشاغلها أو مقتضياتها، أن يكون المقصود أولاً و آخراً هو الاتصال بالله سبحانه وتعالى والحرص على الفوز برضى الله سبحانه وتعالى، حديث الرسول عليه الصلاة والسلام:

((عن عَائِشَةُ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ مَا مِنْ يَوْمٍ أَكْثَرَ مِنْ أَنْ يُعْتِقَ اللَّهُ فِيهِ عَبْدًا مِنْ النَّارِ مِنْ يَوْمِ عَرَفَةَ وَإِنَّهُ لَيَدْنُو ثُمَّ يُبَاهِي بِهِمْ الْمَلَائِكَةَ فَيَقُولُ مَا أَرَادَ هَؤُلَاءِ))

[مسلم، النسائي، ابن ماجة]

فما علاقة الحج بمغفرة الذنوب وبهذا العتق من النار ؟

ج: الحقيقة أستاذ ميسر جزاكم الله خيراً هناك وهم عند معظم المسلمين أنه لمجرد أن يحج بيت الله الحرام قد خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه، هذا صحيح لكن من زاوية واحدة، الذنوب التي بينه وبين الله حصراً أما الذنوب التي بينه وبين العباد هذه لا تسقط إلا بالأداء أو المسامحة، لئلا يتوهم المسلم أنه يفعل ما يشاء في بلده ثم يذهب إلى بيت الله الحرام فتغفر له ذنوبه، لا تغفر إلا الذنوب التي بين العبد وربه فهناك ذنب لا يغفر إطلاقاً وهو الشرك بالله، وهناك ذنب لا يترك وهو ما كان بينك وبين العباد، وهناك ذنب يغفر وهو ما كان بينك وبين الله، الحقيقة الصارخة أن حقوق العباد مبنية على المشاححة بينما حقوق الله مبنية على المسامحة.

ذكرتني ببيت من الشعر يقول:

إذا حججت بمال أصله سحت فما حججت ولكن حجت العير .

النبي عليه الصلاة والسلام أحد أصحابه توفي فجاء ليصلي عليه فسأل أعليه دين قالوا: نعم، قال: صلوا على صاحبكم، فقال أحد أصحابه: علي دينه يا رسول الله، سأل هذا الصحابي في اليوم التالي أديت الدين ؟ قال: لا، سأله في اليوم الثالث أديت الدين ؟ قال: لا سأله في اليوم الرابع أديت الدين ؟ قال: نعم، قال: الآن ابترد جلده. صحابي جليل وكان مع رسول الله.

هذا الصلاح وهذه التقوى وهذه العبادة كل هذا لا تعفي هذا المخلوق من حقوق العباد.

حقوق العباد لا تغفر إلا بالأداء والمسامحة، إلا ما كان بينك وبين الله إذا كان الحج مبروراً، طُبق وفق شعائر الدين تماماً كما حج النبي ﷺ تماماً وكان فيه إخلاص وإنابة إلى الله فعلاً رجع من ذنوبه كيوم ولدته أمه. الآن لو أن هناك تاجر وعليه ديون بالملايين وسوف تحجز أملاكه وبيوته ومتجره، وسوف يذل إذلالاً لا حدود له إن قيل له افعل شيئاً ترفع عنك كل الديون، هكذا فرصة ذهبية لأن يرجع الإنسان كيوم ولدته أمه، فكل التقصير الماضي فيما بينه وبين الله يسقط بأداء الحج المبرور لأن ليس له ثواب إلا الجنة.

س: لمحة سريعة فضيلة الدكتور أيضاً الترفيه الزائد في الحج ما دام تفضلتم أننا نذهب ابتغاء وجه الله سبحانه وتعالى لاشك بأن رفع المشقة مطلوب لكن هذا القصد للترفيه الزائد ما رأيكم به ؟

ج: الحقيقة الصارخة أن المشقة في الإسلام ليست مطلوبةٍ لذاتها أما حينما يبالغ الحاج في ترفيه نفسه فكأن الأقنعة التي أمر أن ينزعها في الحج لم تنزع، فجاء استمتع، وحج خمسة نجوم، وكأن الميزة التي أرادها الله أن يعود الإنسان إلى أصل فطرته وأن يعود إلى بساطته هذه الأقنعة المزيفة عاد إليها.

شكراً فضيلة الدكتور، في ختام هذا اللقاء أتقدم بالشكر الجزيل لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي الأستاذ المحاضر في جامعة دمشق وشكراً لإصغائكم والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

والحمد لله رب العالمين

ندوة (06) : الوقوف في عرفات

بسم الله الرحمن الرحيم

أيها المشاهدون الكرام السلام عليكم ورحمة الله وبركاته مازلنا في رحاب فريضة الحج هذه الفريضة التي قال عنها النبي ﷺ:

((عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ يَعْمَرَ قَالَ شَهِدْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَتَاهُ نَاسٌ فَسَأَلُوهُ عَنْ الْحَجِّ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْحَجُّ عَرَفَةُ...))

[الترمذي، النسائي، أبو داود، ابن ماجه، أحمد، الدارمي]

وحول مفهوم عرفات يسرنا أن نستضيف فضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي الأستاذ المحاضر في جامعة دمشق. أهلاً وسهلاً فضيلة الدكتور ومرحباً بكم.

س: فضيلة الدكتور الحج عرفة ما حكمة قول النبي ﷺ الحج عرفة ؟

ج: كأن الوقوف بعرفة ركن الحج الأعظم وهو الحج الأكبر، أن يقف الإنسان في مكان ليلتقي بالله عز وجل هذا أعظم أيام حياته على الإطلاق، الله عز وجل في القرآن الكريم يقول:

﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ﴾

[سورة الكهف: الآية 110]

وكأن الله عز وجل سيلخص كل القرآن يوحى إلي أنما إلهكم إله واحد، فما تعلمت العبيد أفضل من التوحيد، والتوحيد نهاية العلم، التوحيد أن لا ترى مع الله أحداً، أن ترى الله معطياً ومنعماً ومتفضلاً ومعزاً ومذلاً... فحينما يوحد الإنسان يتجه بكليته إلى الله عز وجل:

﴿ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَداً (110)﴾

[سورة الكهف: الآية 110]

حينما يستقيم الحاج على منهج الله ويعقد التوبة النصوح، وحينما يصلح عمله في كل مجالات الحياة، إذا جاء رده في عرفات ملبياً دعوته و واقفاً كما أمره النبي عليه الصلاة والسلام فلا بد من أن تحصل لهذا الحاج في هذا اليوم صلة لا توصف ينسى معها كل شيء .

فلو شاهدك عيناك من حسننا الذي رأوه

لما وليت عنا لغيرنـــــا

ولو سمعت أذناك حسن خطابنا

خلعت عنك ثياب العجب وجئتنـــا

ولو ذقت من طعم المحبة ذرةً

عذرت الذي أضحى قتيلاً بحبنـــا

ولو نسمت من قربنا لك نسمة

لمت غريباً واشتياقاً لقربنـــا

أساساً الحاج حينما يقول لبيك اللهم لبيك يشعر باللذة، كأن الله سبحانه وتعالى يقول له تعال يا عبدي، تعال إلى بيتي الحرام لتذوق طعم القرب، تعال يا عبدي لأريحك من هموم كالجبال جاثمة على صدرك، تعال يا عبدي وذق طعم القرب مني، تعال يا عبدي.

تخلى عن كل شيء.

فكأن الله يدعوه يقول لبيك اللهم لبيك، موعد اللقاء الأكبر في عرفات لذلك من وقف في عرفات ولم يغلب على ظنه أن الله غفر له فلا حج له، تفتح مع الله صفحةً جديدة تعاهده على الطاعة تطلب منه ما شئت من خيري الدنيا والآخرة تقبل عليه، تبتهل إليه، تمرغ جبهتك في أعتابه، الحج حقيقته عرفة وهو اللقاء الأكبر مع الله عز وجل.

س: المقصود فضيلة الدكتور المقصود الأساسي من الوقوف بعرفة هو تحقيق هذا الاتصال بالله سبحانه وتعالى، حيث ترك الإنسان الدنيا ترك الأهل، ترك كل شيء، لم يبقَ في ذهنه إلا أن يتصل بربه فما هي طبيعة هذا الاتصال ؟

ج: هذا الاتصال، النبي ﷺ في بعض الأحاديث قال:

((عَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مِفْتَاحُ الصَّلاةِ الطُّهُورُ....))

[أبي داود، ابن ماجه، أحمد، الدارمي]

يعني كل أمراض القلب التي تشقي الإنسان يوم القيامة يطهر منها بالاتصال بالله، كالحقد، والحسد، والكبر، والعجب، والاحتيال، والاستعلاء على الناس، والغطرسة، هذه الأمراض الوبيلة قال تعالى:

﴿ يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ (88) إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ (89)﴾

[سورة الشعراء]

فالصلاة المحكمة التي أرادها الله والتي تبلغ ذروتها في عرفات هذه تطهر النفس من كل أدرانها، شيء آخر قال عليه الصلاة والسلام:

((عَنْ أَبِي مَالِكٍ الأَشْعَرِيِّ أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:........الصلاةُ نُورٌ.))

[الترمذي، الدارمي]

تريك الحقيقة، أية حركة في الدنيا وراءها رؤية، فالمؤمن يرى بنور الله، قذف الله النور في قلبه، قال تعالى:

﴿ إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَاناً﴾

[سورة الأنفال: الآية 29]

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآَمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُوراً تَمْشُونَ بِهِ﴾

[سورة الحديد: الآية 28]

فالصلاة فضل عن أنها طهور هي نور تهتدي، قلما يقع المؤمن المتصل بالله في حماقة، قلما يقع في انحراف لأنه يرى طريقة، لأن النور الذي أودعه الله في قلبه والذي تؤكده الآيات والأحاديث تهديه سواء السبيل. حتى لو أخطأ سرعان ما يعود بسبب هذا النور الذي في قلبه ويرجع عن الخطأ.

والصلاة حبور، سعادة يقول عليه الصلاة:

((عَنْ سَالِمِ بْنِ أَبِي الْجَعْدِ قَالَ: قَالَ رَجُلٌ قَالَ مِسْعَرٌ أُرَاهُ مِنْ خُزَاعَةَ لَيْتَنِي صَلَّيْتُ فَاسْتَرَحْتُ فَكَأَنَّهُمْ عَابُوا عَلَيْهِ ذَلِكَ، فَقَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: يَا بِلالُ أَقِمْ الصَّلاةَ أَرِحْنَا بِهَا))

[أبي داود، أحمد]

وفرق كبير بين أرحنا بها وأرحنا منها، هذا الفرق بين الواجب والحب، فالصلاة التي تبلغ ذروتها في عرفات هي اتصال محكم بالله عز وجل تطهر النفس من أدرانها ويملؤها كمالاً، ومكارم الأخلاق مخزونة عند الله تعالى فإذا أحب الله عبداً منحه خلقاً حسناً، وفضلاً عن ذلك فالصلاة سعادة وأي سعادة، ثم إنها قرب، قال تعالى:

﴿ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ (19)﴾

[سورة العلق: الآية 19]

ثم إنها ذكر، قال تعالى:

﴿ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي (14)﴾

[سورة طه: الآية 14] وقال تعالى:

﴿ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾

[سورة العنكبوت: الآية 45]

يعني أكبر ما في الصلاة ذكر الله، وفي رأي آخر لبعض المفسرين، أنت تذكر الله في الصلاة لكن ذكر الله لك في الصلاة أعظم من ذكرك إياه، إذا ذكرك الله ملء قلبك نوراً، ملء قلبك أمناً، ملء قلبك سعادة، ملء قلبك رضاً، الناس يبحثون عن السعادة في الدنيا ولا يجدونها كمن يبحث عن شيء في غير مضانه.

س: هذا الذكر يتحقق تماماً في هذا التفرغ في يوم عرفة، و الناس يشتغلون بذكر الله و بالدعاء، رأيت الناس قد شغلهم الدعاء من قلوبهم رأيناهم يذرفون دموعهم أثناء الدعاء كأنهم في حالة من السعادة الغامرة، ما طبيعة هذا الدعاء في يوم عرفة ؟

ج: يقول عليه الصلاة و السلام:

((" عَنْ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: خَيْرُ الدُّعَاءِ دُعَاءُ يَوْمِ عَرَفَةَ، وَخَيْرُ مَا قُلْتُ أَنَا وَالنَّبِيُّونَ مِنْ قَبْلِي لا إِلَهَ إلا اللَّهُ وَحْدَه لا شَرِيكَ لَهُ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ))

[الترمذي]

إنها فرصة لا تتكرر،، أن الله ينتظر أن تدعوه بالمغفرة، أن تدعوه بالرزق الوفير، بالسعادة الزوجية، بتوفيق الأولاد، لك أن تطلب منه من هذا الدعاء من خيري النيا و الآخرة، بل إن الدعاء يشعر الحاج شعوراً صارخاً أن دعاءه مستجاب، و قد قلت قبل قليل: من وقف في عرفات و لم يغلب على ظنه أنه غفر له فلا حج له.

ينبغي أن يغلب على ظنه أن الله غفر له، و عاد كيوم ولدته أمه، فالوقوف بعرفة فيه اتصال بالله، كي تطهر النفس من أدرانها، و كي تتجمل بالكمالات الإلهية، و كي تشعر بسعادة لا توصف، و فيه دعاء تطلب من مولاك الذي منحك نعمة الوجود:

﴿ هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئاً مَذْكُوراً (1)﴾

[سورة الإنسان: الآية 1]

و منحك نعمة الإمداد، و منحك نعمة الإرشاد، هذه النعم المتتالية تسأل الله من خيري الدنيا و الآخرة في عرفات.

س: فضيلة الدكتور ورد في الحديث:

((" عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: قَالَ الدُّعَاءُ مُخُّ الْعِبَادَةِ))

[الترمذي]

شعور الإنسان في عرفات أثناء الدعاء هذه العبودية، و قربه من الله سبحانه و تعالى ينعكس في نفسه بشكل إيجابي ؟

ج: لكن في الحديث الدعاء هو العبادة:

﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي﴾

[سورة غافر: الآية 60]

لم يقل عن دعائي بل عن عبادتي، معنى هذا تطابق الدعاء مع العبادة، فالدعاء هو العبادة، بل إن الله عز وجل يقول:

﴿ قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ﴾

[سورة الفرقان: الآية 77]

لولا أن الله خلقكم كي تتصلوا به ما عبأ بكم، يعبأ بكم إذا دعوتموه، إذا تذللتم أمامه، و الحقيقة الدقيقة أن الإنسان بين موقفين، إما أن يقول أنا فيتخلى الله عنه:

﴿ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئاً وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ (25)﴾

[سورة التوبة: الآية 25]

أو أن يقول الله:

﴿ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ﴾

[سورة آل عمران: الآية 123]

فإذا قلت الله تولانا، و إذا قلت أنا تخلى الله عني، هذه قضية أساسية، فالدعاء في عرفة دعاء مستجاب، و قد أتيت من أطراف الدنيا و دفعت عشرات الألوف، و تركت العمل، و تركت الأهل و الأولاد من أجل أن تتصل، و أن تسال، و أن تجاب.

س: هناك أيضاً لمحة صغيرة فضيلة الدكتور، قطع التلبية أو الانتقال إلى التكبير بعد الوقوف بعرفة مباشرة، ما معنى ذلك ؟

ج: لي ملاحظة قصيرة: أنا أتمنى على كل حاج أن يخلو مع ربه في عرفة، أن ينزوي في مكان، أن يدعوه، أن يبتهل إليه، أن يعاهده، أن يسأله، أن يمرغ جبهته في أعتابه، لابد من خلوة مع الله في عرفات.

الإنسان يلبي دعوة الله، أنا و قد تفضل الله علي بنعمة المغفرة، و نعمة قبول التوبة، و نعمة الاتصال به، و نعمة تطهير قلبه من الأدران، و نعمة ملء قلبه نوراً و حكمة و أمناً و سلاماً، شعر بهذا الفضل العظيم فينتقل من التلبية إلى التكبير، يقول: الله أكبر، أي أكبر من كل شيء أكبر من الدنيا و ما فيها، أكبر مما عرفت أيضاً، لذلك هذا الذي يقول الله و أكبر و يطيع شخصاً و يعصي خالقاً ما قال الله أكبر و لا مرة و لو رددها بلسانه ألف مرة، هذا الذي يغش الناس أحياناً ليأخذ دريهمات زائدة و قال الله و أكبر في العيد ما قالها و لا مرة و لو رددها بلسانه ألف مرة . إذا لم يكن هناك تكبير شعوري بأن يرى الله أكبر من كل شيء . فحكمة قطع التلبية إلى التكبير بان الحاج و قد حصل على هذه النعم الكبرى يقول: الله و أكبر دهشة لهذه النعم، و دائماً نحن أعيادنا و الحمد لله تأتي عقب عبادات كبرى، فعيد الفطر السعيد يأتي عقب الصيام، و عيد الأضحى المبارك يأتي عقب الحج، معنى ذلك الإنسان حقق أهدافه و حقق إنجازاً كبيراً أن الرد الطبيعي أن يقول: الله و أكبر على نعمة الهدى، على نعمة القرب من الله عز وجل، ابن آدم اطلبني تجدني، فإذا وجدتني وجدت كل شيء، و إن فتك فاتك كل شيء، و أنا أحب إليك من كل شيء.

ورد في كتاب مدارج السالكين لابن قيم هذا الأثر القدسي يقول:

((إن الإنس و الجن في نبأ عظيم، أخلق و يعبد غيري، و أرزق و يشكر سواي، خيري إلى العباد نازل و شرهم إلي صاعد، أتحبب إليهم بنعمي و أنا الغني عنهم، و يتبغضون إلي بالمعاصي و هم أفقر شيء إلي، من أقبل علي منهم تلقيته من بعيد، و من أعرض عني منهم ناديته من قريب، أهل ذكري أهل مودتي، أهل شكري أهل زيادتي، أهل معصيتي . موطن الشاهد . لا أقنتهم من رحمتي، إن تابوا فأنا حبيبهم و إن لم يتوبوا فأنا طبيبهم، أبتليهم بالمصائب لأطهرهم من الذنوب و المعايب، الحسنة عندي بعشرة أمثالها و أزيد، و السيئة بمثلها و أعفو، و أنا أرأف بعبدي من الأم بولدها))

شيء جميل جداً.

إذاً يوم عرفة هو يوم التأمل الذي هو يوم الاستعداد لتلقي هذه المغفرة، و هذا الاستعداد الروحي لتلقي هذا الأمر العظيم كأنه هو مرحلة الامتحان الأخير في نيل الشهادة، شهادة المسلم الذي استطاع أن تتحقق فيه العبودية لله سبحانه و تعالى بكل معانيها فشعر أن الله أكبر من كل شيء و بالتالي بدأ في التكبير في أيام العيد، و العيد هو الفرحة التي يفرحها المؤمن بهذا الإنجاز كمن نال شهادة دنيوية بسيطة يقيم لها فرحة، و يقيم لها احتفالاً، و المسلم بذلك أيضاً كأنه نال هذه الشهادة التي هي مرتبة عظيمة يصبو إليها كل مسلم، و خاصة في أداء فريضة الحج.

أنا أعتقد أن الذي يحج بيت الله الحرام كما حج النبي عليه الصلاة و السلام مطبقاً تعليمات النبي الدقيقة، و مع إخلاص القلب، و مع ابتغاء رضوان الله يعد يوم عرفة أعظم أيام حياته على الإطلاق، يوم العتق من النار و الفوز بالجنة.

جميل جداً و الحج عرفة، شكراً جزيلاً فضيلة الدكتور.

في ختام اللقاء أتقدم بالشكر الجزيل لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي الأستاذ المحاضر في جامعة دمشق، و شكراً لإصغائكم و السلام عليكم و رحمة الله و بركاته.

والحمد لله رب العالمين

ندوة (07) : الهجرة – الأخذ بالأسباب ثم التوكل على الله

بسم الله الرحمن الرحيم

ضرورة الأخذ بالأسباب ثم التوكل على الله :

حديثنا اليوم حول الهجرة ، هجرة المصطفى ﷺ وأصحابه الكرام من مكة إلى المدينة ، بسبب ما لاقوه من ضغوط اقتصادية ونفسية واجتماعية ، و بسبب ما وقع عليهم من ظلم وعذاب واضطهاد ، ونقف أمام أمور هامة، مولد النبي ﷺ، بداية نزول الوحي ، ثم الهجرة ، أما مولده ﷺ فكان كمولد أي طفل يولد في مكة المكرمة، إلا أنه ﷺ كان يحمل سراً إلهياً ، وهو أنه سيكون خاتم المرسلين برسالة هي رحمة للعالمين ، أما بداية نزول الوحي ، بداية اتصال السماء بالأرض فقد كانت بمثابة حجر الأساس لمشروع ديني وإنساني كبير ، ولكن هذا المشروع لم يظهر بعد ، ثم كانت الهجرة .

تعلمنا الهجرة أن نأخذ بالأسباب وكأنها كل شيء ثم نتوكل على الله وكأنها ليست بشيء ، الله جلّ جلاله شاءت حكمته أن يخلق كل شيء بسبب ، عطاؤه بسبب وعقابه بسبب ، وأن هذه الأسباب لا تخلق النتائج لكنها ترافقها. شيء آخر ؛ النبي عليه الصلاة والسلام من خلال سيرته نقتبس أشياء كثيرة ، فحينما هاجر من مكة إلى المدينة أخذ بالأسباب وكأنها كل شيء فهيأ من يمحو الآثار ، وهيأ من يأتيه بالأخبار ، وسار مساحلاً ، وبقي في غار ثور ثلاثة أيام تمويهاً للمطاردين ، ثم اختار خبيراً آثر فيه الخبرة على الولاء ، هذا كله من الأخذ بالأسباب ، لكن حينما وصلوا إلى الغار أكد لنا أنه متوكل على الله عز وجل فقال لسيدنا الصديق : " يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما ؟ "

هذه حقيقة يحتاجها المسلمون أيما حاجة ، يجب أن نأخذ بالأسباب وكأنها كل شيء وينبغي أن نتوكل على الله وكأنها ليست بشيء ، فكأن الطريق الكامل عن يمينه واد سحيق وعن يساره واد سحيق ، إن أخذنا بالأسباب واعتمدنا عليها فقد وقعنا في وادي الشرك ، وإن لم نأخذ بها وقعنا في وادي المعصية ، أهل الدنيا كأنهم انقسموا إلى فريقين قسم أخذ بالأسباب واعتمد عليها وألهها فقد أشرك ، وقسم لم يأخذ بها فقد عصى ، لكن الموقف الأكمل أن نأخذ بالأسباب لأنها طريق الأهداف ثم نتوكل على الله ، لأن الله جلّ جلاله لا يمكن أن يعطي لهذه الأسباب فاعليةً إلا بمشيئته ، فالموقف الإيماني الكامل موقف يجمع بين العمل وبين التوكل ، أما أن نلغي العمل ونتوكل فهذا اسمه التواكل ، النبي عليه الصلاة والسلام تستنبط من سيرته حقائق كثيرة جداً ، أحد هذه الحقائق التي نأخذها من هجرته ﷺ الأخذ بالأسباب والتوكل على الله بعد الأخذ بالأسباب .

حقيقة الهجرة :

خاطر فكري يمر بالذاكرة ، الهجرة لم تكن محاولة نجاة بل جاءت في موعدها مع القدر لتحقيق أهداف إنسانية ودينية سامية ، فما حقيقة الهجرة ؟

حقيقة الهجرة أن يأخذ المؤمن موقفاً ، أن يتحرك ، فالإيمان ما إن تستقر حقيقته بالنفس حتى يعبر عنه بحركة ، بصلة ، بقطيعة ، برضى ، بغضب ، هذه الحركة هي التي تؤكد حقيقة الإيمان ، وكأن الأصحاب الكرام كانوا في مكة فلما أمروا بالهجرة فرزوا ، فالذي أراد الله ورسوله والدار الآخرة ترك موطنه وترك كل ما في هذا الموطن من خصائص وميزات ذلك أن الآخرة تحتاج إلى تضحية ، فالذي آمن ولم يهاجر كأن إيمانه لم يقطف ثماره إطلاقاً .

الصحابة الكرام تركوا كل شيء في سبيل الله ، و ما لم يضحِ الإنسان في سبيل الله بشيء هو عنده ثمين فإن ثمار الإيمان لم يقطفها أبداً ، الأصحاب الكرام تركوا بيوتهم وأموالهم وتجارتهم ومركزهم في بلدهم وانتقلوا إلى بلد ليسوا فيه على شكل يريحهم ، ولكن الله عز وجل هو الذي أراد لهم أن يفرزوا ، وأن ينجحوا في هذا الامتحان . المعنى الدقيق للهجرة أن تغادر بلداً لا تستطيع أن تقيم فيه شعائر الله ، ولا أن تضمن سلامة دينك ودين أهلك و أولادك إلى بلد يمكن أن تطيع الله فيه ، وأن تضمن سلامة دينك ودين أولادك ودين أهلك .

الهجرة في المعنى الدقيق هي انتقال من بلد إلى بلد يشبهان مكة والمدينة ، أما الانتقال من مكة إلى المدينة الآن فهذا لا معنى له إطلاقاً ، لأنه لا هجرة بعد الفتح ، لكن ممكن أن تنتقل من بلد إلى بلد يشبهان مكة والمدينة . شيء آخر ؛ لو وسعنا مفهوم الهجرة : عمل لا يرضي الله ينبغي أن تنتقل منه إلى عمل آخر يرضي الله ، علاقة لا ترضي الله ينبغي أن تنتقل منها إلى علاقة ترضي الله ، بيئة لا ترضي الله ينبغي أن تنتقل منها إلى بيئة ترضي الله ، فالمعنى الدقيق للهجرة أن تبحث عن مكان تعبد الله فيه ، وأن تضمن سلامة دينك ودين أولادك ودين أهلك ، بالمعنى الواسع أن تبحث عن بيئة صالحة تعينك على طاعة الله ، وأن تبحث عن مجتمع يزيدك إيماناً بالله ويبعدك عن فتنة الدنيا .

الهجرة موقف عملي ، وما لم يأخذ الإنسان هذا الموقف العملي لا يعد مؤمناً بالمعنى الدقيق ، قال تعالى :

﴿ وَالَّذِينَ آَمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُمْ مِنْ وَلَايَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ حَتَّى يُهَاجِرُوا﴾

[سورة الأنفال : 72]

قال الله تعالى في كتابه الكريم :

﴿ لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ﴾

[سورة التوبة : 108]

معاني الهجرة :

لقد كانت الهجرة حدثاً فريداً من أول يوم ، ذلك اليوم الذي كان بداية التاريخ الإسلامي.

حق للهجرة أن تكون مبدأً للتاريخ الإسلامي ، ذلك أن المسلمين حينما انتقلوا من مكة إلى المدينة أصبح لهم كيان ، هذا الكيان أعطاهم عمقاً في حياتهم ، وأعطاهم شخصيةً متميزة ، فمن الضياع إلى أن وجد المسلمون أنفسهم في المدينة ، من أرض يضطهدون فيها إلى أرض يعتزون بها هذا هو المعنى الأول .

المعنى الثاني من التفرقة ، من العداوة والبغضاء ، من العنعنات الجاهلية ، من العصبيات الجاهلية إلى الأخوة ، والمحبة ، والعطاء ، والتضامن ، والتعاون ، بون شاسع بين ما كانوا عليه في الجاهلية وبين ما أصبحوا به بعد أن أسلموا ، وأن انتقلوا إلى المدينة المنورة ، من مجتمع الاضطهاد والفقر إلى مجتمع الكفاية والعدل ، من مجتمع الضياع إلى مجتمع الهدى ، من مجتمع الشقاء إلى مجتمع السعادة ، فهذه الهجرة التي عدت نقلةً نوعيةً حادةً في حياة المسلمين حق للمؤرخين ولمن أراد أن تكون الهجرة بداية التاريخ الإسلامي أن يجعلها بداية لهذا التاريخ .

أيها المشاهدون الكرام ؛ تلك كانت لمحات عن هجرة المصطفى ﷺ ، كل عام وأنتم بخير ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

والحمد لله رب العالمين

ندوة (8) : ليلة القدر

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة :

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، وأهلاً ومرحباً بكم إلى هذا اللقاء الطيب المبارك إن شاء الله .

يقول الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم :

﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ * لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ * تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ * سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ﴾

[سورة القدر : 1-5]

حول فضائل هذه الليلة المباركة التي ينتهجها المسلمون في شهر رمضان المبارك يسرنا أن نتحدث في هذه الندوة مع ضيفينا الكريمين ، أبدأ بالترحيب بالضيفين الكريمين فضيلة الأستاذ الدكتور الشيخ وهبة الزحيلي ، الأستاذ في كلية الشريعة في جامعة دمشق ، وعضو المجامع الفقهية و فضيلة الدكتور الشيخ محمد راتب النابلسي، الأستاذ في كلية التربية في جامعة دمشق .

أهلاً وسهلاً بالأساتذة الكرام ومرحباً بكم ، في بداية اللقاء أتوجه لفضيلة الدكتور وهبه الزحيلي ، ليتكرم ببيان النصوص الدالة على ليلة القدر ومدلولات هذه النصوص إذا تكرمت .

النصوص الدالة على ليلة القدر ومدلولاتها :

الدكتور وهبة الزحيلي :

بسم الله الرحمن الرحيم ، والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله وعلى أهله وصحبه وسلم ، مشاهدي الكرام نحس جميعاً حينما يبدأً العشر الأخير من شهر رمضان المبارك بأننا سنواجه ليلة فيها من أبرك الليالي ، وأعظمها عند الله جلّ جلاله ، ألا وهي ليلة القدر ، هذه الليلة العظيمة " القدر يعني ذات القدر العظيم ، وذات المنزلة الرفيعة عند الله جلّ جلاله "، فنزلت هذه الآية رداً على استفسار الصحابة ، فقال سبحانه :

﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ﴾

[سورة القدر]

وقال جلّ جلاله في مطلع سورة الدخان :

﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ * فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴾

[سورة الدخان : 3-4]

هاتان الآيتان الكريمتان تشيدان بهذه الليلة العظيمة ، ولله سبحانه وتعالى في خلقه شؤون ، فقد يفضل بعض الأماكن على بعضها الآخر كما فضل مكة المكرمة على سائر بقاع الدنيا ، وأنها أبرك وأفضل الأماكن في العالم ، وفضل المساجد الثلاث المسجد الحرام ، ومسجد المدينة المنورة ، والمسجد الأقصى على بقية المساجد ، وكذلك ميّز بعض الليالي كليلة النصف من شعبان ، وليلة القدر ، ويوم الجمعة ، ويوم عرفة ، والعشر الأوائل من ذي الحجة ، فضل كل ذلك على بقية الأيام والليالي ، لحكمة جليلة في هذا ، والحكمة واضحة المعالم ، في أن هذه الليلة المباركة اقترنت بنزول سائر الكتب السماوية الأساسية في العالم ، فالزبور نزل في الليلة الخامسة من ليالي شهر رمضان ، والإنجيل نزل في السابع من شهر رمضان ، والتوراة نزلت في اليوم الخامس عشر من شهر رمضان ، والقرآن العظيم نزل كما روى الإمام أحمد في مسنده لأربع وعشرين خلت من رمضان أي الأيام

الفردية في العشر الأخير من رمضان ، التمسوها في العشر الأخير من رمضان ، أي في اليوم الخامس والعشرين، فقد تكون ليلة القدر في الواحد والعشرين ، أو الثالث والعشرين ، أو الخامس والعشرين ، أو السابع والعشرين ، وهو ما عليه أغلب جمهور العلماء ، أو في التاسع والعشرين ، فهذا يدل على مزيد هذا الفضل ومزيّته ، في نزول الكتب السماوية الكبرى في شهر رمضان ، ومنها اقتران هذه الليلة بنزول القرآن الكريم ، هذه الليلة العظيمة كما نزلت فيها هذه الكتب السماوية وبالذات خاتم الكتب السماوية وهو القرآن الكريم ، كذلك اقترنت بنزول الملائكة ، ملائكة السماء إلى الأرض لتدعو للصائمين والصائمات والمؤمنين والمؤمنات ، ربنا اغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك وقهم عذاب الجحيم ، وأدخلهم جنات عدن التي وعدتهم ومن صلح من آبائهم وأزواجهم و ذرياتهم إنك أنت العزيز الحكيم ، وقهم السيئات :

﴿ وَمَنْ تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾

[سورة غافر : 9]

كذلك اقترنت هذه الآية بوجوب أمر ثالث وهو نزول الخير والبركات والأرزاق، فشهر الصيام شهر يزاد في رزق المؤمن فيه ، وبالذات تتنزل الرحمات و الفضائل ، ففي ليلة القدر يتجلى الرب عز وجل و ينزل إلى السماء الدنيا و هذا نزول معنوي و ليس نزولاً مكانياً كما نفهم لأن الذات الإلهية ليس كمثله شيء و هو السميع البصير ، إنما هذا لتقريب ذلك المعنى إلى أذهان الناس ، ينزل ربكم إلى السماء الدنيا فيقول في ليلة القدر وفي وقت السحر: هل من داع فأستجيب له ؟ هل من مستغفر فأغفر له ؟ هل من مبتلى فأعافيه ؟ هل من مسترزق فأرزقه ؟ حتى يطلع الفجر ، فإن نزول الخيرات و البركات و التجليات الإلهية في هذه الليلة

كل ذلك اقترن بهذه الليلة المباركة ، ليرتقي مستوى المؤمنين و المؤمنات ليكونوا على مستوى الحدث ، و يعرف قدر هذه الليلة ، و يستغل هذه الليلة من أجل تحقيق منافع كثيرة له في الدنيا و في الآخرة .

المذيع :

إذاً نتوجه للدكتور راتب ما هي المعاني العظيمة التي تنطلق منها هذه الليلة ، ليلة القدر ؟

المعاني العظيمة التي تنطلق منها ليلة القدر :

الدكتور راتب النابلسي :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ، الحمد لله رب العالمين ، و الصلاة و السلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين .

الحقيقة أن معاني هذه الليلة تنطلق من قوله تعالى :

﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّماوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ﴾

[سورة الزمر: 67]

يمكن أن تعرف قوانين الخلق وهذه مهمة الجامعات في العالم ، ويمكن أن تعرف الأمر الإلهي وهذه مهمة كليات الشريعة في العالم ، لكن ينبغي أن تعرف الله عز وجل لأن أصل الدين معرفته ، وفي القرآن الكريم ما يزيد عن ألف وثلاثمئة آية تتحدث عن الكون وعن الحياة .

المذيع :

هل يمكن أن تعطونا ومضات من القرآن الكريم الدالة على خلقه إن شاء الله تعالى ؟

ومضات من القرآن الكريم دالة على خلق الله :

الدكتور راتب النابلسي :

بادئ ذي بدء ، إنك إذا عرفت الآمر ثم عرفت الأمر تفانيت في معرفة الآمر ، أما إذا عرفت الأمر ولم تعرف الآمر تفننت في التفلت من أمره ، وهذه مشكلة العالم الإسلامي الأولى ، الأوامر معروفة ، الحلال بين والحرام بين ، ولكن هناك ضعفاً في معرفة الآمر ، لا تنظر إلى صغر الذنب ولكن انظر على من اجترأت ، لذلك معرفة الله عز وجل ومعرفة الآمر أصلٌ من أصول الدين الكبرى ، بل إن صحت هذه المعرفة صح العمل ، إن لم تصح هذه المعرفة انحرف الإنسان عن الصواب .

1 . البعوضة :

البعوضة من آيات الله الدالة على خلقه

مثلاً الله عز وجل يقول :

﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يستحي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلاً مَا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا ﴾

[سورة البقرة : 26]

هذه البعوضة التي لا يأبه لها أحد ، بل إن النبي عليه الصلاة والسلام ضربها مثلاً في قلة الشأن : "لو أن الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى الكافر منها شربة ماء " هذه البعوضة لها ثلاثة قلوب قلب مركزي وقلب في كل جناح ، وجناحاها يرفان أربعة آلاف رفة في الثانية ، وهذه البعوضة تملك جهاز رادار ، فإذا كانت في غرفة تتجه إلى جبين النائم مباشرة ، وتملك جهاز تحليل تستخدم على ما يبدو نوعاً من الأشعة ،

وتملك جهاز تحليل للدم فما كل دم يناسبها ، فقد ينام أخوان على فراش واحد يقوم أحدهما وقد لسعته البعوضة ، والثاني سليم منها ، وتملك البعوضة جهاز تخدير لئلا تُقتل أثناء مص الدم ، إذ تخدر الذي تلدغه ، وتملك هذه البعوضة جهاز تخدير ورادار وتمييع للدم ، لأن دقة خرطومها تحتاج إلى سيولة بالغة جداً فتملك جهاز رادار ، وجهاز تحليل ، وجهاز تخدير ، وجهاز تمييع ، إنها إن أرادت أن تقف على سطح أملس تستخدم محاجمها ، وهي على ضغط الهواء ، وإن أرادت أن تقف على سطح خشن ، تستخدم مخالبها ، هذه البعوضة يمكن أن تشم رائحة عرق الإنسان من ستين كيلومتراً ، لذلك حينما أمرنا بالنظافة من أجل أن ندرأ عنا لسعات البعوض :

﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يستحي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلاً مَا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا ﴾

[سورة البقرة : 26]

الحقيقة هذا من خلق الله عز وجل ، وما ترى في خلق الرحمن من تفاوت أي دقة صنع ودقة خلق البعوضة لا تقل عن دقة خلق الحوت في البحر ، ولا تقل عن دقة خلق الشمس والقمر :

﴿ مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَاوُتٍ ﴾

[سورة الملك : 3]

2 . الغدة النخامية :

في الإنسان غدة سماها العلماء الغدة النخامية هي ملكة الغدد في الإنسان ، نظامٌ عصبي رأسه الدماغ ، فالدماغ ملك الجهاز العصبي في الإنسان ، نظام هرموني رأسه هذه الغدة ، هذه الغدة لا يزيد وزنها عن نصف الغرام فقط ، مرتبطة بالجسم تحت السرير البصري بمئة وخمسين ألف عصب ، هذه الغدة تفرز تسعة هرمونات ، لو أن هرموناً واحداً لم يفرز لأصبحت حياة الإنسان جحيماً لا يطاق ، من هذه الهرمونات هرمون النمو ، هذا الهرمون مؤلف من مئة وثمانية وثمانين حمضاً أمينياً ، وقد اطلعت على كتاب لأحد المؤلفين الغربيين هو أن الله

يتجلى في عصر العلم ، يقول هذا المؤلف : إن ذرات الكون بأكملها لا يمكن أن تكفي لصنع ذرة حمض أميني صدفة ، لشدة تعقيد هذا الحمض ، هرمون النمو مؤلف من مئة و ثمانية و ثمانين حمضاً أمينياً ينبغي أن يكون في كل ليتر في دم الإنسان عشرة ميلي غرام من هذا الهرمون ، إن قلت هذه النسبة تقزم الإنسان ، ولو زادت هذه النسبة تعملق الإنسان .

شيء آخر : هناك هرمون تفرزه هذه الغدة التي هي ملكة الغدد والتي لا يزيد وزنها عن نصف غرام ، هرمون الكظر ، كما قلت قبل قليل : الدماغ ملك الجهاز العصبي ، إنسان يمشي في الطريق أو في البستان رأى أفعى تنطبع صورة الأفعى على شبكية العين إحساساً ، فإذا انتقلت هذه الصورة إلى الدماغ أدرك الدماغ أبعاد هذا المنظر ، إنها أفعى لدغتها قاتلة ، بحسب المفهومات التي تلقاها الإنسان في دراسته أو في تجاربه أو في سماعه لبعض القصص ، فالدماغ ملك الجهاز العصبي يدرك أن أمامه أفعى لدغتها قاتلة، يلتمس من ملكة الجهاز الهرموني أن يتصرف ، فهذه الغدة النخامية لا بد من ضابط اتصال بينهما ، إنه الغدة تحت السريرية ، هذه الغدة ملكة تصدر أمراً إلى وزيرة الداخلية الكظر ، الكظر تصدر هرموناً يرفع ضربات القلب ، فالخائف تزداد ضربات قلبه ، لأن الدم في الضربات العادية يمشي بطيئاً، أما في الضربات السريعة فيمشي سريعاً من أجل تلبية الحاجة ، ثم تفرز هذه الغدة غدة الكظر هرموناً آخر لرفع وجيب الرئتين كي تتناسب حركات الرئة مع ضربات القلب ، وهرموناً ثالثاً تفرزه هذه الغدة ليضيق لمعة الأوعية المحيطية ، فالإنسان متورد لكنه إذا واجه خطراً لا يحتاج إلى هذا اللون الوردي ، يحتاج إلى النجاة من هذا الخطر ، فالخائف يصفر لونه ، وهرموناً آخر تفرزه هذه الغدة من أجل أن يفرز هرمون التجلط ، لئلا يسيل دمه كله من ضربة واحدة ، وهرموناً آخر تفرزه هذه الغدة تأمر الكبد بإطلاق كمية سكر إضافية في الدم ، لو فحصنا دم إنسان خائف لوجدنا كمية السكر عالية ، ولوجدنا هرمون التجلط عالياً ، لوجدناه أصفر اللون ، وقلبه يخفق بسرعة ، رئتاه تلهثان ، هذا كله يتم في ثوان ، هذا هرمون الغدة النخامية.

هناك هرمون الحليب ، هناك هرمون الجنس ، لي صديقٌ سافر إلى ألمانيا التقى بمديرة مبيعات رآها على وضع لم يكن من قبل ، صوتها خشن ، شعر نبت في وجهها ، سألها ما بها ؟ قالت : إن هرمون الجنس ضعف عندي ، أنا أدفع نصف دخلي كي أحافظ على هذا الشكل ، هذا هرمون الجنس يعطي الصفات الثانوية للذكر والأنثى ، هرمون توازن السوائل لو أن هذا الهرمون كف عن هذا الإفراز لأمضى الإنسان وقته بين صنبور المياه ودورة المياه ، هرمون اللون ، أي تفرز هذه الغدة التي لا يزيد وزنها عن نصف الغرام تسعة هرمونات ، كل هرمون لو كف عن الإفراز لأصبحت حياة الإنسان جحيماً لا يطاق ، قال تعالى :

﴿ وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾

[سورة الذاريات: 21]

من خلال آيات الله في خلقه ، وفي خلق الإنسان ، وفي خلق الحيوان ، وفي خلق النبات ، نعرف عظمة الله عز وجل ، هذه العظمة هي التي تتجلى في مثل هذا الموسم المبارك في شهر رمضان لنتوجه إليه ، لندرك من خلال معرفتنا لعظمة الله عظمة أوامره التي علينا أن نتقيد بها لمصلحتنا نحن البشر.

المذيع :

نعود مع الدكتور وهبة إذا تكرم ليبين لنا علامات ليلة القدر ، وما هي الحكمة في إخفائها ، لم تكن ليلةً محددةً بالضبط.

علامات ليلة القدر و الحكمة من إخفائها :

الدكتور وهبة الزحيلي :

مما لا شك فيه أن خلق الله وتشريعاته وأحكامه كلها مرتبطة بنظامٍ معين ، وبحكمةٍ رشيدةٍ ، وبأبعاد آفاق هي من أجل خير الإنسان وصالحه ، النبي عليه الصلاة والسلام أراد أن يخرج ليعين للصحابة الكرام دقة وموعد هذه الليلة الكريمة ، وذات القدر العظيم ، فوجد رجلين يتلاعنان يسب بعضهما بعضاً ، ويتنازعان فتضايق لهذا الأمر ثم عاد ولم يخبرهم دعاء هذه الليلة بسبب هذا التلاعن وهذا الخصام ، وقال النبي ﷺ أنسيتموها ؟ – أي بسبب هذا التنازع والشجار – ثم قال للصحابة الكرام : التمسوها في العشر الأواخر من رمضان في الليالي الفردية لا الزوجية ، والسبب في إخفاء موعد أو ميقات هذه الليلة هو كإخفاء تاريخ الوفاة ، إخفاء تاريخ يوم القيامة ، وإخفاء معالم الغيب ، لا يعلمها إلا الله ، إن الله عنده علم الساعة ، ينزل الغيث ، يعلم ما في الأرحام ، وما تدري نفسٌ ماذا تكسب غداً ؟ وما تدري نفسٌ بأي أرض تموت ؟ هذه اختص الحق ﷻ بمعرفتها ، ولم يطلع عليها أحد من البشر ، فإخفاء هذه الأمور إنما هو من أجل خير الإنسان ، لأن ذلك له اتجاه إيجابي واتجاه سلبي ، الاتجاه الإيجابي أنه لو عرف موعد هذه الليلة لأقبل على الطاعة فيها وأهمل واجباته وطاعاته في الأيام والليالي الأخرى ، وهذا ليس في خير الإنسان ولا من أجل مصلحته ، وكذلك لها هدف سلبي نفعي وهو أن الإنسان إذا عرف موعد هذه الليلة ومع ذلك أهمل تعظيمها ، وتعمد ارتكاب جريمة أو ذنب أو معصية فيها ، تضاعفت سيئاته ، فيكون قد تحدى الإرادة الإلهية والقدرة الإلهية، فإخفاء معالم هذه الليلة له فائدتان إيجابية وسلبية ، وكل ذلك يعود على خير الإنسان ومن أجل رعاية مصلحته ، إذاً ليلة القدر هي ليلة عظيمة ، أما علاماتها فليس كما يزعم بعض الناس ، هذا يراد توضيحه لأن بعض الناس يظن في هذه الليلة أنه سيرى شيئاً معيناً أو ما شابه ذلك ، كثيراً ما يردد بعض الناس مثل هذه الأقاصيص ، أو تلك الأخبار وكلها عارية عن

الصحة ، هذه الليلة ليس لها أية علامة مميزة تميزها عن بقية الليالي ، كما يزعم بعضهم أنه رأى قد انشقت السماء وقد نزل منها نور ، ورأى كذا وكذا ، كل هذا في الحقيقة لا دليل عليه ، وإنما أخبر الرسول عليه الصلاة والسلام عن بعض أمارات وعلامات هذه الليلة ، فقال : هي ليلة ساجية أي هادئة ، الشمس تطلع في اليوم الثاني بعد هذه الليلة ليست حارة ولا باردة ، وإنما تكون ليلة هادئة وعلاماتها مقبولة ، والنفس ترتاح في هذه الليلة بالذات ، بسبب وجود الاعتداد ، وعدم التجاوز لا في الحرارة ولا في البرودة سواء في موسم الشتاء أو في موسم الصيف على حد سواء .

فهذا في الحقيقة هو علامة هذه الليلة كما أخبر النبي المصطفى صلوات الله وسلامه عليه، فالمهم أن المؤمن هو الذي يحرص على طاعة ربه ، ويصل قلبه بالله عز وجل ، ويكون مؤدياً لأوامر الله سبحانه وتعالى في أية ليلةً ، وفي أي وقت ، ولكن إكرام الله عظيم فهو إن صادف هذه الليلة وهو متعبد ناسكٌ تال للقرآن يذكر الله ﷻ ويحيي جانباً من هذه الليلة وليس إحياء ليلة القدر أو إحياء ليلة النصف من شعبان أو غير ذلك كما يفعل الناس اليوم من أنهم لا ينامون طوال الليل هذا ليس مأثوراً في السنة ، وليس صحيحاً ، إنما الإحياء جزءٌ من الليل ، الإسلام دين عقل ، عقل الوقائع ، هذا إذا سهر الليل كله ونام النهار وبالتالي أضاع المصالح ، والله سبحانه وتعالى لا يريد تعطيل الأعمال ، ولا تعطيل الواجبات ، إنما يقوم بجزءِ من الليل يقترب به من الحق سبحانه وتعالى ، فإن صادف هذه الليلة يغفر الله له لقوله عليه الصلاة والسلام :

((من قام رمضان إيماناً – أي مؤمناً بالله ﷻ – واحتساباً – أي منتظراً للثواب عند الله سبحانه وتعالى – غفر له ما تقدم من ذنبه))

[متفق عليه عن أبي هريرة]

وفي بعض الروايات : " ما تقدم من ذنبه وما تأخر " دليل عظمتها .

المذيع :

أريد أن أنبه إلى تفاصيل أكثر لنرشد الناس كيف يحيون هذه الليلة وكيف يستقبلونها ؟ لكن أريد أن أتوقف قليلاً مع فضيلة الدكتور راتب حيث اتفق الحديث على أن المقصود ليس هذه المظاهر المقصود هو التوجه إلى الله ومعرفة الله سبحانه وتعالى فكيف يمكن أن نعرف الله سبحانه وتعالى من خلال أفعاله ؟

معرفة الله من خلال أفعاله :

الدكتور راتب النابلسي :

ذكرنا من خلال القرآن الكريم قبل قليل أن لله عز وجل آيات ثلاثة كبرى ، آيات كونية خلقه ، وآيات تكوينية أفعاله ، وآيات قرآنية كلامه ، وأن أصل الدين معرفة الله عز وجل ، فمصادر معرفتنا عن الله عز وجل خلقه ، وأفعاله ، وكلامه ، فنحن نتفكر في خلق السموات والأرض كما أمرنا .

الليل والنهار من آيات الله التكوينية

﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآَيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ * الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾

[سورة آل عمران: 190-191]

جاء الفعل ماضياً أي من أجل الاستمرار ، فنحن نتفكر في خلق السموات والأرض هذه آياته الكونية ، ونحن ننظر في أفعاله وهذه آياته التكوينية ، مثلاً يقول الله عز وجل :

﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ﴾

[سورة الفجر : 6]

هذه أفعاله :

﴿ أرم ذَاتِ الْعِمَادِ *الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ ﴾

[سورة الفجر: 7-8]

تفوق عاد في شتى المجالات و مع ذلك أهلكها الله لغطرستها :

تفوقت في شتى المجالات ، التي لم يخلق مثلها في البلاد ، الله عز وجل أهلك أقواماً كثر ، وكلما أهلك قوماً ذكرهم بأنه أهلك من هم أشد منهم قوة ، إلا قبيلة عاد حينما أهلكها قال :

﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً ﴾

[سورة فصلت الآية : 15]

أي ليس فوقها إلا الله فهذه عاد :

﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ* أرم ذَاتِ الْعِمَادِ *الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ ﴾

[سورة الفجر: 6-8]

شيء آخر : عاد تفوقت في شتى المجالات ، هناك كبر وغطرسة من أشد منا قوةً؟ هكذا يقولون ومع هذا التكبر والغطرسة هناك تفوق عمراني لا يوصف :

﴿ أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آَيَةً تَعْبَثُونَ * وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ ﴾

[سورة الشعراء:128- 129]

ومع هذا التفوق العمراني هناك قوةٌ عسكريةٌ كبيرة جداً :

﴿ وَإِذَا بَطَشْتُمْ بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ ﴾

[سورة الشعراء: 130]

وهنالك تفوقٌ علمي :

﴿ وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ ﴾

[سورة العنكبوت الآية : 38]

إذاً تفوق في شتى المجالات ، وكبرٌ ، وغطرسة ، وتفوقٌ في العمران ، وتفوقٌ في القوة الضاربة ، يقول الله عز وجل :

﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ﴾

[سورة الفجر: 6]

هنا هذا التفوق لم يسخر كما أراد الله سبحانه تعالى ، لا ، حتى جاءهم هذا الأمر الإلهي ، لأنهم طغوا وأفسدوا سيقول الله عز وجل :

﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ﴾

[سورة الفجر: 6]

﴿ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ﴾

[سورة الحاقة: 7]

الحكمة من تسمية عاد بالأولى :

أنا أريد أن أسأل الأخوة لماذا قال الله عز وجل : وأنه أهلك عاد الأولى ؟ لم وصفت عاد بأنها أولى ؟ فهم يرجعون لما عندهم من كتب أو لمن يثقون بعلمه يسألونه هذا السؤال ، على كل في عام ألف وتسعمئة واثني عشر صنعت أضخم باخرة في أوربا اسمها تايتنك هذه الباخرة وزع على ركابها كتيب صغير ورد في هذا الكتيب: إن القدر لا يستطيع إغراق هذه الباخرة ، فغرقت في أول رحلة ، كان تصميمها تصميماً عظيماً ، قال أحد القساوسة وقتها في بريطانيا : إن غرق هذه الباخرة درسٌ من السماء إلى الأرض ، بعد حين أرسلت مركبة اسمها المتحدي أصبحت كتلة من اللهب بعد سبعين ثانية من إطلاقها ، أي إنسان إذا تأله قصمه الله عز وجل :

((الْكِبْرِيَاءُ رِدَائِي ، وَالْعَظَمَةُ إِزَارِي ، فَمَنْ نَازَعَنِي وَاحِدًا مِنْهُمَا قَذَفْتُهُ فِي النَّارِ))

[أبو داود عن أبي هريرة]

خبر الله لمصداقيته ينبغي أن تأخذه وكأنك تراه :

ثم إن الله عز وجل يقول :

﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ﴾

[سورة الفيل: 1]

لم قال ألم تر مع أنّ جميعنا لم نر ؟

﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ﴾

[سورة الفجر: 6]

قال: خبر الله لمصداقيته ينبغي أن تأخذه وكأنك تراه ، هناك ملمحٌ دقيق :

﴿ أَتَى أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ ﴾

[سورة النحل : 1]

أي لم يأت بعد ، وأيضاً وعيد الله ينبغي أن تأخذه وكأنه وقع ، فنحن نعرف الله من خلقه ، ونعرف الله من أفعاله ، وأفعاله صارخةٌ بينة ، لذلك قال علماء العقيدة : كل شيء يقع تحت إرادة الله ، وكل شيء أراده الله وقع ، وإرادة الله متعلقةٌ بالحكمة المطلقة ، وحكمته المطلقة متعلقةٌ بالخير المطلق ، أي لكل واقع حكمة ، بصرف النظر عن الموقع ، بمجرد أن الله سمح لهذا الحدث أن يقع هناك حكمةٌ بالغة قد نكشفها وقد لا نكشفها ، هنا نستطيع أن نقول إذا سمحتم لي : بأننا نعرف الله سبحانه وتعالى من خلال نعمه ، عظمة الله في خلق الإنسان ، في خلق النبات ، في خلق الحيوان ، وعلينا أن نعرف الله سبحانه وتعالى من خلال قدرته

، من خلال قوته ، فحتى يتواضع هذا المخلوق البسيط الذي كان من أهم نفحات الدنيا يجب إمداده بتشريع الله سبحانه وتعالى ، فإذا تواضع وإذا تطامن إلى الأرض معترفاً بعظمة الله عز وجل لجأ إلى مزيد من العبادة ، وإلى مزيد من التقرب إلى الله سبحانه وتعالى .

المذيع :

أعود إلى الدكتور وهبة إذا تكرم ليحدثنا كيف نحيي ليلة القدر ؟ ما هي الاستعدادات النفسية ؟

كيفية إحياء ليلة القدر :

الدكتور وهبة الزحيلي :

دعنا من المظاهر التي يمكن أن يبحث عنها البعض ، كيف يتم ؟ وكيف نستعد له؟ وماذا نفعل ؟ وما هو مطلوب ؟ وما هو غير مطلوب ؟ إذا تكرمتم بالواقع أنه كما ذكرت لا يطلب إحياء هذه الليلة برمتها أو بكاملها وإنما يطلب التفرغ للعبادة في بعض أجزائها ، والله سبحانه وتعالى كريم يعطي الكثير على القليل ، ويعطي الجزيل على القليل ، فنحن عباد الله عز وجل ، ونحن دعاة ، ونحن مخلوقون ، فالله ﷻ لم يكلفنا بشيء يكون زائداً عن الطاقة وإنما قال:

﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ ﴾

[سورة التغابن : 16]

وقال :

﴿ لاَ يُكَلِّفُ اللهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا لَهَا ﴾

[سورة البقرة: 286]

فهذا الجزء الذي نحييه من ليلة القدر أو في الليالي الأخرى ينبغي أن نستعد له الاستعداد الكامل اللائق به كما يستعد بعضنا في استقبال بعض الضيوف ، أو في حفل عرس، أو في استعداد من أجل ولادة مولود وقد طال الأمد في انتظاره ، أو الاستعداد في التحالف من أجل طرد العدو الذي يغتصب الديار والأموال ويشرد إخواننا في كل مكان ، هذا الاستعداد إذاً يجب أن يكون على مستوى الحدث ، وحدث العبادة هو أن نبدأ أولاً بالتطهر الطهارة الصحيحة الكاملة ، والتي يكون فيها استكمال لأركان الوضوء وشرائطه وآدابه، وإثبات الوضوء على النحو المشروع ، ثم نفرغ إلى أداء الصلوات التي هي تطوع كصلاة قيام الليل ، أو التهجد ، كصلاة ركعتين على الأقل أو أربع أو ثمان ، وأقصى ما كان النبي عليه الصلاة والسلام يصلي في الليل هو ثماني ركعات من التطوعات ، لكن صلاته كان يطيل فيها إطالة لا نتحملها نحن ، وكان يصلي في الركعتين أربع سور كبرى ؛ سورة البقرة وسورة آل عمران ، وسورة النساء ، وسورة المائدة ، في ركعتين من الركعات التي هي حوالي ستة أجزاء في هاتين الركعتين .

وهذه صلاة منفردة ، لأن الصلاة الجماعية ينبغي أن نكون فيها مراعين لأحوال الناس :

((من أمَّ الناس فليخفف فإن فيهم الضعيف والمريض وذا الحاجة))

[البخاري عن أبي مسعود الأنصاري]

وكان النبي عليه الصلاة والسلام إذا أمَّ الناس فسمع بكاء طفل كان يسرع ويخفف في صلاته ، هذه الصلاة الفردية ، إذاً بحسب كل إنسان وبحسب طاقته الجسدية ، ثم بعد أن يؤدي هذه الصلاة يتجه إلى التأمل في هذا الكون والكتاب الكوني الأعظم وهو القرآن الكريم ، ثم يقرأ ويتلو ما شاء الله أن يتلو ، ويفهم ويدرك معاني آيات القرآن قال تعالى :

﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآَنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴾

[سورة محمد : 24]

ثم بعد هذه الجولة من الصلاة وتلاوة القرآن والتوجه إلى الأذكار والتسابيح والتهاليل يعقبه الاستغفار والإنابة إلى الله ﷻ ، ويبكي على خطيئته ، ويتوب توبةً خالصةً نصوحة إلى الله سبحانه وتعالى ، وإذا أحس بأنه ظلم إنساناً فلا تقبل هذه التوبة حتى ترد الحقوق إلى أصحابها ، ولذلك ينبغي أن يهيئ نفسه وأسرته لأن النبي عليه الصلاة والسلام كان إذا حلّ العشر الأخير من رمضان أيقظ أهله ، وشدّ المئزر ، وتفرغ إلى الصلاة، وينبغي أن نستعد نحن وأسرتنا ، والنساء أنا أفضل كما فضل النبي ﷺ أن تكون صلاتهن في بيوتهن ، لا داعي للمجيء للمساجد، فأفضل صلاة المرأة في بيتها ، والمساجد للرجال لهذا حكمة بالغة نلاحظها في هذا العصر الذي نعيشه ، إذاً هذه التدريبات وهذا الاستعداد ينبغي أن يكون لائقاً بعظمة الحدث ، وباستغلال فضله ، والتعرف لإدراك آثاره ، ومنها أن يحيا برضوان الله جلاله ، وبمغفرته ، وإثبات رحمته ، ليس في الدنيا فقط إنما في الآخرة .

استغلال ليالي رمضان كلها بالعبادة :

إذاً شهر رمضان أوله رحمة ، وأوسطه مغفرة ، و آخره عتقٌ من النار ، أي كل عشرة أيام مرحلة من المراحل تمتاز بمزية خاصة ، فالعشر الأخير من رمضان هو العشر الذي يقترب فيه انتهاء هذا الشهر ينبغي أن نستغل لياليه ، لا في ليلة القدر فقط إنما في لياليه كلها كما كان النبي الأعظم صلوات الله عليه وسلم يفعل ، أي كان يخصص في ليلة القدر جهداً أكبر ، وطاقة أعظم ، وتفرغ للعبادة و التلاوة والأذكار والاستغفار والتوبة النصوح الخالصة والدعاء للمؤمنين والمؤمنات في مشارق الأرض ومغاربها ، كأن يخلصهم من كل مكروه ، وأن يفرج عنهم كل همّ ، وأن ينصرهم على أعدائهم ، وأن يقوي أخواننا المجاهدين في كل مكان في هذا العالم ، فالله سبحانه وتعالى يستجيب لهذا الدعاء ، لأنه كما قال عليه الصلاة والسلام : " لو بغى جبل على جبل لدك

الباقي".

المذيع :

فضيلة الأستاذ راتب لو تكرمتم نريد المزيد من التعمق في طرق معرفة الله عز وجل ولاسيما من خلال منهجه وقرآنه ولو بعجالةً سريعة .

سلامة الإنسان و سعادته باتباع تعليمات الله عز وجل :

الدكتور راتب النابلسي :

الإنسان مفطورٌ على حب سلامة وجوده، وعلى حب كمال وجوده ، وعلى حب استمرار وجوده ، وأزمة أهل النار وهم في النار أزمة علم فقط ، في قوله تعالى :

﴿ وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴾

[سورة الملك: 10]

إذا اقتنيت آلةً غالية الثمن ، عظيمة النفع ، معقدة تعقيد إعجاز ، أنت حريصٌ حرصاً لا حدود له على اقتناء كتيب تعليمات التشغيل والصيانة ، وهذا الإنسان أعقد آلة في الكون ، تعليمات سلامته وسعادته في كتاب الله عز وجل ، قال تعالى :

﴿ فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى ﴾

[سورة طه : 123]

وقال تعالى :

﴿ فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾

[سورة البقرة: 38]

فلو جمعنا الآيتين : من يتبع هدى الله عز وجل لا يذل عقله ولا تشقى نفسه ولا يندم على ما فات ولا يخشى مما هو آت ، جمعت هاتان الآيتان أطراف السعادة كلها .

القرآن شفاء للنفوس :

ثم إن الله عز وجل يقول :

﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً ﴾

[سورة النحل: 97]

وقال أيضاً :

﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى ﴾

[سورة طه: 124]

ثم قال :

﴿ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آَمَنُوا ﴾

[سورة الجاثية: 21]

هذا لا يتناقض مع عدالته فحسب بل يتعارض مع وجوده :

﴿ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾

[سورة الجاثية: 21]

لذلك قال تعالى :

﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ ﴾

[سورة إبراهيم: 42]

﴿ قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ ﴾

[سورة آل عمران : 12]

﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ ﴾

[سورة الأنفال : الآية 36]

﴿ لا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلادِ *مَتَاعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾

[سورة آل عمران: 196-197]

﴿ أَفَرَأَيْتَ إِنْ مَتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ *ثُمَّ جَاءَهُمْ مَا كَانُوا يُوعَدُونَ *مَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يُمَتَّعُونَ ﴾

[سورة الشعراء : 205-207]

﴿ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ﴾

[سورة الأنعام: 44]

القرآن يهدي للتي هي أقوم ، القرآن شفاءٌ للنفوس ، إذاً السعادة والشقاء مرتبطان بالسير على منهج الله ، أو البعد عن منهج الله ، كل ما يمكن أن يتوفر للإنسان من وسائل دنيوية لا يمكن أن يحقق له السعادة الحقيقية إلا إذا اتبع منهج الله ، أما إذا لم يتبع فقد تكون دنياه سبباً لشقائه وتدميره .

المذيع :

سؤالٌ أخير لو تفضل الدكتور وهبة وبعجالة في نهاية الندوة لنطمئن الناس عن فضل هذه الليلة ليلة القدر ، وما

ينالونه من أجر و ثواب من خلال هذا الإحياء ؟

فضل ليلة القدر :

الدكتور وهبة الزحيلي :

من فضل الله و كرمه على المؤمنين و المؤمنات في هذه الليلة العظيمة المباركة أنهم يتعرضون لرحمات الله ، و تجلياته، و خيراته ، فهي ليلة البراءة ، و هي ليلة تقدر فيها الأرزاق و الآجال للسنة القادمة ، و هي لا يكتب فيها شيء من الشقاء لهذه الليلة المباركة . هي ليلة يغفر فيها كل ذنب للإنسان إذا كان في حالة استقامة و طاعة لله ﷻ ، فالسعيد هو من تعرض لهذه الرحمات و هذه التجليات ، و الشقي كل الشقاء هو من أعرض عن هذا المنهج و لم يتعرض لرحمات الله سبحانه و تعالى ، فهذا موسم الخير ، و هذا موسم الرحمة، و هذا موسم المغفرة ، و هذا موسم دخول الجنان ، فإذا جاء رمضان فتحت أبواب الجنة و غلقت أبواب النار ، و صفدت الشياطين ، و تزينت الجنة في هذه الليلة و في آخر ليلة من رمضان لينال الصائمون و الصائمات جزاء عملهم و إكرام الله لهم ، ثم يكونوا في العيد متعرضين للمغفرة حيث تقول الملائكة لهم و هم قادمون من صلاة العيد و في مطارق الطرقات : يا معشر المسلمين اغدوا إلى رب كريم يمن بالخير ثم يأتي عليهم لقد أمرتم بالقيام فقمتم ، و بالصيام فصمتم ، و أطعتم ربكم ، فاقبضوا جوائزكم ، و هذا اليوم يسمى في الأرض يوم الجائزة ، و في السماء يسمى يوم الجائزة ، و إنما ننال هذا التكريم الإلهي و المكافأة السخية من الله تعالى على هذا الإنجاز الطيب المبارك في رمضان كله و بالذات في ليلة القدر .

خاتمة و توديع :

المذيع :

جزاكم الله خيراً و شكراً لكم على ما تفضلتم به .

أيها المشاهدون الكرام لا يسعني في نهاية هذا اللقاء إلا أن أتقدم بالشكر الجزيل لضيفي هذه الندوة فضيلة الأستاذ الدكتور الشيخ وهبة الزحيلي ، الأستاذ في كلية الشريعة في جامعة دمشق ، وعضو المجامع الفقهية ، و فضيلة الدكتور الشيخ محمد راتب النابلسي ، الأستاذ في كلية التربية في جامعة دمشق ، شكراً لإصغائكم و متابعتكم و السلام عليكم و رحمة الله و بركاته .

والحمد لله رب العالمين

ندوة (09) : ندوة عن رأس السنة الهجرية

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة :

﴿ الَّذِينَ آَمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ * يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُقِيمٌ ﴾

[سورة التوبة: 20-21]

أيها الأخوة والأخوات؛ السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، اليوم نودع عاماً ونستقبل عاماً هجرياً جديداً، في مثل هذا اليوم وقبل أربعة عشر قرناً بزغ نور ساطعٌ أضاء سماء مدينة يثرب، مبشراً الأمة بقدوم النبي المصطفى محمد بن عبد الله ﷺ رسولاً ومبشراً ونذيراً، واستقبل النبي الكريم بالفرح العظيم من أهالي يثرب، وتعالت أصوات التهليل والتكبير ممتزجةً بزغاريد النساء وأهازيج الأطفال:

طلــع البدر علينـــا من ثنيـات الـــوداع

وجـب الشكر علينا ما دعـــــــا لله داع

أيها المبعوث فينـــا جئت بالأمر المطـاع

جئت شرفت المدينـة مرحباً يا خيــر داع

***

وبدأت منذ ذلك التاريخ رحلة الأمة في مسيرتها الحضارية نسجل كل يوم صفحةً جديدةً ناصعةً مليئةً بالأحداث الجسام والنتائج العظام.

فالهجرة النبوية الشريفة حدث غيّر مجرى التاريخ، إنها المنطلق العالمي والموقف الحاسم في تاريخ هذه الأمة، وكل ما تحقق من منجزات ونجاحات وانتصارات محسوب عليها وراجع إليها، إنها مرحلة انتقال من أرض حجبت عنها أنوار الهداية والمعرفة إلى أرض سطع بها نور الإسلام بما يحمله من قيم الحق والمساواة والعدل، إنها الحدث العظيم الذي برهن على نتائج الصبر والثبات على المبدأ، إنها الحد الفاصل بين الباطل و طغيانه وبين الحق وعدالته وسلامه وسماحته.

الهجرة النبوية الشريفة إنها تضحية كبيرة من النبي ﷺ ومن صحابته المهاجرين الكرام عندما تركوا الأرض والمال والأهل، في سبيل الدفاع عن الدين الجديد بكل إيمان وعزيمة.

فالهجرة قيام الدولة العربية الإسلامية على أسس حضارية راسخة وسليمة رسمت للحياة العربية وجهاً جديداً مشرقاً في كل شيء.

أيها الأخوة والأخوات؛ حول المعاني والدروس والعبر التي تحملها هذه المناسبة العظيمة نفتح حواراً مع ضيفينا الكريمين فضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي الأستاذ المحاضر بكلية التربية في جامعة دمشق وفضيلة الدكتور زياد الدين الأيوبي مدير إدارة الإفتاء العام والتدريس الديني في وزارة الأوقاف أهلاً وسهلاً بكما وكل عام وأنتم بخير.

كما تقدم في مقدمة الندوة الهجرة النبوية الشريفة درس تاريخي عظيم، تعلمنا منه الكثير من الفضائل والقيم، إنها عنوان الحضارة العربية الإسلامية في كل ما تحمل هذه الحضارة من قيم إنسانية نبيلة، وإنها البداية لتاريخ الأمة العربية الإسلامية التي اتسع نورها في أرجاء الأرض، بداية وقبل أن نبدأ الحوار حول الدروس والعبر حول هذه الهجرة النبوية الشريفة لابد أن نستمع من الدكتور زياد إلى نبذة تاريخية سريعة لما كان عليه حال العرب

والمسلمين قبل هجرة النبي عليه الصلاة والسلام.

نبذة تاريخية لما كان عليه حال العرب والمسلمين قبل هجرة النبي :

الدكتور زياد:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين وعلى آله وأصحابه أجمعين.

قبل الهجرة إلى المدينة المنورة بعث النبي ﷺ، ومنذ البعثة الشريفة وهو يدعو ويؤسس لقيام المجتمع الإسلامي، وقيام المجتمع الجديد، ولا شك أن النبي ﷺ لاقى الكثير من الصعوبات، ولاقى الكثير من الصّد من القريب ومن البعيد، آمنت به مجموعة وكفرت به مجموعة، والمؤمنون قلة، والذين كفروا برسالته كثرة كثيرة، وقد قسم المؤرخون الفترة المكية التي عاشها النبي ﷺ إلى قسمين اثنين؛ القسم السري والقسم العلني، وقال بعض المؤرخين والمفسرين بأن الفاصل بين هذين القسمين قوله تعالى:

﴿ فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ﴾

[سورة الحجر: 94]

لاشك أن مكة التي صعب عليها أن يخرج منها هذا الرجل وهو النبي ﷺ يدعوها إلى الإيمان بالله، ويدعوها إلى ترك الوثنية، ويدعوها إلى التوحيد، وإلى النظام، ويدعوها إلى مكارم الأخلاق، ويدعوها إلى تغيير الكثير من مفاهيمها، وقفت أمام النبي بكل ما تملك من قوة، فتارةً تعرض عليه المال، وتارةً تعرض عليه الملك والسلطان، وتارةً تهدده، ولكن النبي صمد أمام كل هذه المغريات، وأمام كل هذه التهديدات، اضطر النبي ﷺ قبل الهجرة إلى المدينة المنورة أن يرسل أصحابه إلى أرض الحبشة على هجرتين سبقت الهجرة إلى المدينة المنورة، وما كان هذا الأمر لو أن أهل مكة انصاعوا وأطاعوا، ولكن لابد من أن تحمى الدعوة، فالنبي قوي بالله سبحانه وتعالى أولاً،

ثم بأهله وعشيرته، وكان من المسلمين أناس يمكن للمكيين أن يقتلوهم وأن ينالوا منهم فكان لابد لهم أن ينتقلوا إلى أرض أخرى، وأن يتمكنوا من أن يقيموا شعائر دينهم بأرض الحبشة.

النبي ﷺ عرض نفسه على القبائل قبل بيعتي العقبة الأولى والثانية وفي بعض الروايات أن هناك ثلاثة لقاءات في العقبة، العقبة الأولى والثانية والثالثة، النبي ﷺ واجه أقاربه، واجه أعمامه، واجه أرحامه، ومع ذلك كان لابد له من أن يصمد، وكان لابد له من أن يعيش هذا الواقع، انتهى الأمر بأن عذب أصحابه، وعلينا ألا ننسى ما فعل المشركون بآل ياسر؛ عمار وياسر وأمه سمية، ولا ننسى ما فعل المشركون بسيدنا بلال الحبشي، ولا ننسى ما فعلوا بالضعفاء من المسلمين.

لما سقط من أيدي أهل مكة كل شيء قرروا أن يقاطعوا النبي عليه الصلاة و السلام، و كان تلك المقاطعة التي استمرت قرابة ثلاث سنوات تقريباً في شعب أبي طالب مقاطعة شديدة لا طعام، و لا شراب، و لا بيع، و لا شراء، و لا زواج، و لا أي شيء، و إنما أرادوا أن يقتلوهم في هذا المكان، و صمد النبي عليه الصلاة و السلام، و لما انتهى هذا الحصار كان النبي صلى الله عليه و سلم قد فكر بأن يخرج إلى أهل الطائف، و إلى أن يدعو ثقيفاً، عسى أن يجد من أهل ثقيف و من أهل الطائف السلم و الاستجابة، و لكن الطائف مع الأسف ردته أسوأ رد، و نذكر جميعاً الدعاء الذي توجه به النبي صلى الله عليه و سلم إلى الله تبارك و تعالى عندما رد: " اللهم إلى من تكلني؟ إلى بعيد يتجهمني أم إلى قريب ملكته أمري؟– إلى نهاية الدعاء – إن لم يكن بك غضب عليّ فلا أبالي".

عاد النبي صلى الله عليه و سلم إلى مكة، و مكة قد ازدادت حمية، و قد ازدادت مقارعة للنبي عليه الصلاة و السلام، النبي عاد إلى مكة و رأى أن لا جدوى من العمل في أرض مكة، و أن الأبواب أصبحت موصدة، و عرض نفسه على قبائل كندة، و عرض نفسه على قبيلة بني حنيفة، و عرض نفسه على قبائل كلب من قبائل

العرب المشهورة، و عرض نفسه على مجموعة من القبائل، و كان عليه الصلاة و السلام يختار موسم الحج و أسواق العرب كسوق عكاظ، و كان بموسم الحج يلتقي بالناس ليبلغهم، تصور بأن النبي عليه الصلاة و السلام يلتقي بالناس و يدعوهم و يأتي عمه أبو لهب من خلفه ليقول للناس: لا تصدقوه فهذا يكذب.

المذيع:

إذاً دكتور هذه لمحة موجزة سريعة لما عاناه النبي الكريم عليه الصلاة و السلام من عذاب و ألم قبل هجرته إلى مدينة يثرب، و قبل أن يؤسس لوجود دولة عربية إسلامية بكل ما تحمل هذه الكلمة من معنى في المدينة المنورة، هنا سؤال يطرح و كثير من المؤرخين يتساءلون لماذا النبي الكريم عليه الصلاة و السلام و هو رحمة للعالمين و قد أرسله الله سبحانه و تعالى لهداية البشرية لماذا لم يتح له المجال واسعاً و لم يفرش له الطريق معبداً لدعوته هذه؟ لماذا تجمع له كل قوى الشر كي تهبط هذه الدعوة و تفشلها؟ هنا الدكتور راتب ما هي الحكمة من هذا الجهاد الذي تعرض له النبي الكريم و أصحابه الكرام في بداية الدعوة إلى الدين الجديد؟

الحكمة من الأحداث التي تعرض لها النبي و أصحابه الكرام في بداية الدعوة :

الدكتور راتب:

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين و الصلاة و السلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين.
كلنا يعلم أن سنة النبي صلى الله عليه و سلم هي أقواله و أفعاله و إقراره، لو وقفنا عند أفعاله – و هجرته صلى الله عليه و سلم من أفعاله– لو لم يكن عندنا كتاب و لا سنة لكانت سيرة النبي و أفعال النبي وحدها منهجاً كاملاً لهذا الإنسان، ذلك أن الكون قرآن صامت، و القرآن كون ناطق، و النبي صلى الله عليه و سلم قرآن يمشي، فقد سئلت السيدة عائشة رضي الله عنها عن خلق النبي صلى الله عليه و سلم فقالت:

((سَعْدِ بْنِ هِشَامٍ قَالَ: سَأَلْتُ عَائِشَةَ فَقُلْتُ: أَخْبِرِينِي عَنْ خُلُقِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ فَقَالَتْ: كَانَ خُلُقُهُ الْقُرْآنَ))

[متفق عليه عن عائشة]

هناك نقطة دقيقة ذلك أن الأحداث التي وقعت في عهد النبي مقصودة بذاتها، لم تقع صدفة إنما وقعت لحكمة بالغة بالغة كي يقف النبي ﷺ منها موقف المشرع، وموقف القدوة، فقد كان النبي ﷺ قدوةً لنا، وبالمناسبة لعل من فضول القول أن نؤكد أن مهمة الأنبياء هي التبليغ، لكن في اعتقادي أن هناك مهمة أكبر بكثير من التبليغ هي أن يكون هذا الإنسان قدوةً، لأن الناس يتعلمون بعيونهم لا بآذانهم، وسبب أعمال الأنبياء التي لا تصدق هو أنهم طبقوا في أفعالهم ما قالوه بألسنتهم، قدوة متحركة، ذاق النبي ﷺ الفقر فكان قدوةً للفقراء، وذاق النبي الغنى فكان قدوةً للأغنياء، وذاق النبي القهر في الطائف -كما تفضل الدكتور زياد - فكان قدوةً للمقهورين، وذاق النبي النصر في فتح مكة فكان قدوةً للمنتصرين، وذاق النبي موت الولد، وذاق النبي الهجرة، هذه الأفعال التي فعلها النبي ﷺ هي بالحقيقة تشريع، بل إن هناك من يعتقد أن أفعال النبي ﷺ أصدق بالتعبير عن فهمه لكتاب الله من أقواله، ذلك أن أقواله تحتمل التأويل بينما أفعاله لا تحتمل التأويل.

إذاً نحن أمام مثل أعلى متحرك، ما يحتاجه المسلمون اليوم إلى مسلم متحرك لا إلى إسلام نقرؤه في الكتب، ولا إلى إسلام نسمعه بالمحاضرات، المسلمون يحتاجون إلى إسلام متحرك، شيء دقيق هو أن معرفة سنة النبي ﷺ وبالذات أفعاله فرض عين على كل مسلم لماذا ؟ لأن الله عز وجل يقول:

﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾

[سورة الأحزاب: 21]

عندنا قاعدة أصولية؛ ما لا يتم الفرض إلا به فهو فرض، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب، أرأيت إلى الوضوء لماذا هو فرض؟ لأن الصلاة لا تتم إلا به، الصلاة فرض إذاً الوضوء فرض، إذا قال الله عز وجل:

﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾

[سورة الأحزاب: 21]

كيف يكون النبي ﷺ أسوةً لنا وهذا أمر إلهي إن لم نعرف سيرته؟ موقفه من أصحابه؟ موقفه من أعدائه؟ موقفه في بيته مع زوجاته مع أولاده مع جيرانه؟ في سلمه؟ في حربه؟ في إقامته؟ في سفره؟ في رضاه؟ في غضبه؟ النبي عليه الصلاة والسلام فضلاً عن توجيهاته الحكيمة التي قال عنها الله عز وجل:

﴿ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى ﴾

[سورة النجم: 3-4]

النبي عليه الصلاة والسلام في حركته اليومية تشريع قائم بذاته، فكما قلت في بداية هذه الكلمة: لو لم يكن عندنا كتاب ولا سنة لكانت سيرة النبي عليه الصلاة والسلام ولاسيما أفعاله وحدها كتاباً وسنة.

المذيع:

نحن من خلال هذه الندوة نستعرض بعض اللمحات من سيرة النبي عليه الصلاة والسلام وخاصةً أثناء هجرته الشريفة إلى المدينة المنورة، والتي تابع من خلالها مسيرة الدعوة إلى الدين الجديد دين الإسلام لينشره عبر كل القبائل العربية، ومن ثم الدول المجاورة حتى مرحلة الفتح الإسلامي، دكتور زياد قد وصلنا إلى مرحلة توقيت الهجرة إلى مدينة يثرب، النبي عليه الصلاة والسلام جاءه الأمر الإلهي أن يهاجر هو وأصحابه إلى المدينة المنورة بعد بيعتي العقبة الأولى والثانية، هنا مجريات الحدث العظيم هذا من الناحية التاريخية له دروس وعبر، له معان جميلة وعظيمة، كيف نفذ النبي عليه الصلاة والسلام الهجرة الشريفة وما هي الدروس التي كانت

محيطة بتلك الليلة؟

الدروس و العبر المحيطة بالهجرة النبوية الشريفة :

الدكتور زياد:

يمكن القول بأن الله تبارك وتعالى هو قادر على كل شيء، وكان بالإمكان أن يهاجر النبي عليه الصلاة والسلام دون أي تحضير معين، وأن يخرج كما حصل في الإسراء والمعراج، وأن يصبح في المدينة المنورة، ولكن النبي عليه الصلاة والسلام اتبع السبل واتبع الأسباب التي من خلالها يمكن أن يعمل أي إنسان أكان نبياً أو لم يكن نبياً، أكان قوياً أو إن كان ضعيفاً، انتهى الأمر بأن قريش أفلست، واجتمعت بدار الندوة، وقررت أن تقوم بعمل ما لتقضي على النبي عليه الصلاة والسلام، وقد أحست بأن عدداً من المسلمين وصلوا إلى أرض يثرب، وأدركوا أن وصولهم إلى أرض يثرب أن قاعدة كبيرةً سوف تبنى، وأن هذه القاعدة يجب ألا يصل إليها النبي عليه الصلاة والسلام، وقد ذكر القرآن ذلك حينما قال:

﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ﴾

[سورة الأنفال: 30]

أي أن يقوموا بعملية الاعتقال أو يقتلوك أو يخرجوك... انتهى الأمر بأن الرأي الذي طرحه أبو جهل على زعماء قريش في دار الندوة بأن يقتل النبي عليه الصلاة والسلام، وأن يؤتى بحوالي أربعين شاباً أقوياء يقومون بحصار حول بيته، وأن يقوموا بضربه ضربة رجل واحد حتى يضيع دمه، ولا تقوم قبيلته بالقدرة على أن تقاتل كل القبائل وانتهى الأمر، الله تبارك وتعالى أخبر النبي عليه الصلاة والسلام وجاء جبريل ليأمر النبي عليه الصلاة والسلام بألا يبيت في بيته، وأن ينام على فراشه سيدنا علي كرم الله وجهه، فنام علي على الفراش، وتحرك النبي عليه الصلاة والسلام ليلاً من بيته، والناس قد أحاطوا به من كل جانب، وهنا يأتي قوله تعالى:

﴿ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ﴾

[سورة الأنفال: 30]

النبي عليه الصلاة والسلام خرج من بيته وهو يقرأ سورة ياسين إلى أن وصل إلى قوله تعالى:

﴿ وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُون ﴾

[سورة يس: 9]

فخرج النبي عليه الصلاة والسلام وشباب قريش وشباب العرب حوله، ووضع التراب على رأسهم واحداً واحداً، ثم توجه إلى بيت أبي بكر الصديق، وغادر إلى غار ثور، وأقام في ذلك الغار ثلاثة أيام، وكان أبو بكر قد أعدّ العدة، أعدّ الراحلة والزاد والمال والدليل الذي يدل النبي عليه الصلاة والسلام، وجلس النبي عليه الصلاة والسلام في الغار ثلاثة أيام متوالية، وهنا نستطيع القول إنه عندما جلس هذه الأيام الثلاثة التي تقابل مكوث سيدنا علي ثلاثة أيام في بيت النبي عليه الصلاة والسلام، سيدنا علي جلس في بيت النبي ليرد الودائع، لاحظ هذه القضية الإنسانية النبي عليه الصلاة والسلام يؤدي الأمانة لأنه هو رسول الأمانة، فأبقى علي في فراشه ليؤدي الأمانات إلى الناس.

في غار ثور وصل المشركون إلى الغار وحاروا في أمرهم أيدخلون إلى هذا الغار والغار ليس عميقاً أم لا يدخلوا إلى هذا الغار، وقفوا في حوار، أبو بكر الصديق رضي الله عنه رآهم وهو يقول للنبي عليه الصلاة والسلام: يا رسول الله لو نظر أحدهم إلى مكان قدمه لرآنا فكان جواب النبي عليه الصلاة والسلام: لا تحزن إن الله معنا، هذه ثقته بالله عز وجل.

المذيع:

نقف عند هذه النقطة دكتور زياد، عندما ذهب النبي الكريم ومعه صديقه الصديق رضي الله عنه، ودخل غار

ثور مختبئاً ومتخفياً من مشركي قريش، هنا نلاحظ من خلال هذه القراءة أن النبي عليه الصلاة والسلام تعامل مع الهجرة تعامل الإنسان المعتمد على الله عز وجل، والمتخذ لكل الأسباب- الهداية والنجاح والفلاح والحماية- لم يعتمد اعتماداً مطلقاً على الله عز وجل، وأن يتجاهل أسباب النجاح، هنا درس كبير وعظيم يجب أن يتعلمه كل إنسان مسلم بأن يعتمد في نجاحه في كل شؤون حياته الدينية والدنيوية على اتخاذ الأسباب، بأن الله عز وجل قد جعل الدنيا كلها قائمة على الأسباب، دكتور محمد راتب النابلسي بعض الدروس المستفادة من الهجرة النبوية الشريفة والتي تحتاجها الأمة العربية الإسلامية الآن في صراعها مع أعدائها هل لك أن تعطينا بعض هذه الدروس التي يمكن أن تكون هادياً لنا في طريقنا ؟

الدروس المستفادة من الهجرة النبوية الشريفة :

الدكتور راتب:

الحقيقة أنه ما من درس أمتنا العربية والإسلامية في أمس الحاجة إليه كهذا الدرس البليغ أن نأخذ بالأسباب وكأنها كل شيء، وأن نتوكل على الله وكأنها ليست بشيء، فالنصر في القرآن الكريم يحتاج إلى شيئين إلى أخذ بالأسباب قال تعالى:

﴿ وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ ﴾

[سورة الأنفال: 60]

وإلى إيمان بالله عز وجل، قال تعالى:

﴿ وَكَانَ حَقّاً عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾

[سورة الروم: 47]

وكلاهما شرط لازم غير كاف، والمسلمون لم يحققوا النجاح في معركتين؛ في أحد وفي حنين، ففي أحد كان هناك أسباب تكتيكية لم يطع الرماة على التلة في موقعة أحد أمر النبي عليه الصلاة والسلام، وفي حنين الأسباب كانت اعتقادية قالوا: لن نغلب من قلة، والإنسان عنده درسان بليغان؛ درس بدر ودرس حنين، فالمسلمون في بدر افتقروا إلى الله فتولاهم الله بالنصر، وفي حنين ظنوا أن قوتهم كافية فتخلى الله عنهم، فإذا قلت: الله، تولاك الله، وإذا قلت: أنا، تخلى الله عنك، لقد شاءت حكمة الله أن يجعل مبدأ السببية نظاماً أساسياً في الكون، كل سبب له نتيجة، وكل نتيجة لها سبب، ولكن مبادئ العقل أيضاً مبدأ السببية والغائية وعدم التناقض، فالعقل لا يفهم شيئاً من دون سبب، كما أنه لا يفهم شيئاً من دون غاية، ولا يقبل التناقض، فالحكمة بالغة بالغة جاءت قوانين الكون وفي مقدمتها نظام السببية، وجاءت مبادئ العقل ومن أهمها مبدأ السببية متوافقتين؛ إذاً مبدأ السببية أساس في نظام الحياة، ولكن في علم التوحيد السبب لا يخلق النتيجة إلا إذا أراد الله عز وجل، لذلك هناك أسباب تجتمع ولا تحقق شيئاً، وهناك نتائج واضحة من دون أسباب، إذاً ماذا نستنبط؟ ينبغي أن نأخذ بالأسباب تأدباً مع الله وكأنها كل شيء، ثم نتوكل على الله وكأنها ليست بشيء، ماذا فعل النبي ﷺ؟ غطى كل الثغرات، هيأ من يأتيه بالأخبار، هيأ من يمحو الآثار، سار مساحلاً على خلاف الشيء المألوف، اختبأ في غار ثور أياماً ثلاثة، هيأ خبيراً للطريق وغلّب خبرته على ولائه، غطى كل الأسباب وأخذها تعبداً، ووصلوا إليه، لو أنه اعتمد عليها لانهارت قواه، لكنه أخذ بها طاعةً لله عز وجل وعبادةً له فلما وصلوا إليه قال: يا أبا بكر لا تحزن إن الله معنا.

هذا الدرس أن آخذ بالأسباب وكأنها كل شيء وأن أتوكل على الله وكأنها ليست بشيء تماماً كما لو أن هناك طريقاً عن يمينه واد سحيق وعن يساره واد سحيق، فمن أخذ بالأسباب واعتمد عليها كشأن الغرب وقع في واد الشرك، ومن لم يأخذ بالأسباب وتوكل على الله كما هو شأن الشرق وقع في واد المعصية، الموقف الكامل أن آخذ بالأسباب، ويقيني القاطع أن الله هو الموفق، لأن الأخذ بالأسباب أدب مع الله، لأن الأخذ بالأسباب أدب مع

واضع الأسباب وطاعة له، وهذا الدرس نحن في أمس الحاجة إليه ورد في بعض الأحاديث:

((إن الله يَلُومُ على العَجْز))

[أبو داود عن عوف بن مالك]

أن أستسلم لمصيري، أن أقول انتهيت، ألا أفعل شيئاً:

((ولكن عليكَ بالكَيْس، فإذا غَلَبَك أَمر ، فقل حَسبيَ الله ونعم الوكيل))

[أبو داود عن عوف بن مالك]

أن تأخذ بالأسباب.

((عَنْ عَوْفِ بْنِ مَالِكٍ أَنَّهُ حَدَّثَهُمْ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَضَى بَيْنَ رَجُلَيْنِ فَقَالَ الْمَقْضِيُّ عَلَيْهِ لَمَّا أَدْبَرَ حَسْبِيَ اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنَّ اللَّهَ يَلُومُ عَلَى الْعَجْزِ وَلَكِنْ عَلَيْكَ بِالْكَيْسِ فَإِذَا غَلَبَكَ أَمْرٌ فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ))

[أبو داود عَنْ عَوْفِ بْنِ مَالِكٍ]

لا أقول: حسبي الله ونعم الوكيل حينما أعجز عن تحقيق شيء ما دام هناك أسباب بين يدي؛ الأولى أن آخذ بالأسباب، نحن بحاجة إلى أن نأخذ بالأسباب لأن الأخذ بالأسباب أدب مع الله وأدب مع خالق الأسباب، أما إذا اعتمدنا عليها وقعنا في الشرك، إن لم نأخذ بها وقعنا في المعصية ينبغي أن نأخذ بها وكأنها كل شيء وأن نتوكل على الله وكأنها ليست بشيء .

المذيع:

الحقيقة الدروس والعبر كثيرة جداً ولكن نحن الآن باستعراضنا للحدث العظيم حدث الهجرة النبوية الشريفة لابد أن ننتقل إلى دخول النبي مع صديقه أبو بكر الصديق إلى المدينة المنورة واستقبال الموكب النبوي من قبل أهالي المدينة بالفرح والتهليل والتكبير، هنا وجد النبي عليه الصلاة والسلام المجتمع الذي استقبله استقبالاً حاراً، استقبالاً

فرحاً، وهنا جعل النبي وجوده في المدينة المنورة بدايةً لوجود كيان رسمي للعرب المسلمين الذين أنشؤوا الدولة الإسلامية.

دكتور زياد ما هي الخطوات الأولى والأفعال الأولى التي قام بها النبي الكريم عند وصوله المدينة المنورة؟ وما هي الدلائل الأخلاقية والدينية من هذه الأفعال الكريمة ؟

الخطوات الأولى التي قام بها النبي الكريم عند وصوله المدينة المنورة :

الدكتور زياد:

وصل النبي ﷺ على أغلب الروايات في ضحى يوم الثاني عشر من شهر ربيع الأول، والناس قد خرجوا لاستقباله ﷺ، و كما أسلفت في مقدمتك و في حديثك حتى النساء خرجن بالزغاريد، و ظهرت تلك القصيدة أو الأنشودة الجميلة التي نرددها: طلع البدر علينا من ثنيات الوداع، لكن أعود إلى ما قاله أستاذنا الدكتور راتب النابلسي بأن النبي استخدم الأسباب لم تخرج يثرب هكذا، و إنما سبق ذلك أن أخرج النبي صلى الله عليه و سلم الدعاة، أرسل مصعب بن عمير و ابن أم مكتوم و أرسل الرجال الذين يفتحون القلوب قبل البيوت، و يفتحون العقول قبل الأرض، لذلك كانت يثرب جاهزة لاستقبال النبي عليه الصلاة و السلام، لم أتحدث بالتفصيل حقيقة عن مجريات الهجرة إن صح التعبير من الناحية الجغرافية أو التاريخية و إنما أكتفي بالقول بأنه استقبل عليه الصلاة و السلام، و عندما استقبل قامت قبائل العرب من الأوس و الخزرج و طلبوا منه أن ينزل عندهم، أو في بيوتهم، أو في مضاربهم، و كان يركب ناقته و يقول: دعوها فإنها مأمورة، فنزل بجوار بيت أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه، و مكث في هذا البيت إلى أن قام ببناء أول مسجد في الإسلام و هو مسجد قباء، و جلس النبي صلى الله عليه و سلم في هذا المسجد، و أمر ببناء مسجده الشريف المسجد النبوي الشريف الذي يضم اليوم

جسد النبي صلى الله عليه و سلم، أول ما قام به النبي عليه الصلاة و السلام قبل أن يأتي إلى يثرب أو إلى المدينة المنورة أو إلى طيبة و لها أسماء متعددة، أولاً: آخى بين المهاجرين مع بعضهم البعض، و هذه نقطة ربما غفل عنها بعض الناس، آخى بين المهاجرين أولاً، آخى بين القوي و الضعيف، آخى بين الحر و العبد، آخى بين القريب و البعيد، بين الغني و الفقير، لما دخل المدينة المنورة آخى بين الأنصار و بين المهاجرين، و هذه قضية هامة جداً حتى أن الأنصار شاطروا المهاجرين أموالهم و دورهم، و بالمناسبة كانت هذه المؤاخاة تورث إلى أن نزلت آيات المواريث، أي كان الرجل يورث من آخى النبي بينه و بين ذلك الشخص، و يورث أبناء هذا الشخص من بعده إلى أن جاءت آية المواريث.

ثم قام النبي صلى الله عليه و سلم بقضية هامة و هي أن هذا المجتمع الجديد الذي وصل إليه مجتمع فيه أنصار و فيه مهاجرون؛ هؤلاء مسلمون و فيهم من أهل يثرب من لم يسلم بعد، و في يثرب يهود، و بالمناسبة اليهود في يثرب ليسوا من أهل يثرب الأصليين، و إنما هم لاجئون إلى أرض يثرب من خلال الصراع الروماني اليهودي الذي حصل، هرب اليهود و سكنوا في أرض المدينة المنورة، النبي صلى الله عليه و سلم لم يقم بقتلهم أو بقتالهم و إنما أعطاهم المواطنة لأسباب؛ أولاً: هم لجؤوا إلى هذه البلاد، ثانياً: هم لم يقولوا بأنهم أصحاب هذه البلاد، ثالثاً: هم تملكوا، رابعاً: لهم علاقات مع الأوس و الخزرج، فأقام ما يسمى بالوثيقة أو الاتفاقية، و لو قرأنا بنود هذه الاتفاقية لرأيناها من أرقى أنواع البنود الدولية في العالم التي تنظم العلاقات بين البشر رغم اختلاف ألوانهم و أجناسهم و معتقداتهم، و قد يقول قائل: لماذا النبي أخرج اليهود فيما بعد؟ هذا نتحدث عنه بأن اليهود أخلفوا بالعهود، و أخلفوا بالمواثيق، ثم أقام بناء المسجد و المسجد الذي أقامه النبي صلى الله عليه و سلم مسجد متواضع بسيط، و هذا المسجد كان يجمع الدنيا بالكامل، المسجد كان للحياة و للعبادة و للطاعة و للذكر و للصدقات و للموعظة و للدرس و لإصدار الأوامر و لعقد الرايات، و قد يقول قائل: يا أخي الصلاة تجوز في

كل مكان فلماذا أقام النبي صلى الله عليه و سلم المسجد ؟ أقول: الأرض صحيح هي مسجد للنبي صلى الله عليه و سلم و لكن أراد أن يقيم بناء يجمع الدنيا في هذا البناء، و المسلمون اليوم عندما يتوجهون إلى بيت المقدس و عندما ينظرون إلى بيت المقدس المحتل المدنس لا ينظرون إليه فقط على أنه بناء، و لا ينظرون إليه فقط على أنه آثار، و إنما ينظرون إليه على أنه يمثل تاريخهم، و يمثل وحدتهم، و يمثل معتقدهم، و يمثل مسيرة النبي صلى الله عليه و سلم إلى ذلك المكان، إذاً أستطيع القول بأن النبي صلى الله عليه و سلم بدأ بمجموعة أعمال في المدينة المنورة من أجل قيام هذه الدولة على أسس صحيحة و سليمة.

المذيع:

و هذه الأعمال المؤسسة في هذه الدولة الفتية هي الأعمال التي تعتبر مثالاً أعلى في كل عصر، و في كل زمان، لأي دولة حضارية راسخة تريد أن تنشر العلم و المعرفة و القيم الإنسانية النبيلة إلى العالم أجمع، و أنها قائمة على أسس من العدل و الحق و المساواة بين أبناء البشر دون النظر كما تقدمت إلى العرق أو اللون أو الدين أو ما شابه.

دكتور راتب حقيقة الدروس لكل لقطة من لقطات الهجرة النبوية الشريفة تلاحقنا و تبرز أمامنا جلية واضحة، هنا الدرس الكبير العظيم الذي تجلى بحديث فضيلة الدكتور زياد حول قيام هذه الدولة العربية الإسلامية الفتية إبان وصول النبي الكريم محمد عليه الصلاة و السلام إلى المدينة المنورة، هنا الإيمان الذي يسمى الإيمان الحركي البعيد عن السكون، البعيد عن الجمود، لأن الحركة كما يقال بركة، و فيها تطور، و فيها نماء، هنا ما هو الدرس المستقى من هذه الحركة النبوية الشريفة التي ولدت هذه الدولة ؟

الدين في مجمله حركة نحو الحق و حركة نحو الخلق :

الدكتور راتب:

أولاً: الإيمان حركة أن تعطي لله، و أن تمنع لله، و أن تغضب لله، و أن ترضى لله، و أن تصل لله، و أن تقطع لله، ما إن تستقر حقيقة الإيمان في نفس المؤمن حتى تعبر عن ذاتها بحركة نحو الخلق، و من أدق الآيات الكريمة قال تعالى:

﴿ وَأَوْصَانِي بِالصّلاةِ والزَّكَاةِ مَا دُمْت حَيّاً ﴾

[سورة مريم: 31]

الدين في مجمله حركة نحو الحق اتصالاً و عبادة و ثقة و حركة نحو الخلق، النبي عليه الصلاة و السلام في أثناء هجرته تبعه سراقة ليقتله، و قد وضع مئة ناقة لمن يأتي بالنبي حياً أو ميتاً، كلمة لا يعقل أن نفهمها فهماً سطحياً قال له: يا سراقة كيف بك إذا لبست سواري كسرى ؟ ثقة النبي أنه سيصل و سيؤسس دولة إسلامية و سيحارب كسرى و ستأتيه كنوز كسرى و سيلبس هذا الذي يتبعه ليقتله سوارى كسرى، الإيمان حركة ذلك أن الله عز وجل في آية دقيقة لخص القرآن الكريم كله:

﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَداً ﴾

[سورة الكهف: 110]

الدليل:

﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا ﴾

[سورة الأنفال: 72]

ما تحركوا، قنعوا بالإسلام، أعجبوا به، لكن لم يتحركوا:

﴿ وَالَّذِينَ آَمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُمْ مِنْ وَلَايَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ حَتَّى يُهَاجِرُوا ﴾

[سورة الأنفال: 72]

أوضح هذه الفكرة بمثل أن إنساناً مصاباً بمرض جلدي هو بأمس الحاجة إلى أشعة الشمس، قبع في منزل قميء مظلم و قال: ما أشدّ ضياء الشمس! يا لها من شمس ساطعة! لو ملأ الدنيا مديحاً للشمس لا ينتفع بهذا المديح ما لم يتعرض لأشعتها، لذلك أكثر الآيات التي تحدثت عن الإيمان بالله اقترنت بالعمل الصالح.

معاني الهجرة :

الشيء الدقيق الهجرة في مفهومها الضيق أن تنتقل من مكان لا تستطيع أن تعبد الله فيه لأن العبادة سرّ وجودنا:

﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾

[سورة الذاريات: 56]

والعبادة طاعة طوعية مسبوقة بمعرفة يقينية تفضي إلى سعادة أبدية، فحينما تكون في مكان لا تستطيع أن تعبد الله ينبغي أن تنتقل إلى مكان تعبد الله فيه كشأن مكة و المدينة، و لكن كما قال عليه الصلاة و السلام:

((لَا هِجْرَةَ بَعْدَ الْفَتْحِ...))

[متفق عليه عن ابن عباس]

تبقى الهجرة قائمة إلى يوم القيامة بين كل مدينتين تشبهان مكة و المدينة هذا المعنى الضيق للهجرة، أما النبي عليه الصلاة و السلام فأعطاها معنى واسعاً:

((.....وَالْمُهَاجِرُ مَنْ هَجَرَ مَا نَهَى اللَّهُ عَنْهُ))

[متفق عليه عن عبد الله بن عمرو]

و أنت في بلدك إذا تركت المعصية، تركت المنكر، تركت شيئاً مشبوهاً، تركت جلسة لا ترضي الله، تركت نزهة فيها سخط الله عز وجل، تركت كل شيء نهى الله عنه نوع من الهجرة، بل إنه في زمن الفساد حينما يصدق الكاذب، و يؤتمن الأمين، و يخون الصادق، في هذا الزمن كما قال عليه الصلاة و السلام فيما يرويه عن ربه:

((الْعِبَادَةُ فِي الْهَرْجِ كَهِجْرَةٍ إِلَيَّ))

[مسلم عَنْ مَعْقِلِ بْنِ يَسَارٍ]

المذيع:

سيدي الكريم المعاني و العبر كثيرة و لكن أقف قليلاً عند الحديث النبوي الشريف الذي ذكرته قبل قليل:

((لَا هِجْرَةَ بَعْدَ الْفَتْحِ وَلَكِنْ جِهَادٌ وَنِيَّةٌ...))

[متفق عليه عن ابن عباس]

دكتور زياد هذا الحديث النبوي يعطينا درساً بليغاً لابد أن نفهمه فهماً عميقاً حتى نطبقه في حياتنا الآن و نحن نواجه أعتى عدو يحتل أرضنا، و يسوم شعبنا التعذيب و الاضطهاد دون وازع من ضمير، و دون أي رادع، هنا ماذا يجب على من احتلت أرضه أن يفعل تجاه عدوه ؟

ما يجب على من احتلت أرضه أن يفعل تجاه عدوه :

الدكتور زياد:

الغريب أنه منذ فترة ظهرت بعض الأقوال لبعض الناس يطلبون من أهل فلسطين أن يغادروا أرضهم، و لمَ يغادروها؟ و لمن يتركوها؟ و النبي صلى الله عليه و سلم هو الذي قال و هذا حديث متفق عليه:

((لَا هِجْرَةَ بَعْدَ الْفَتْحِ وَلَكِنْ جِهَادٌ وَنِيَّةٌ...))

[متفق عليه عن ابن عباس]

نحن الآن في مرحلة هجرتنا تكون عندما نقدم لشعبنا و لأهلنا و لإخواننا في فلسطين كل ما نملك، هجرتنا عندما ننهي التمزق و التشرذم من عالمنا العربي و الإسلامي، هجرتنا عندما ننتهي من التخلف و أدواته، و الجهل و أشكاله، و أن نأخذ بكل الأسباب التي تؤدي بنا إلى الرقي و الفلاح، بهذه المناسبة أتوجه أنا من خلال هذه الندوة إلى السيد الرئيس الدكتور بشار الأسد مهنئاً بعيد رأس السنة الهجرية، و مهنئاً و مباركاً جهده و جهاده و هجرته من بلد عربي إلى بلد عربي يجمع الصف العربي لمواجهة إسرائيل، و مواجهة اليهود و من يعينهم على أهلنا في فلسطين، نحن إن لم نفهم الهجرة كما تفضل الأستاذ الكريم بأنها حركة، و أن الذي لا يهاجر هو ميت، الميت عندما يموت انتهى، أما عندما يتحرك العرب و المسلمون باتجاه أهلهم في فلسطين، باتجاه النساء، باتجاه الشباب، باتجاه المقدسات، باتجاه الأرض، باتجاه الكرامة، فهؤلاء يمثلون قول النبي صلى الله عليه و سلم:

((لَا هِجْرَةَ بَعْدَ الْفَتْحِ وَلَكِنْ جِهَادٌ وَنِيَّةٌ...))

[متفق عليه عن ابن عباس]

إذاً لابد لنا من أن نفهم حقيقة بأن كل من يطلب منا أن نبقى في حالة سكون أو أن نجبن أو أن نستسلم بأنه لم يعِ الهجرة، و لم يفهم الهجرة بحال من الأحوال.

المذيع:

الحقيقة الكثير من الأسئلة تدور حول هذه المعاني، و حول هذه المناسبة العظيمة، و لكن الدقائق تمشي سريعاً في ندوتنا هذه، و يخطر في بالي الآن سؤال يطرح كثيراً في مثل هذه المناسبات و خاصة من بعض المستشرقين الذين يقولون بأن الهجرة النبوية الشريفة هي عبارة عن هروب، هروب من واقع مؤلم إلى واقع أفضل، ما هو تقييمكم لهذه المقولة التي لا تعبر طبعاً عن الحقيقة و إنما هي مجافية للحقيقة؟ ما هو تعقيبكم

حول هذه المسألة التي تقرن ما بين الهجرة و الهروب؟

الهجرة نوعان؛ هجرة في سبيل الله و هجرة في سبيل الدنيا :

الدكتور راتب:

الحقيقة أن سيدنا عمر رضي الله عن عمر و هو عملاق الإسلام قال مرة: كنت قد أعددت كلاماً قاله عني أبو بكر، و لخطورة هذه الفكرة في هذه الندوة المباركة أعددت كلاماً في هذا الموقف؛ هناك هجرة في سبيل الله و الدار الآخرة، و هناك هجرة في سبيل الدنيا، أنا أعتقد أن مفهوم الهجرة كهروب من واقع سيئ هو هجرة في سبيل الدنيا، فحينما يرفض المرء الحق و أهله و ينضم إلى الباطل و أهله فقد هرب من واقعه، و نجا بدنياه، و ضحى بآخرته، و حينما يؤثر المرء الدنيا الفانية على الآخرة الباقية فهذا نوع من الهجرة إلى الدنيا و ملاذها، و حينما يفضل الرجل مصالحه على مبادئه، و يفضل حاجاته على قيمه، فهي هجرة في سبيل الدنيا، و هي نوع من الهروب، و حينما تكون الهجرة لدنيا يصيبها أو لامرأة يتزوجها فهي نوع من الهروب و المتعة، و حينما تكون الهجرة بذلاً للخبرات و الطاقات لغير بلاد المسلمين فهي هروب من واقع المسلمين و التجاء إلى المتعة و اللذة، وحينما تكون الهجرة إضعافاً للمسلمين و تقوية لأعدائهم، الخبرات تبذل لأعدائهم، الطاقات تبذل لأعدائهم، فهي نوع من الهروب، و يدفع هؤلاء الذين هربوا ثمناً باهظاً لهروبهم، و حينما تكون الهجرة هروباً من تحمل المسؤولية و فراراً من البذل و التضحية فهي نوع من الهروب، و حينما تكون الهجرة و هذا شيء خطير تمكيناً للعدو من احتلال الأرض، و استثمار خيراتها، فهي نوع من الهروب، و حينما تكون الهجرة من بلد تقام فيه شعائر هذا الدين العظيم إلى بلد فرغت منه كل القيم، و المعاصي تقترف على قارعة الطريق، فهذا نوع من الهروب، و حينما تكون الهجرة تضييعاً للعرض و الدين و كسباً للدرهم و الدينار فهذا نوع من الهروب، إنها في سبيل الدنيا.

خاتمة و توديع :

المذيع:

الفرق شاسع و كبير جداً ما بين الهجرة بمعانيها العظيمة و ما بين الهروب من واقع إلى واقع آخر.

الحقيقة الدروس كثيرة و كثيرة و العبر لا تحصى من هذه الحادثة التاريخية العظيمة التي جعلت من أمتنا أمة موحدة مرهوبة الجانب، استمرت بعطائها وبحضارتها المؤسسة على القيم و المبادئ الإنسانية السليمة أربعة عشر قرناً، و ما زالت إلى الآن تعطي نوراً ساطعاً في كل أرجاء الكون، و تنشر الفضيلة و القيم الإنسانية في كل أرجاء المعمورة، نرجو أن نكون قد وفقنا في تقديم بعض اللمحات السريعة من حادثة الهجرة النبوية الشريفة، و ما يدور حول هذا الحدث العظيم من معاني و دلالات عظيمة.

أعزائي المشاهدين في ختام هذه الندوة أشكر ضيفي الكريمين فضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي الأستاذ المحاضر في كلية التربية بجامعة دمشق، و أشكر فضيلة الدكتور زياد الدين الأيوبي مدير إدارة الإفتاء العام و التدريس الديني في وزارة الأوقاف، و أشكر لكم متابعتكم.

و السلام عليكم و رحمة الله و بركاته و كل عام و أنتم بخير

والحمد لله رب العالمين

ندوة (10) : ندوة عن ليلة القدر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أيها الأخوة المشاهدون الكرام السلام عليكم رحمة الله وبركاته.

﴿ لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ (3)﴾

[سورة القدر: الآية 3]

إنه متوسط عمر الإنسان من الناحية الزمنية، وألف شهرٍ من الطاعة والعمل، من حيث ثوابها وبركتها، ليلة من العمر لها خصوصية فريدة وكل إنسان يفهمها على هواه ومن يعرفها يعرفها على قدر هواه، وعلى طريقته، ما هي هذه الليلة ؟ وفي أي من ليال رمضان تكون ؟ وكيف نستقبلها ؟ وماذا نفعل إذا وافتنا وكان لنا منها الحد الأوفر ؟

أيها المشاهدون الكرام:

يسرني أن أرحب بضيوف ندوة اليوم فضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي الأستاذ في كلية التربية في جامعة دمشق، وفضيلة الشيخ عبد الغني مكاري خطيب مسجد عمر بن الخطاب والمدرس في ثانويات اللاذقية أهلاً وسهلاً بالأساتذة الكرام ومرحباً بكم اسمحوا لي بداية أن أتلو قول الله سبحانه وتعالى بعد أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ:

﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ (1) وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ (2) لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ (3) تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ (4) سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ (5)﴾

[سورة القدر]

بداية أتوجه إلى فضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي ليبين لنا ولو باختصار طبيعة ليلة القدر بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين أستاذ ميسر جزاك الله خيراً على هذه الندوة ليلة القدر ينطلق مفهومها الشمولي من قوله تعالى:

﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْماً (12)﴾

[سورة الطلاق: الآية 12]

هذا اللام لام التعليل أي أن علة خلق السموات والأرض أن نعرف الله عز وجل يدعم هذا المعنى قوله تعالى:

﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾

[سورة الأنعام: الآية 91]

فمعرفة الله أصل في الدين:

﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْماً (12)﴾

[سورة الطلاق:: الآية 12]

وقد نتسأل لماذا اختار الله من بين أسمائه الحسنى اسمين فقط العلم والقدرة، يبدو أن الإنسان حينما يعلم ويوقن أن علم الله يطوله وحينما يعلم ويوقن أن قدرته تطوله لا يمكن أن يعصيه فإذا أطاعه سعد في الدنيا والآخرة، وكل إنسان على وجه الأرض من دون استثناء يبحث عن سلامته وسعادته، والشقاء يكون من سوء التصرف بل إن أهل النار وهم في النار ماذا يقولون:

﴿ وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ (10)﴾

[سورة الأنعام: الآية 10]

إذاً ينطلق مفهوم ليلة القدر الشمولي من أن معرفة الله سبحانه وتعالى أصلٌ في الدين، نعم فضيلة الدكتور هذه النقطة الهامة جداً أرى فضيلة الشيخ عبد الغني أيضاً له إضافة في تعريف هذه الليلة ثم إذا سمحت نعود لهذه النقطة الهامة جداً في موضوع هذه الليلة ما ذكرت التعريف الشمولي لعل الأستاذ الجليل يتحدث عن التعريف الدقيق وفضيلة الشيخ عبد الغني إذا تكرمتم أيضاً فكرة عن طبيعة هذه الليلة المباركة.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ الحمد لله رب العالمين وأصلي وأسلم على سيدنا محمد الهادي البشير الذي أرسله الله للعالم رحمة فهدى به الأمة وكشف به الغمة وعلى آله وأصحابه أجمعين وبعد:

إن من فضل الله وكرمه على هذه الأمة المحمدية الذي جعل لها مواسم للخير يتسابق فيها المتسابقون ويتنافس فيها المتنافسون، ومن إكرام الله لهذه الأمة أنه خصص لها هذه الليلة تسمى ليلة القدر وليلة القدر هذه من إكرام الله لهذه الأمة فقد ورد أن النبي عليه الصلاة والسلام:

((وريَ أعمار الأمم السابقة فتقاصر أعمار أمته))

إنهم كانوا يعيشون المئات من السنين، ويعملون الأعمال الكثيرة أن أمته ﷺ فأعمارها قصيرة فخاف ألا تستطيع أمته أن تقوم بأعمال كثيرة كالأمم السابقة، وقد ورد عن مجاهد رحمه الله:

أن رجلاً من الأمم السابقة كان يحمل السلاح أو يلبس السلاح ألف شهر في سبيل الله فتقاصر النبي عليه الصلاة والسلام أعمار أمته فقال يا رب جعلت أمتي أقصر الأمم أعماراً وأقلهم أعمالاً فأعطاه الله ليلة القدر هذه كرامة من الله عز وجل ليلة القدر هذه هي ليلةٌ غراء مشرقة هي غرة الليالي في حقيقتها وكما فضل الله عز وجل بعض الشهور على بعض ففضل شهر رمضان وجعله سيد الشهور بسبب نزول القرآن الكريم فيه، وبسبب أن العبادة فيه تعدل الفريضة فيما سواه، والفريضة فيه تعدل سبعين فريضة فيما سواه، وكما فضل بعض الأيام على

بعض فجعل يوم الجمعة سيد الأيام فيه خلق آدم وفيه قبض وفيه أدخل الجنة وفيه أخرج منها وفيها ساعة لا يوافقها عبدٌ مسلم يطلب من الله شيء من خيري الدنيا والآخرة إلا آتاه ذلك ما لم يكن إثماً أو قطيعة رحم وكما فضل بعض البقاع عن بعض ففضل المسجد الحرام وجعله خير البقاع حيث تعدل الصلاة فيه بمئة ألف صلاة فيما سواه، كذلك فضل بعض الليالي على بعض ففضل ليلة القدر على سواها، بسبب نزول القرآن الكريم فيها، فإذن هي غرة الليالي أو إن شئت قل هي رئةٌ يتنفس منها الوجود كله ملء الكون ضياءها وعبيرها ونورها وإن سألت عن طبيعتها فهي ذو شقين هي أولاً وقبل كل شيء هي ليلة القدر بكل ما تحمله هذه الليلة من معنى ليلة القدر أي ليلة الشرف والمكانة والرفعة، ليلة القدر هذه الليلة حصلت على مكانتها وشرفها بسبب نزول القرآن جملةً واحدة من اللوح المحفوظ إلى بيت العز في السماء الدنيا في هذه الليلة ومن المعلوم أن قدر الأيام ليس بساعته ولا قدر الليالي بأعدادها وإنما يكون فيها أو يتمخر فيها من خير للبشرية، ونفع إسعاد للإنسان والإنسانية، فهذا ما يدل على مكانة ليلة القدر في هذا الإسلام، وهل هناك أعظم من نزول القرآن إلى السماء الدنيا تمهيداً لنزوله للأرض، ليكون دستوراً ومصلحة ونفعاً وعدالة بين الناس قاطبة هذه نقطة ويقول الله تعالى فيها:

﴿ وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ (10)﴾

[سورة الإسراء: الآية 9]

وأما النقطة الثانية في طبيعة هذه الليلة فهي لأناس كأدوية تجري صدق قلوبهم وما علق بها من ذنوب وآثام ومعاصي وسيئات ففي هذه الليلة يتطهر المذنبون من ذنوبهم، ويغسلون أواني النفوس مما علق بها من آثام و أقدار، وهي لأناس آخرين كأغذية، تغذي قلوبهم باستحضار عظمة الله سبحانه وتعالى ليزدادوا إيماناً مع إيمانهم، وهي لفئة ثالثة وهي النسبة الممتازة من البشر هي معاريج لأرواحهم، نحو الكمال المطلق فيشعرون بحلاوة القرب من الله سبحانه وتعالى ويتلذذون بعبادتهم لله سبحانه وتعالى، ويلتمسون العزة لله في ذل العبودية لله سبحانه

وتعالى، وكأن لسان حال هؤلاء يقول:

ومما زادني شرفاً وتيهاً وكدت بأخمصي أطأ الثريا

دخولك تحت قولك يا عبادي وأن صيرت أحمد لي نبياً

فإذاً ليلة القدر هي عبارة عن أدوية لأناس وأغذية لأناس آخرين مع معاريج لإناس.

فضيلة الشيخ إذاً من خلال ما تقدمت به ومن خلال هذه الطبيعة التي يجب أن يدركها الإنسان فلا يمكن أن يدرك الإنسان عظمة هذه الليلة إلا إذا أدرك عظمة الخالق سبحانه وتعالى، فنحن إذاً أن نعرف الله حتى نعرف مفهوم هذه الليلة المباركة، لذلك أتوجه إلى فضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي إذا تكرمتم أن نعود إلى هذه النقطة كيف يمكن أن نعرف الله سبحانه وتعالى.

الحقيقة في سورة القدر

﴿ لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ (3)﴾

[سورة القدر: الآية 3]

الألف شهر تساوي ثمانين عاماً كأن من ملامح هذه الآية أن هناك عابد وعالم والعالم الواحد أشد على الشيطان من ألف عابد، يعني أن تقدر الله حق قدره أن تنطلق إلى طاعته والتقرب إليه بأن تعرف سر وجودك وغاية وجودك هذا خير من أن تعبد الله عبادة جوفاء سطحية خيرٌ من ألف شهر فشتان بين عبادة بجهلٍ و بين عبادة بعلم، فالعبادة مع الجهل صاحبه مقاومته هشة أدنى ضغط يخرجه عن استقامته وأدنى إغراء يخرجه عن استقامته، فكأن الله سبحانه وتعالى يريدنا أن نعرفه لذلك مرت الدعوة الإسلامية بمرحلتين المرحلة المكية والمرحلة المدنية في المرحلة المكية لفت نظر الناس إلى عظمة خالق السموات والأرض يعني مرحلة تركيز حقائق

الإيمان:

﴿ وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا (1)﴾

[سورة الشمس: الآية 1]

﴿ وَالْفَجْرِ (1) وَلَيَالٍ عَشْرٍ (2)﴾

[سورة الفجر]

﴿ وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى (1)﴾

[سور الليل: الآية 1]

في المرحلة المدنية مرحلة تشريعية، فنحن في دعوتنا إلى الله حينما نغفل المرحلة المكية النبي يقصد معرفة الخالق نقع في إشكال كبير ذلك أن الإنسان إذا عرف الآمر وعرف الأمر تفانى في طاعة الآمر أما إذا عرف الأمر ولم يعرف الآمر تفنن في التفلت من الأمر هذه مشكلة العالم الإسلامي اليوم، أمر الله بين أيدي الناس يقرأونه ليلاً نهاراً يشاهدون المحاضرات ليلاً نهاراً لكنهم ليسوا على ما يرضوا الله عز وجل إذاً أزمة المسلمين تمت بمعرفتهم بالخالق ضعيفة، ومعرفتهم بالشرع كثيرة فلا بد من توازن بين معرفة الله ومعرفة أمره، إذاً هناك معرفة بالخلق وهذا من اختصاص جامعات العالم، وهناك علم بالأمر وهذا من اختصاص كليات الشريعة في العالم الإسلامي لكن هناك علم به في القرآن الكريم ألف وثلاثمئة آية تتحدث عن الكون هل يعقل أن تكون هذه الآيات لا هدف لها، إن هدفها الأول أن نتعرف إلى الله من خلال الكون أنت بالكون تعرفه وبالشرع تعبده والدين معرفة الله وطاعة له عقيدة وشريعة فالله عز وجل لا تدركه الأبصار فكيف نعرفه ؟ نعرفه من خلال الخلق كل ما في الكون ينطق بوجودي وبوحدانيته وكماله ونعرفه من أفعاله ونعرفه من كلامه.

لا بد من فضيلة الدكتور من أمثلة حول هذه الأمور التي تتفضلون بها لكن قبل ذلك أن ما تتفضل به يدل على أن الناس تعرف أن هناك ليلة القدر ولكن لكونها لا تدرك عظمة الله لا تدرك الله جل الله سبحانه وتعالى لم تعرف ربها المعرفة اليقينية لن تتوصل بتفكيرها إلى هذا اليقين يضعف تمثلها لليلة القدر قبل أن نأتي بهذه الأمثلة أتوجه إلى الشيخ عبد الغني ليبين لنا ما سبب تسمية هذه الليلة بليلة القدر ؟

أولاً أريد أن أضيف تأييداً لكلام أخي الدكتور المعرفة هي المطلوبة معرفة الله تعالى الخلق هي المطلوبة هذا يؤيده قول الله تعالى:

﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ (56)﴾

[سورة الذاريات: الآية 56]

فقد ورد في تفسير ليعبدون أي ليعرفوني إذاً المعرفة هي المطلوبة أما إذا كانت العبادة جوفاء فارغة لا قدر لها لا قيمة لها فالإنسان يصلي ويخرج من صلاته وكأن شيئاً لم يكن لا يتقدم ومن لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر لم يزل من الله إلا بعده، هذه لأن الصلاة فارغة ولأن معرفة الله بعيدة عن هذا الإنسان أما ما تفضلتم به من هذا السؤال بسبب تسميتها لليلة القدر فقد روي عن ابن عباس وغيره أن الله سبحانه وتعالى يقدر في هذه الليلة ويقضى في هذه الليلة من تلك السنة من مطر ورزق وإحياء و إماتة إلى العام القادم إلى السنة القادمة أرزاق العباد و آجالهم تقدر في هذه الليلة، أما معناها أن إظهار تقدير الله تعالى لملائكته موكلين لتنفيذ هذه الكونيات و إلا تقدير الله تعالى أزلي بهذه المخلوقات قبل خلق السموات والأرض هذه النقطة وقيل أيضاً سبب تسميتها ذلك أنها كناية عن الشرف القدر والمكانة والرفعة كناية عن الشرف حينما نقول فلان له قدر عند فلان أي أن له مكانة وقيمة عنده، وبها قال الإمام الزهري رضي الله عنه ورحمه الله، وقيل أيضاً في تسميتها أن

الإنسان إذا أدى عبادة الله في هذه الليلة صار له قيمة وقدراً عند الله عز وجل، وقيل أيضاً بسبب تسميتها أن نزل فيها قرآناً ذو قدر، بواسطة ملك ذي قدر، على نبي ذي قدر، وعلى أمةٍ ذات قدر، وقال الخليل ابن أحمد معنى كلمة ليلة القدر أي ليلة الضيق أخذها من بعض و من قدر عليه رزقه ومن قدر أي ضيق عليه رزقه فقال سميت بهذه الليلة لأن الأرض تضيق بالملائكة بسبب نزول الملائكة في هذه الليلة حتى أن كثيراً من الملائكة لا ينزلون إلى الأرض إلا في هذه الليلة تضيق الأرض بهم من كثرتهم سماها ليلة الضيق، هذا ما ورد في سبب تسميتها إذا حتى ندرك قدر هذه الليلة نعود لنسأل الدكتور راتب هل من أمثلة لمعرفة الله سبحانه وتعالى من خلال الكون.

يقول الله عزوجل:

﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلاً مَا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا﴾

[سورة البقرة: الآية 26]

لا أعتقد أن في الأرض مخلوقاً هين على البشر أكثر من بعوضة لأن النبي عليه الصلاة والسلام يقول:

((عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَوْ كَانَتْ الدُّنْيَا تَعْدِلُ عِنْدَ اللَّهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ مَا سَقَى كَافِرًا مِنْهَا شَرْبَةَ مَاءٍ))

[الترمذي، ابن ماجه]

نقتلها ولا نشعر بشيء إطلاقاً هذه البعوضة التي ذكرت كآية دالة على عظمة الله حوله العجب العجاب اختيار البعوضة لا يوحي بأن فيها هذا الشيء الدال على الله سبحانه وتعالى، البعوضة وزنها ميلي غرام واحد يعني واحد على الألف من الغرام، وهي أنثى التي تلدغ الإنسان أنثى وهل يستطيع إنسان كائن من كان أن يفرق بين الذكر والأنثى في البعوض قال الله تعالى:

﴿ فَمَا فَوْقَهَا﴾

[سورة البقرة: الآية 26]

لم يقل فما فوقه أثبت العلم أن الذي يلدغ هي الأنثى البعوضة في رأسها مئة عين هذا الرأس الصغير وفي فمها ثمانية وأربعين سناً والشيء الذي لا يصدق أن في البعوضة ثلاثة قلوب قلب مركزي، وقلب لكل جناح وفي القلب أذينان و بطينان ودسامان والبعوضة تملك جهازاً لا يصدق جهاز استقبال حراري هي ترى في الليل بالأشعة تحت الحمراء ترى الأشياء بألوان تتناسب مع حرارتها لذلك تتجه إلى جبين الصبي مباشرة أو إلى أي شيء من جسمه إذا كان مكشوفاً إذاً البعوضة تملك جهاز استقبال حراري حساسيته واحد من الألف من الدرجة المئوية لكن ما كل دم يناسبها إذا تملك جهاز تحليل للدم فقد ينام طفلان على سرير واحد يستيقظ الأول و قد ملئ جسمه بلسع البعوض و الثاني سليم معافى، إذاً معه جهاز تحليل دم، ومع جهاز رادار أي جهاز استقبال حراري، يعمل بالأشعة تحت الحمراء والإنسان لا يملك هذا الجهاز لكن حين تقف على جلده قد يقتلها مع جهاز تخدير تخدره والإنسان حينما يضرب يده تكون قد طارت يكون قد انتهى مفعول جهاز التخدير، إذاً معها رادار أي جهاز استقبال حراري حساسيته واحد بالألف من الدرجة المئوية، ومعها جهاز تحليل للدم، فما كل دم يناسبها ومعها جهاز تخدير لكي لا يشعر بها، ثم معها جهاز تميع ما هو جهاز التميع ؟ أن دقة خرطومها تحتاج إلى سيولة عالية جداً، لذلك في مكان لسع البعوضة يميع الدم، ليمر بهذا الأنبوب الدقيق، الآن في خرطومها ست سكاكين أربع سكاكين تحدث جرح مربع وسكينان الأخريان يتلاءمان على شكل أنبوب فيغرس إلى أن يصل إلى الدم ست سكاكين أربع سكاكين لإحداث الجرح في خرطوم البعوضة، وسكينان ليتلاءمان على شكل أنبوب يمتص به الدم، البعوضة يلف جناحها عدد كبير مستوى الطنين في الثانية الواحدة، عدد كبير لأن له قلب مستقل، والبعوضة فوق كل ذلك لها مخالب إذا وقفت على سطح خشن ولها محاجم على أساس الضغط إذا وقفت على سطح أملس، أي عندما تقف على سطح من البلور تستخدم المحاجم وحينما تقف على سطح خشن تستخدم مخالبها

والبعوضة تشم رائحة عرق الإنسان من ستين كيلو متراً:

﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلاً مَا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا﴾

[سورة البقرة: الآية 26]

هذا المخلوق البسيط يضرب الله سبحانه وتعالى مثلاً بمخلوق بسيط نرى فيه هذه القدرة، هذه الدقة، هذه العظمة، ونحن نرى البعوضة بصغري حجمها وخرطومها بهذا الشكل من السكاكين ومن الأجهزة هذا إذا كانت البعوضة فماذا في مخلوقاته الأكبر شأناً ؟

﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآَيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ (190) الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ﴾

[سورة آل عمران]

وجاء الفعل مضارع أي أن التفكر سمة أساسية من حياة المسلم أي أنه كلما عرف الله كلما بادر إلى طاعته، كلما عرف الله بادر إلى خدمة عباده ، كلما عرف الله بادر إلى الإقبال عليه، والستة آلاف مليون إنسان في الأرض يسعون بشكل أو بآخر إلى سلامتهم وسعادتهم لذلك المؤمن عرف من خلال الوحيين الكتاب والسنة طريق سلامته في طاعة الله، أنت إذا أطعته سلمت إن عملت العمل الصالح سعدت:

﴿ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً﴾

[سورة الكهف: الآية 110]

ليلة القدر من أجل أن تعرفها لتقدره حق قدره إذا عرف عظمة الخالق لا بد أن يعرف قدر هذه الليلة أتوجه إلى فضيلة الشيخ عبد الغني ليبين لنا الحكمة من إخفاء ليلة القدر حيث أن الرسول عليه الصلاة والسلام ذكر أحاديث متعددة وتارة يقال أنها كانت في العشر الأوائل من رمضان، وتارة في العشر الأواخر ويرجح البعض العلماء الأيام المفردة من ليالي الوتر من ليالي رمضان فما هي الحكمة من أن لا تكون محددة بليلة محددة من

رمضان ؟ أريد أن أضيف كلمة صغيرة على ما تفضل به الدكتور راتب بشأن هذه البعوضة وما تحدث عنها من عجائب الخلق في هذا المخلوق الصغير نقول هذه ليست عجائب لماذا لأنها من خلق الله، الله تعالى يقول:

﴿ هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ﴾

[سورة لقمان: الآية 11]

إذا هذا المخلوق الضعيف فيه كل هذه الأجهزة وكل هذه الماكينات الحقيقة التي تعمل بهذا المخلوق هذا لو أوجده إنسان لتعجب من ذلك، لكن أوجده الله تعالى والله تعالى قادر على كل شيء ولهذا يستطرد الله تعالى أن يقول في هذه الآية:

﴿ هَذَا خَلْقُ اللَّهِ﴾

[سورة لقمان: الآية 11]

إذاً لا تتعجبوا من خلق الله تعالى لأنه قادر على كل شيء ولكن فضيلة الشيخ هذا يدل على عظمة الله عز وجل لا شك في ذلك، دعنا نتصور جهاز تحليل وجهاز تخدير وجهاز قطع وجهاز تمييع هذه الأجهزة لو أراد الإنسان أن يفكر بصنعها والكل والقلوب وثلاثة قلوب وكل هذه الأشياء مهما فكر الإنسان لا يستطيع أن يصل إلا أن يستوحي من عظمة الله سبحانه وتعالى فيصنع من خلال استحيائه لقدرة الله سبحانه وتعالى، ما يشبه ذلك مع الشبه البعيد جداً نحن لو تصورنا هذا الرسغ وما فيه من حركة دائرية وأمام وخلف وفوق وتحت إذا أردنا أن نصنع آلة تحرك مثل هذه الحركة نحتاج إلى مثل هذا الأستديو من القطع حتى تقوم بهذا العمل إنما أريد أن أقوله تعليقاً وتنبيهاً للناس أن عليهم أن يخضعوا لعظمة الله سبحانه وتعالى لهذا المخلوق الضعيف خذوا درساً من هذا المخلوق الضعيف لتعلموا أن الله على كل شيء قدير، إذاً عليهم أن يخضعوا وأن يلتزموا لطاعة الله عز وجل، لأنه هو الوحيد القادر على هذا الخلق هذا ما أردت أن أضيفه، أما بشأن السؤال هذا سبب إخفاء ليلة القدر نعم إن الله تعالى أخفى عنا ليلة القدر وقد وردت روايات كثيرة في هذا الأمر روايات تقول أنها في العشر

الأول من شهر رمضان، وروايات تقول أنها في العشر الأوسط، وروايات وأنها الأكثر تقول أنها من العشر الأخير، الحكمة من إخفائها هو أن يجتهد الإنسان في طاعة الله، أن يستمر في طاعة الله، لو حددنا له ليلة معينة أو وقت معين أو لم يخف الله سبحانه تعالى لحظة الموت بالنسبة للإنسان يعلم أنه يموت بعد سن الخمسين أو في سن الخمسين، قد يتقاعس عن الطاعة عن العبادة حتى يقترب من سن الخمسين فيطع الله تعالى يكون قد أضاع عمره كله وأخفى عنا ساعة الإجابة يوم الجمعة حتى يستمر الإنسان في طاعة الله في هذا اليوم المبارك، كذلك أخفى عنا ليلة القدر كما قلت هناك روايات كثيرة أكثر هذه الروايات أنها في العشر الأخير من رمضان، وفي ليال الوتر فقد ورد عن النبي ﷺ فيما أخرجه الإمام أحمد والترمذي ومسلم عن عائشة رضي الله عنها: أن رسول الله ﷺ قال:

((عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ تَحَرَّوْا لَيْلَةَ الْقَدْرِ فِي الْوِتْرِ مِنْ الْعَشْرِ الْأَوَاخِرِ مِنْ رَمَضَانَ))

[البخاري، مسلم، الترمذي، أحمد]

تحروا ليلة القدر أي ابحثوا عنها في العشر الأخير، وفي الوتر هل هناك مرجح لليلة السابعة والعشرين من ليلة القدر أيضاً، نحن نقوم بذلك نحن نقول أن ترجيح العشر الأخير من رمضان بدون تحديد ليلة محددة هذا يرجح على الأشهر الأول والثاني، لكن من جمع هذه الروايات، الروايات كلها صحيحة كيف نريد أن نجمع هل هو في العشر الأول أو الأوسط أو الثاني أو الثالث فهذه الليلة السابعة والعشرين الكثير من الصحابة ركزوا عليها، وأشاروا إليها بأن سيدنا عمر سيدنا حذيفة رضي الله عنهما كما قال عنهم أبو ذر الغفاري كانوا لا يشكون في أنها الليلة السابعة والعشرين، هناك استأنس من كلام بعض العلماء أنه استنبط من سورة ليلة القدر دليلين على أنها من ليلة السابعة والعشرين، الدليل الأول أنه قال إن كلمة ليلة القدر عبارة عن تسعة أحرف ليلة القدر تسعة أحرف وذكرت في السيرة ثلاث مرات فإذا ضربنا حروف هذه الكلمة وعدد تكرارها لكانت السابعة والعشرين، تسعة

ضرب ثلاثة يساوي سبعة وعشرين، ودليل آخر قال أن سورة القدر هي عبارة عن ثلاثين كلمة، ثلاثون كلمة، الكلمة السابعة والعشرين منها هي كلمة هي، سلام هي، وكلم هي ضمير يشير إلى ليلة القدر، فاستنبط منها على أنها هي المقصودة من هذا الأمر، ودفع العلماء بهذا إلى أن ينظر إلى جلالة القدر على عدد سبعة، كأنه عدد ثان، لكن السماوات السبع، والأرضين السبع، والرجم سبعاً، إذاً لتكون في الليلة السابعة، والسجود على سبعة أعظم، هذا ما يدفعني فضيلة الشيخ لأقول بأن كل هذه الاستنباطات جميلة لتدفع الإنسان إلى العمل، إلى الطاعة يوماٍ أو ليلة معينة، لكننا نعود لنقول أن إخفاءها أو سر إخفاءها أن نجتهد في كل رمضان ما في شك، أو ربما نحرك هذا القلب من خلال الطاعة في أيام رمضان يصل إلى ذروة عطائه وذروة حركته وذروة تفاعله مع الله عز وجل حينما يصبح في العشر الأخير من رمضان فيزيد اجتهاده في هذه الفترة من رمضان، وكما أخفيت عنا ليلة القدر عن يوم معين أيضاً حتى نعرف الله سبحانه وتعالى أخفي من عظيم صنعه علينا الشيء الكثير وخاصةً في هذا الكون، ففضيلة الدكتور راتب هل لكم من بيان ما أخفي من عظمة الله عز وجل بصنع هذا الكون، يقول الله عز وجل:

﴿ اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا﴾

[سورة الرعد: الآية 2]

أي بعمد لا ترونها، وهذا مفهوم المخالفة، هذه الأعمدة التي لا نراها هي قوى التجاذب فالأرض تدور حول الشمس في مسارٍ إهليلجي مغلق، وبحسب قوانين الجاذبية، إذا اقتربت الشكل الأهليجي له قطران قطر أصغر وقطر أكبر فإذا اقتربت الأرض من القطر الأصغر رفعت من سرعتها كي ينشأ من سرعتها قوة نابذة تكافئ القوة الجاذبة فلا تنجذب إلى الشمس وتتبخر في ثانية واحدة، وحينما تصل إلى القطر الأبعد تقل سرعتها حتى تبقى مرتبطة بالشمس لئلا تكون القوة النابذة أقوى من الجاذبة من يرفع من سرعتها، ومن يخفض من سرعتها في الوقت المناسب و إلا انتهت الحياة، ذلك أن ارتفاع السرعة وانخفاضها يتم بتسارع وتباطؤ طبيعي، ولو تم رفع

السرعة بتسارع شديد وخفض السرعة بتباطؤ بطيء لانهدم كل ما على الأرض، الأرض مرتبطة بالشمس بقوى التجاذب عبروا عن هذه القوة بمليون مليون حبل فولاذي قطر كل حبل خمسة أمتار هذا الحبل يقاوم من قوى الشد ما يزيد عن مليوني طن، أي أن الأرض مرتبطة بالشمس بمليون مليون حبل وكل حبل مليوني طن، هذه قوة جذب الشمس للأرض، لأنها تجذبها فهي بمسار مغلق حولها، لو أنها تفلتت من مسارها حول الشمس لسارت في الفضاء الكوني و لأصبحت حرارتهم 270 تحت الصفر، وانعدمت الحياة فيها من أجل أن تبقى مع الشمس، لو أنها تفلتت كيف نعيدها فرضاً، لا بد من مليون حبل فولاذي نضعها في الوجه المقابل للشمس لنسحبها، لو وضعنا مليون حبل فولاذي على الأرض وربطناها في الشمس يكون بين الحبلين خمسة أمتار إذاً انعدمت أشعة الشمس وانعدمت الحياة وانعدمت المواصلات والبناء وكل شيء، من هنا قال الله سبحانه وتعالى:

﴿ اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا﴾

[سورة الرعد]

هل يستطيع الإنسان أن يبني بناءً عملاقاً بلا أعمدة في الهواء، هكذا السماء من خلال معرفة عظمة الله سبحانه وتعالى نصل لسؤال أخير باختصار مع الشيخ عبد الغني ماذا نفعل بليلة القدر الوعظ على الإنسان المسلم أن يستغل هذه المناسبات وخاصة ليلة القدر أن يستغلها في طاعة الله عز وجل أن يكثر من الطاعة والعبادة والذكر وقراءة القرآن يقول الإمام سفيان الثوري: الدعاء في هذه الليلة أحب من الصلاة لكنه استطرد فقال إذا جمع الإنسان بينهما فهذا حسن، وكان النبي عليه الصلاة والسلام يجمع بين التلاوة وبين العبادة أي الصلاة وبين التفكير كان يقرأ قراءة مرتلة إذا مر بآية عذاب استعاذ إذا مر بآية رحمة طمع برحمة الله عز وجل فعلى الإنسان أن يكثر من الطاعة والعبادة في هذه الليلة، قد يخطئ بعض الناس فيظنوا أن إحياء هذه الليلة أن لا ينام أبداً وهذه ما يتعبه ويتعب جسده لا يستطيع القيام بالطاعة على الوجه الأكمل لا يجب أن ينام أول الليل ثم يستيقظ في النصف الأخير إن شاء أو الثلث الأخير إن شاء، ويقوم بهذه الطاعة على الوجه الكامل من قراءة قرآن من

دعاء خالص لله عز وجل من مجلس علم قد يكون في المسجد، خلال هذه الليلة من توجيهاً لإخوانه الموجدين معه ليعرفهم حقيقة هذه الليلة وحقيقة الطاعة والعبادة لله سبحانه وتعالى شكراً لكم لا يسعني في نهاية هذا اللقاء إلا أن أتقدم بالشكر الجزيل لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي الأستاذ في كلية التربية في جامعة دمشق ولفضيلة الشيخ عبد الغني مكاري خطيب مسجد عمر بن الخطاب والمدرس في ثانويات اللاذقية شكراً لكم أيها المشاهدون الكرام والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

والحمد لله رب العالمين

ندوة (11) : التعاون في المجتمع الإسلامي – صلة الرحم – الزكاة

بسم الله الرحمن الرحيم

المذيع: السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته، انقضى من هذا الشهر الكريم جزئه، صمنا وصلينا وقمنا الليل ذكراً ودعاءً رغبة ورجاء سمونا بأخلاقنا وأعمالنا وابتعدنا عن كل ما يغضب ربنا ولكن ماذا تفيدنا هذه الطاعات إن لم تحملنا على فعل الخير، وإذا لم تجعلنا نشعر بالآخرين ونقدم لهم العون والمحبة، إن حب الله يجب أن ينعكس في نفوسنا حباً لخلقه وتعاوناً معهم، فالخلق كلهم عيال الله، وأحب الخلق إلى الله أنفعهم لعياله، وقد قال تعالى: وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان، التعاون بما فيه مصلحة الإنسان فرداً وجماعة، وما فيه خير البشرية جمعاء، شجرة التعاون تبدأ صغيرة في محيط الأسرة والقرابة وتنتهي بالناس أجمعين. أيها المشاهدين الكرام يسعدني أن أرحب بضيفي هذه الندوة فضيلة الدكتور الشيخ محمد راتب النابلسي الأستاذ المحاضر في كلية التربية بجامعة دمشق، أستاذ الإعجاز العلمي في القرآن والسنة في كليات الشريعة وأصول الدين، وفضيلة الشيخ عبد الغني الكاري المدرس الديني وخطيب مسجد عمر بن الخطاب في اللاذقية، أهلاً وسهلاً بالأساتذة الكرام.

في هذه الندوة أتوجه بالشكر لحضوركما وآمل من فضيلة الدكتور راتب أن يبين لنا الجانب الاجتماعي تحديداً في الإنسان ما هو أصله الخلقي.

الأستاذ راتب : بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين.

الحقيقة أن الإنسان كائن متميز، هو في القرآن الكريم الإنسان الأول رتبة، لأن الله عز وجل يقول:

﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ﴾

(سورة الأحزاب)

هو له جانب عقلي وجانب نفسي وجانب جسمي، والعقل غذاؤه العلم والقلب غذاؤه الحب والجسم غذاؤه الطعام والشراب، وأودع الله فيه دوافع،من أبرز هذه الدوافع الدافع للطعام والشراب لبقاء الفرد، ثم الدافع إلى الجنس لبقاء النوع ثم الدافع على الذكر بقاء الذكر، يسميه علماء النفس تأكيد الذات، هذه الدوافع الثلاث يتحرك من خلالها، لكن هذه الدوافع حيادية يمكن أن توظف في الخير كما يمكن أن توظف في الشر، ولكن شاءت حكمة الله أن يجتمع الإنسان مع أخيه شاء أم أبى، ذلك لأن الإنسان مثله الله من إتقانه كل شيء، وهو محتاج لمليون شيء، ولا يمكن أن تستمر حياته إلا ضمن الجماعة، ففي أصل تكوينه وبرمجته يجب أن يعيش مع أخيه الإنسان.

أنت مثلاً تتقن اختصاص معين لكنك بحاجة لطبيب ولمهندس يبني لك البيت ونجار ومعلم ومن يبيعك الخبز والطعام والشراب ومن يصنع لك السيارة، أنت فوق كل شيء تعمل في التلفزيون، لكنك بحاجة لمليون حاجة فلأنك تتقن شيء واحد وبحاجة لمليون شيء فلا بد من أن تعيش مع أخيك الإنسان هذا في الأصل، بل إن الله سبحانه وتعالى في آيات كثيرة يشير إلى ملمح واحد:

﴿ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ (26)﴾

(سورة المطففين)

أنت مع أخيك الإنسان تسابقه لجنة عرضها السماوات والأرض، الشيء الثاني أن الله كان من الممكن أن يخلق المواد للاستهلاك مباشرة، لكن خلقها بطريقة تحتاج لجهد بشري، فلا بد من أن تزرع البذرة لتنمو طعاماً لك، لا بد أن تحفر البئر أو تبني البيت، لا بد من صنع الملابس، فلأن الله أراد أن نكون مع بعضنا بعضاً، ثم إن الله عز وجل فوق ذلك أرادنا أن نعمل، فالعمل قدرنا شئنا أم أبينا، وهذه الحياة أساسها العمل.

﴿ يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحاً فَمُلَاقِيهِ (6)﴾

(سورة الانشقاق)

الآن من خلال اجتماعنا مع بني جنسنا ومن خلال العمل الذي نحن مضطرون إليه يمتحن الإنسان، فأنا مع أخي الإنسان إما أن أصدق وإما أن أكذب، إما أن أخلص وإما أن أخون، إما أن أنفق وإما أن أشحد، إما أن أكون رفيقاً به أو قاسياً عليه.

﴿ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً﴾

(سورة الملك)

فلقاء البشر مع بعضهم بعضاً الحتمي الذي أراده الله عز وجل، ثم إن العمل الذي لا بد منه كي تستمر حياتنا مناسبتان كبيرتان لكشف حقيقة الإنسان، الدنيا دار ابتلاء والآخرة دار جزاء، الدنيا دار تكليف والآخرة دار تشريف، الدنيا دار عمل والآخرة دار حساب، فنحن ممتحنون في الدنيا ومادة امتحاننا ما منحنا إياه أو ما زوي عنا، في الدعاء الشريف: اللهم ما رزقتني مما أحب فاجعله عوناً لي فيما تحب، وما زويت عني ما أحب فاجعله فراغاً لي فيما تحب.

مواد الامتحان ما منحني الله إياه وما حرمني منه، لكن هناك من يقول قول رائع: إن المجموع ثابت، لو أعطيت لكل حظ من حظوظ الدنيا علامة، وجمعت علامات أي إنسان.......

مثلاً صاحب الدخل المحدود لا يعاني من هموم تسحق أصحاب الدخل غير المحدود في بعض الأزمات العامة، وصاحب الدخل غير المحدود يقاضي هذا الدخل الغير المحدود هموم تسحق الجبال أحياناً، فكأن المجموع ثابت، الزوجة له علامة الابن له علامة، صحته، ففي النهاية المجموع ثابت، والإنسان في دار ابتلاء، ينبغي أن يقوم بواجب إيمانه في طاعة الله، والمؤمن الصادق يطيع الله في السراء والضراء والغنى والفقر، والفرحة والمرض

وفي إقبال الدنيا وإدبارها.

المذيع: بهذا المفهوم موضع التواصل الاجتماعي هو أمر خلقي من إرادة الله سبحانه وتعالى لهذه البشرية لكي تكون متواصلة مع بعضها البعض، ومن هنا لا بد أن في الإسلام توجيهات لربط هذه العلاقات الاجتماعية، فأتوجه للشيخ عبد الغني ليبين لنا أبرز هذه التوجيهات الإسلامية بالتواصل الاجتماعي.

الأستاذ عبد الغني: بسم الله والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله وعلى آله صحبه ومن والاه وبعد... انطلاقاً من قوله تعالى:

﴿ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (77)﴾

(سورة الحج)

ومن قوله تعالى:

﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾

(سورة المائدة)

ومن قول بعض الفلاسفة أو علماء التربية: الإنسان اجتماعي بطبعه، وكما قال بعض الشعراء:

الناس للناس من بدو ومن حضر بعض لبعض وإن لم يشعروا خدم الإنسان لا يعيش في فراغ ولا في غابة بعيداً عن الناس، إنما سيعيش مع مجموعة كبيرة من الناس هذا التعاون سيحدث بينهم اشتباكات على حسب اختلاف طبائع الإنسان واختلاف حاجاتهم، هذا الاختلاف سيؤدي إلى التشابك بين هؤلاء الناس، فهذا يريد هذا وهذا يريد ذاك وهذا كذا، ولا يستطيع الإنسان كما تكلم فضيلة الدكتور بارك الله فيه أن الإنسان يحصل على كل شيء لا يستطيع لا بد له من الآخرين، كما ذكرنا بعضاً لبعض خدم وإن لم يشعروا، فهو بحاجة لمجتمع يعيش فيه، هذا المجتمع بحاجة لترابط، اختلاف وجهات النظر والطبائع قد تحدث مشاكل أو اشتباكات فيما بينهم لا بد من وجود

ضابط أو حكم يحكم بينهم وهذا الحكم هو الضابط الخلقي بين هؤلاء الناس، الإسلام لم يحصل على هذه النقطة وإنما أشار إليها في كثير من الآيات والأحاديث، فمثلاً التواصل الاجتماعي الذي يقوده الإسلام حدده في بعض الأمور مثلاً تواصل بين الأرحام، وقد بين الله ذلك في كتابه، وبين النبي ﷺ ذلك في سنته وأحاديثه الشريفة ، هذا التواصل ذكر في حديث رسول الله ﷺ:

((عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ الْخَلْقَ حَتَّى إِذَا فَرَغَ مِنْهُمْ قَامَتِ الرَّحِمُ فَقَالَتْ هَذَا مَقَامُ الْعَائِذِ مِنَ الْقَطِيعَةِ قَالَ نَعَمْ أَمَا تَرْضَيْنَ أَنْ أَصِلَ مَنْ وَصَلَكِ وَأَقْطَعَ مَنْ قَطَعَكِ قَالَتْ بَلَى قَالَ فَذَاكِ لَكِ ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اقْرَءُوا إِنْ شِئْتُمْ (فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَى أَبْصَارَهُمْ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا))

(صحيح مسلم)

فصلة الرحم من العادات الاجتماعية التي أمر بها الإسلام والقرآن:

﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ﴾

(سورة النساء)

فشجع على صلة الرحم.....

المذيع: النبي عليه الصلاة والسلام جعل من أسباب صلة الرحم زيادة العمر والرزق.

الأستاذ عبد الغني: كما ورد في الحديث الشريف:

((عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِي اللَّهم عَنْهم قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُبْسَطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ أَوْ يُنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ))

(صحيح البخاري)

هذا الحديث متفق عليه، وهذه الصلة تؤدي إلى تفاهم البعض مع البعض، الناس مع الآخرين، يعرفون مشاكلهم وما يدور حولهم، يساعدونهم ويمدون لهم يد العون والمساعدة في كل شيء هذا ليس فقط من صلة الرحم،وإنما هذا المقصود به أيضاً في كتاب الله التعاون مع الجيران.

((عَنْ عَائِشَةَ رَضِي اللَّهم عَنْهَا عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ مَا زَالَ يُوصِينِي جِبْرِيلُ بِالْجَارِ حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُ سَيُوَرِّثُهُ))

(صحيح البخاري)

((عَنْ أَبِي شُرَيْحٍ الْخُزَاعِيِّ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُحْسِنْ إِلَى جَارِهِ وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَسْكُتْ))

(صحيح مسلم)

((عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَيْرُ الْأَصْحَابِ عِنْدَ اللَّهِ خَيْرُهُمْ لِصَاحِبِهِ وَخَيْرُ الْجِيرَانِ عِنْدَ اللَّهِ خَيْرُهُمْ لِجَارِهِ))

(سنن الترمذي)

كل هذا أحاديث ونصوص تكلم بها النبي عليه الصلاة والسلام لأجل أن يعيش هذا المجتمع كما أراد الله له مجتمعاً متفاهماً ومتعاوناً عرف كلاً منهم حده فوقف عنده، وهذا التواصل الاجتماعي يحدث كثيراً في رمضان، ولو عدنا للوراء قليلاً لرأينا أن رمضان من خمسين عام مضت إلى الآن نرى أن الحركة الاجتماعية في المجتمع

المسلم الأغنياء يقبلون على الفقراء ويدعونهم للولائم الفقير لا يشعر بالجوع في رمضان بسبب هذا الإكرام من الغني، هناك تواصل بين الغني والفقير، وتعاون بين القوي والضعيف واندماج الفقير يحب الغني لأنه يحسن إليه، والغني يحب الفقير لأنه يؤدي به إلى ثواب الله عز وجل في رمضان حينما يدعوه لهذه الولائم. المذيع: نحن نستطيع أن نقول أن رمضان يجدد هذه العلاقة الاجتماعية التي جاءت بهذه النصوص القرآنية والتوجيهات النبوية، لكن فضيلة الدكتور راتب في حديثه ذكر أن هذه العلاقة بين الناس هي نوع من الابتلاء، أرجو أن توضحوا كيف سيكون هذا التواصل ابتلاء من الإنسان لأخيه الإنسان.

الأستاذ راتب: لا بد من توضيح حقيقة أن الله سبحانه وتعالى سخر بعضنا لبعض ، وفضل بعضنا على بعض، يتوهم قارئ القرآن الغير المتعمق أن الله عز وجل جعل إنساناً فاضلاً وإنسان مفضول، لا، فضل بعضنا على بعض بمعنى انك في موقف أنت فاضل، وفي موقف آخر في اليوم نفسه أنت مفضول، قد يأتي الإنسان لطبيب يشكو ألماً في جسمه، فهذا الطبيب فاضل أمام هذا المريض، الطبيب نفسه في أثناء النهار يستمع لصوت المحرك في مركبته لا يرضيه، يتجه لمن يعمل في إصلاح المركبات،الطبيب المتفوق يقف مفضولاً أمام هذا الذي يتقن تصليح السيارة، فنحن في كل ساعة نكون في موقع العطاء وتارة في موقع الأخذ، ونحن مسخرون لبعضنا بعضاً، هذه حقيقة.

الحقيقة الثانية: أن الله سبحانه وتعالى أعطانا طبعاً معيناً ومعنى تكليف، فالطبع يميل إلى النوع، والطبع مرتبط بالجسم، والتكليف أن تستيقظ لصلاة الفجر، الطبع يقتضي أن تملأ عينيك من محاسن النساء، والتكليف أن تغض البصر، الطبع يقتضي أن تأخذ المال والتكليف أن تنفقه، الطبع يقتضي أن تغوص في فضائح الناس والتكليف يأمرك أن تصبر، الآن من هذا التناقض بين الطبع والتكليف يكون ثمن الجنة.

﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى (40) فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى (41)﴾

(سورة النازعات)

الآن جعلت هذا تمهيداً لحقيقة طيبة في هذا اللقاء الطيب، الطبع أن تعيش وحدك وتأكل وتستعلي على الناس، الطبع فردي، والتكليف جماعي، فأنت تتعاون مع إخوانك المؤمنين مع بني البشر أجمعين، تقدم لهم تبني حياتك على العطاء بقدر طاعتك لله، وتؤكد ذاتك وتبني مجدك على أنقاض الناس وتبني حياتك على موتهم وغناك على فقرهم وأمنك على خوفهم وعزتك على ذلهم إذا كنت متفلتاً من منهج الله وفي هذا اللقاء الطيب الأصل هي هذا الموضوع هي الآية قوله تعالى:

﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾

قال علماء التفسير: البر صلاح الدنيا والتقوى صلاح الآخرة، أن نتعاون لصلاح الدنيا ولصلاح الآخرة، فنحن حينما نأتمر بأمر لله عز وجل يكون هذا الاجتماع أنا أجتمع مع أخي أصدقه أو أكذبه.

((عَنْ سُفْيَانَ بْنِ أَسِيدٍ الْحَضْرَمِيِّ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ كَبُرَتْ خِيَانَةً أَنْ تُحَدِّثَ أَخَاكَ حَدِيثًا هُوَ لَكَ بِهِ مُصَدِّقٌ وَأَنْتَ لَهُ بِهِ كَاذِبٌ))

(سنن أبي داوود)

فحينما أصدق نجحت في الامتحان، وحينما أكذب سقطت في الامتحان، حينما أخلص أو أخون أنفق أو أشحد فالذي يدفع الإنسان خلقه العظيم الكريم، والذي خلقه في أسفل السافلين التواصل الأخلاقي، والإمام ابن القيم يقول: الإيمان هو الخلق فمن زاد عليك في الخلق زاد عليك في الإيمان.

((عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو قَالَ خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَاتَ يَوْمٍ مِنْ بَعْضِ حُجَرِهِ فَدَخَلَ الْمَسْجِدَ فَإِذَا هُوَ بِحَلْقَتَيْنِ إِحْدَاهُمَا يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ وَيَدْعُونَ اللَّهَ وَالْأُخْرَى يَتَعَلَّمُونَ وَيُعَلِّمُونَ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كُلٌّ عَلَى خَيْرٍ هَؤُلَاءِ يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ وَيَدْعُونَ اللَّهَ فَإِنْ شَاءَ أَعْطَاهُمْ وَإِنْ شَاءَ مَنَعَهُمْ وَهَؤُلَاءِ يَتَعَلَّمُونَ وَإِنَّمَا بُعِثْتُ مُعَلِّمًا فَجَلَسَ مَعَهُمْ))

(سنن ابن ماجة)

((عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأُتَمِّمَ صَالِحَ الْأَخْلَاقِ))

(مسند الإمام أحمد)

وهذا الإسلام العظيم الذي انتشر في الآفاق لسبب أخلاق الصحابة الكرام، والله الذي لا إله إلا هو لو فهم الصحابة الكرام الإسلام كما يفهمه عامة المسلمون اليوم ما خرج من مكة ! ما الذي يشد الناس للإسلام ؟ أخلاق المسلمين إنفاقهم صدقهم أمانتهم عفتهم، لكن ما الذي ينفر الناس من المسلمين ؟ انحرافهم حينما تشبث أصحاب النبي الكريم بالخلق القويم دخل الناس في دين الله أفواجاً، وحينما يرى الناس مسلماً يقصر يكذب يحتال يقصر في واجباته يخرج الناس من دين الله أفواجاً، الذي يشد الناس للإسلام أخلاق المسلمين، ونحن حينما نلتقي مع بعضنا بعضا تظهر الأخلاق الحميدة والخبيثة، فنحن مبتلين باجتماعنا ومحاسبين على حركتنا والله سبحانه وتعالى في عون العبد ما دام العبد في عون أخيه، ولكن الشيء الذي يلفت النظر أن النبي عليه الصلاة والسلام لو جمعت أحاديثه الاجتماعية بأكملها ووضعتها في بابين لوجدت العجب العجاب، ما من شيء يقرب الإنسان من أخيه الإنسان إلا أمانته، وما من شيء يبعد الإنسان عن أخيه الإنسان إلا نهى عنه عن الغيبة والنميمة والتقليد والمحاكاة والاستهزاء والسخرية والتباغض وكل شيء أمر بإلقاء السلام وبتلبية الدعوة وبالصلة حتى لو دعي إلى وليمة عليه أن يلبي.

النبي الكريم مدعواً لوليمة ومعه صحابياً فلما جعل الطعام قال: إني صائم قال: أخوك دعاك وتكلف لك وتقول إني صائم أفطر وصم يوماً مكانه.

((عَنْ عَبَّادِ بْنِ شُرَحْبِيلَ قَالَ قَدِمْتُ مَعَ عُمُومَتِي الْمَدِينَةَ فَدَخَلْتُ حَائِطًا مِنْ حِيطَانِهَا فَفَرَكْتُ مِنْ سُنْبُلِهِ فَجَاءَ صَاحِبُ الْحَائِطِ فَأَخَذَ كِسَائِي وَضَرَبَنِي فَأَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَسْتَعْدِي عَلَيْهِ فَأَرْسَلَ إِلَى الرَّجُلِ فَجَاءُوا بِهِ فَقَالَ مَا حَمَلَكَ عَلَى هَذَا فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّهُ دَخَلَ حَائِطِي فَأَخَذَ مِنْ سُنْبُلِهِ فَفَرَكَهُ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا عَلَّمْتَهُ إِذْ كَانَ جَاهِلًا وَلَا أَطْعَمْتَهُ إِذْ كَانَ جَائِعًا ارْدُدْ عَلَيْهِ كِسَاءَهُ وَأَمَرَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِوَسْقٍ أَوْ نِصْفِ وَسْقٍ))

(سنن النسائي)

من أين عالج المشكلة ؟ لا من نهايتها، اليوم العالم يعالج الإرهاب بما يسمى من نهايته يجب أن يعالج من بدايته، لماذا كان الإرهاب في العالم ؟ قال: مَا عَلَّمْتَهُ إِذْ كَانَ جَاهِلًا وَلَا أَطْعَمْتَهُ إِذْ كَانَ جَائِعًا. يجب أن نبحث عن السبب، لأن الله عز وجل يقول:

﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ﴾

(سورة الفتح)

متى كانوا أشداء على الطرف الآخر ؟ لأنهم معه، فنحن مأمورون أن نجتمع، والحقيقة الآن نحن نكون أو لا نكون، بقاءنا ونمونا وتقدمنا وانتصارنا على أعدائنا لوحدتنا واجتماعنا وتضامننا وتكاتفنا، ولعل الآية الكريمة:

﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾

هي الأصل في هذا اللقاء الطيب تعاونوا على صلاح الدنيا وصلاح الآخرة.

المذيع: هنا نستطيع أن نقول: هذا الدين الحنيف شرع كثير من العبادات الجماعية منها صلاة الجماعة ومنها

الحج ولكن هناك عبادة مادية التي هي الزكاة والصدقة، فضيلة الشيخ عبد الغني هل يمكن أن تعطي إضاءة حول دور الصدقة ودور الإنفاق والزكاة في هذا التواصل الاجتماعي.

الأستاذ عبد الغني: في البداية أريد أن أضيف إلى كلام أخي الدكتور حينما تحدث عن المسلم وعن تشويه صورة الإسلام في عمل مسلم أو خلق مسلم أحد الشعراء ذكر ذلك فقال:

يقولون في الإسلام قولاً أنه يعيق زويه عن طريق التقدم .

الإسلام هو المتهم وليس المسلم، لأنه إذا أخطأ المسلم عزونا هذه الأخطاء للإسلام وليس المسلم وهذا خطأ كبير.

إذا كان ذا حقاً فكيف تقدمت أوائله في عهده المتقدم.

إذا كان ذنب المسلم اليوم جهله فماذا على الإسلام من جهل المسلمين، يجب أن نفرق بين عمل المسلم وبين الإسلام، إن تمسك هذا الإنسان بشريعة الإسلام كان مسلماً حقاً طالباً المنى ظاهراً وباطناً، فيما يتعلق بهذا الأمر.

هناك عبادات جماعية فرضها الإسلام منها صلاة الجماعة حتى يلتقي الناس ويتكاثر وجودهم فيما بينهم ويتساءلون فيما بينهم عن أحوالهم ويتفقدون أمور بعضهم كصلاة الجماعة التي تشير إلى القوة والمنعة في هذا الدين أو صلاة العيدين أو الحج حتى الزكاة، الزكاة اجتماعية لأنها آخذ ومعطي، فقير وغني، وهناك علاقة موجودة بين الغني وبين الفقير وبين المكلف ومن يحتاج إلى ذلك، فيد تعطي ويد تأخذ، المعطي يجب أن يكون رحيماً رفيقاً على هذا الإنسان، لا يعطيه بمنة ولا يمنن في ذلك، إنما يعطيه كواجب.

﴿ وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ (24) لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ (25)﴾

(سورة المعارج)

والفقير يأخذ هذا عن رضا وطواعية، إذا اكتمل هذا المعنى فبين المعطي والآخذ وبين الدافع والآخذ اكتمل هذا المعنى، نشأت بينهما علاقة المحبة والمودة، فالغني يصل إلى الفقير والفقير يساعد هذا الغني ويقضي له كثيراً من حاجاته، إن كان المجتمع بهذا الأمر لا يمكن أن تدخله شائبة أو يدخل إليه أي شيء يمكن أن يؤثر من قوته، لأنه كما قلنا كل إنسان عرف حده فوقف عنده.

هذه الكلمة لسيدنا عمر رضي الله عنه حينما كان قاضياً في زمن الخليفة أبي بكر الصديق رضي الله عنه، ذلك كان سيد دار القضاء دون أن يأتي إليه متخاصمان، الآن المحاكم تعج ومن يدخل في مشكلة يعيش عشرات السنين ولا يحصل على حقه، فقدم استقالته لسيدنا أبي بكر، فسيدنا أبي بكر قال له: لما يا عمر ألم يرضى الناس بحكمك وبعدلك ؟ قال: بلى يا خليفة رسول الله، لكن لا حاجة لي عند قوم عرف كل منهم حده فوقف عنده. ديهم النصيحة خلقهم القرآن، عملهم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، إن احتاج أحدهم ساعدوه وإن مرض عادوه وإن افتقر أعانوه ففيما يختصمن يا أمير المؤمنين.

هذا عنوان واضح للتواصل الاجتماعي.

المذيع: دور الصدقات وخاصة في شهر رمضان، الله سبحانه وتعالى جعل هذا الشهر لنزداد في هذا الموضوع، هل من إضاءة أخيرة من قبل الشيخ راتب.

الأستاذ راتب: قال تعالى:

﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً ﴾

(سورة التوبة)

تبين صدقهم.

﴿ تُطَهِّرُهُمْ﴾

تطهر الغني من الشح، والفقير من الحقد، والمال من تعلق حق الغير به.

﴿ وَتُزَكِّيهِمْ﴾

تهني نفس الغني حينما يرى عمله وقد ترك بصمة كبيرة في المجتمع، وتنمي نفس الفقير حينما يرى نفسه ليس مهملاً، وتنمي المال بطريقة عجيبة، لأن الإنسان حينما يعطي يجعل في يد المعطى قوة شرائية تعود عليه بالخير مرة ثانية، والمال يحفظ بأداء الزكاة وينمو بأداء الزكاة، فهذه الآية أصل:

﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ﴾

وشهر رمضان شهر الزكاة.

((عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَجْوَدَ النَّاسِ وَكَانَ أَجْوَدُ مَا يَكُونُ فِي رَمَضَانَ حِينَ يَلْقَاهُ جِبْرِيلُ وَكَانَ يَلْقَاهُ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ مِنْ رَمَضَانَ فَيُدَارِسُهُ الْقُرْآنَ فَلَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَجْوَدُ بِالْخَيْرِ مِنَ الرِّيحِ الْمُرْسَلَةِ))

(صحيح البخاري)

والأمة المسلمة في رمضان عليه أن يؤدي زكاة الفطر يوجد ملمح رائع في هذا التوجيه، حتى الفقير جداً الذي لا يملك قوت يومه وجبة طعام واحدة، عليه أن يدفع زكاة الفطر ليذوق طعم الإنفاق مرة في العام، لذلك العرب يقولون فلان أريحي ارتاح من العطاء.

مرة إنسان أعطى امرأة عطاء كبير فلامه صديقه، قال: لقد كان يرضيها القليل لما أعطيتها الكثير أنت لا تعرفها، فقال الأريحي: إذا كان يرضيها القليل فأنا أرضى لها إلا بالكثير وإذا كانت لا تعرفني فأنا أعرفها، ففي موكبة

العطاء الإنسان كل سعته في العطاء.

مرة قرأت مقالة في مجلة انتهت المقالة في رأس الصفحة وبقي فراغ كتبت حكمة، قال: إذا أردت أن تسعد فأسعد الآخرين فأنت أسعدهم.

حينما الإنسان يخرج من ذاته ليكون في خدمة الخلق هو أسعد الخلق.

المذيع: في قضية زكاة الفطر كأنها تتوجب على الصغار، الولي الصغار عليه أن يخرج زكاة فطره حتى عن الصغار لو لم يصوموا وعلى الجنين، كل ذلك لتشجيع الناس على الإنفاق ليكون هذا التواصل الاجتماعي ليس تواصلاً كمالياً فقط، وإنما تواصلاً عاطفياً ومادياً في آن واحد ليحقق هذه الصلة الروحية والتعاونية بين أبناء المجتمع المسلم.

الحقيقة الوقت ينتهي أتوجه بالشكر الجزيل لما تفضلتم به، أتوجه بالشكر الجزيل لفضيلة الدكتور الشيخ محمد راتب النابلسي أستاذ مادة الإعجاز العلمي في كليات الشريعة وأصول الدين والمدرس في كلية التربية ولفضيلة الشيخ عبد الغني مكاري المدرس الديني وخطيب مسجد عمر بن الخطاب في اللاذقية.

والحمد لله رب العالمين

ندوة (12) : احتفال في ليلة النصف من شعبان – السكينة

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة :

السيد وزير الأوقاف ، الدكتور محمد عبد الستار السيد حفظه الله ورعاه ، سماحة المفتي العام للجمهورية ، وصحبهما الكرام ، السادة العلماء الأجلاء ، الأخوة المؤمنون حضوراً ومستمعين ومشاهدين ، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

تطبيق سنة النبي الكريم تبعث السكينة في قلوب المؤمنين الصادقين :

نحن في ذكرى الخامس عشر من شعبان ، فعن عائشة رضي الله عنها قالت :

((وما رأيتُ رسولَ الله ﷺ استكمل صيام شهر قطُّ إلا شهر رمضان ، وما رأيته في شهر أكثر منه صياماً في شعبان))

[رواه البخاري ومسلم عن عائشة]

كما قال النبي ﷺ :

((ذاك شهر يَغْفُلُ الناسُ عنه بين رجب ورمضانَ ، وهو شهر تُرفَع فيه الأعمال إلى ربِّ العالمين ، فأحبُّ أن يرفع عملي ، وأنا صائم))

[أحمد و النسائي عن أسامة بن زيد والإسناد جيد]

ومن القواعد الأصولية في العبادات أن الأصل فيها الحظر ، فلا تشرع عبادة إلا بالدليل القطعي والثابت ، بينما الأصل في الأشياء المباحة أنه لا يحرم شيء إلا بالدليل القطعي والثابت ، ونحن جميعاً حينما نطبق سنة النبي

ﷺ ، ونتأسى بسيرته ، ونؤدي العبادات كما ينبغي ، ومنها الصيام نقطف الثمار اليانعة التي قطفها أصحابه الكرام ، وإحدى أكبر هذه الثمار تلك السكينة التي تتنزل على قلوب المؤمنين الصادقين ، فتجعل الواحد منهم وهو في الناس رجلاً ، وهو بين الرجال بطلاً ، وهو مع الأبطال مثلاً ، وشخصية المؤمن الفذة ذات الجانب العلمي ، والجانب الأخلاقي ، والجانب الجمالي ، إحدى دلائل إعجاز القرآن الكريم .

السلامة والسعادة مطلبان أساسيان لكل إنسان على وجه الأرض :

ذلك أن المؤمن استجاب لنداء الفطرة ، واهتدى إلى سرِّ وجوده ، وغاية وجوده ، فتوضحت لدية الغاية والطريق ، وعاش في معية الله ، ومعية رسله ، وأنبيائه ، ومعية المتقين ، ونجا من عذاب الحيرة والشك ، إن السكينة وردت في القرآن الكريم في عدة آيات من أبرزها قوله تعالى :

﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَاناً مَعَ إِيمَانِهِمْ ﴾

(سورة الفتح الآية : 4)

أيها الأخوة الكرام ، لا سعادة بلا سكينة ، ولا سكينة بلا إيمان ، سكينة النفس هي الينبوع الأول للسعادة ، والسلامة والسعادة مطلبان أساسيان لكل إنسان على وجه الأرض ، لأن الله يعطي الصحة ، والقوة ، والذكاء ، والمال ، والجمال للكثير من خلقه ، ولكنه يعطي السكينة بقدر لأصفيائه المؤمنين ، والسكينة هي السمة الأولى للمؤمن ، هذه السكينة تزدهر بغير عون من المال ، بل بغير مدد من الصحة ، يسعد بها الإنسان ولو فقد كل شيء ، ويشقى بفقدها ولو ملك كل شيء ، هذه السكينة ليست ملك أحد يمسكها أو يرسلها ، ولكنها في متناول كل واحد من البشر إذا دفع ثمنها .

الإيمان بالله و اليوم الآخر المصدر الوحيد للسكينة :

إن للسكينة مصدراً واحداً لا ثانياً له ، هو الإيمان بالله الذي يحمل على طاعته ، والإيمان باليوم الآخر الذي يمنع أن تؤذي مخلوقاً على وجه الأرض ، هذا الإيمان العميق الذي لا يكدره شك ، ولا يفسده نفاق ، والعمل بمقتضى هذا الإيمان ، لقد علمتنا الحياة أن أكثر الناس قلقاً وضيقاً ، واضطرباً ، وشعوراً بالتفاهة والضياع هم المحرومون من نعمة الإيمان ، وبرد اليقين .

إن هذه السكينة نفحة من السماء ، ينزلها الله على قلوب المؤمنين من الأرض ، ليثبتوا إذا اضطرب الناس ، وليرضوا إذا سخط الناس ، وليوقنوا إذا شكّ الناس ، وليصبروا إذا جزع الناس ، وليحلموا إذا طاش الناس ، هذه السكينة نور من الله ، وروح منه ، يسكن إليها الخائف ، يطمئن عندها القلق ، ويتسلى بها الحزين ، ويستروح بها المتعب ، ويقوى بها الضعيف، ويهتدي بها الحيران ، هذه السكينة نافذة على الجنة يفتحها الله للمؤمنين من عباده ، منه تهب عليهم نسماتها ، وتشرق عليهم أنوارها ، يفوح عليهم شذاها وعطرها ، ليذيقهم الله جزاء ما قدموا من خير ، وليرهم نموذجاً لما ينتظرهم من نعيد ، فينعموا بهذه النسمات بالروح والريحان ، والأمن والأمان ، في الدنيا جنة من لم يدخلها لن يدخل جنة الآخرة ، إنها جنة القرب ، إنها جنة السكينة ، قال تعالى :

﴿ وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ ﴾

(سورة محمد)

أي ذاقوا طعمها في الدنيا .

ما من نعمة تحجب معها السكينة إلا وتنقلب بذاتها إلى نقمة :

ما من نعمة تحجب معها السكينة إلا وتنقلب بذاتها إلى نقمة ، وما من محنة تحفها السكينة إلا وتكون هي بذاتها نعمة ، ينام الإنسان على الشوك مع السكينة فإذا هو مهاد وثير ، وينام على الحرير وقد أمسكت عنه السكينة

فإذا هو شوك القتاد ، يعالج المرء أعسر الأمور ومعه السكينة فإذا هي هوادة ويسر ، ويعالج أيسر الأمور وقد تخلت عنه السكينة فإذا هي مشقة وعسر ، ويخوض المخاوف والأخطار ومعه السكينة فإذا هي أمن وسلام ، ويعبر المناهج والسبل وقد أُمسكت عنه السكينة فإذا هي مهلكة وبوار .

هذه السكينة لا تعز على طالب كائناً من كان في أي وزمان ومكان ، وفي أي حال ومآل ، وجدها إبراهيم عليه السلام في النار ، ووجدها يوسف عليه السلام في الجب ، ووجدها يونس عليه السلام في بطن الحوت ، ووجدها موسى عليه السلام في اليم ، ووجدها أصحاب الكهف في الكهف حينما افتقدوها في الدور والقصور ، ووجدها نبينا عليه الصلاة والسلام وصاحبه في الغار ، والأعداء يتعقبونه ليقتلوه ، ويجدها كل مؤمن آوى إلى ربه ، يائساً ممن سواه ، قاصداً بابه وحده من دون كل الأبواب ، يبسط الله الرزق مع السكينة ، فإذا هو متاع طيب ورخاء وفير ، وإذا هو رغد في الدنيا وزاد إلى الآخرة ، ويمسك السكينة مع الرزق فإذا هو مثار قلق وخوف ، وإذا هو مثار حسد وبغض ، وقد يكون معه الحرمان ببخل أو مرض ، وقد يكون التلف بإفراط واستهتار .

يمنح الله الذرية مع السكينة فإذا هي زينة الحياة الدنيا ، ومصدر فرح واستمتاع بالخلف الصالح ، ويمسك رحمته فإذا الذرية بلاء ، ونكد ، وعنت ، وشقاء ، وسهر بالليل ، وتعب بالنهار .

يهب الله الصحة والعافية مع السكينة فإذا هي نعمة وحياة طيبة ، ويمسك سكينته فإذا الصحة والعافية بلاء ، يسلطه الله على الصحيح المعافى ، فينفق الصحة والعافية ، فيما يحطم الجسم ويفسد الروح ، ويزخر السوء إلى يوم الحساب .

ويعطي الله الجاه والقوة مع السكينة ، فإذا هي أداة إصلاح ، ومصدر أمن ، ووسيلة لادخار الطيب الصالح من العمل والأثر ، يمسك السكينة فإذا الجاه والقوة مصدرا قلق على فوته ، ومصدرا طغيان وبغي ، ومصدرا حقد وكراهية ، لا يقر لصاحبها قرار ، ويدخر بها للآخرة رصيداً ضخماً من النار .

أسباب السكينة لدى المؤمن :

أول أسباب السكينة لدى المؤمن أنه هُدي إلى فطرته التي فُطر عليها ، وهي فطرة متسقة ، ومنسجمة ، ومتجاوبة مع نواميس الوجود الكبير كله ، ومع منهج الخالق العظيم ، فعاش المؤمن مع فطرته في سلام ووئام ، لا في حرب وخصام ، ومع من حوله في شفافية ومشاركة ، لا في وحشة وعداوة .

ذلك لأن في القلب شعثاً لا يلمُّه إلا الإقبال على الله ، وفي القلب وحشة لا يزيلها إلا الأنس بالله ، وفي القلب حزن لا يذهبه إلا السرور بمعرفة الله ، وفيه قلق لا يسكنه إلا الاستماع عليه والفرار إليه ، وفي القلب نيران حسرات لا يطفئها إلا الرضى بأمره ، ونهيه ، وقضائه ، وقدره ، والصبر على ذلك إلى يوم لقائه ، وفي القلب فاقة لا تسدها إلا محبته ، والإنابة إليه ، وصدق الإخلاص له .

الأقوياء بإيمانهم واستقامتهم هم السعداء والضعفاء بشركهم وانحرافهم هم التعساء :

أيها الأخوة الكرام ، هذا ما ينبغي أن يكون عليه مجتمع المؤمنين الصادقين من سعادة، ووئام ، وحب ، وسلام ، هذا ما ينبغي أن يكون عليه المؤمنون وهم على مشارف ثاني أكبر عبادة في الإسلام ، ولكن واقع المسلمين يدمي القلب . أيها الأخوة الكرام ، القوة سمة أساسية في شخص المؤمن ، والنبي عليه الصلاة والسلام يقول :

((المؤمن القويُّ خيْر وأحبُّ إلى الله من المؤمن الضعيف))

[أخرجه مسلم عن أبي هريرة]

لذلك ينبغي أن نخاطب المؤمن وهو على مشارف شهر الصيام ، فنقول له : كن عضواً في جمعية الأقوياء ، ولا تكن رأساً في قطيع النعاج ، قد تبدو ضعيفاً لأنك قبلت أن تكون ضعيفاً فعش كما تريد ، ولكن لا بدّ من أن تعلم أنه بإمكانك أن تصبح قوياً بإيمانك بالله ، وثقتك به ، وأن تتعافى من شعورك بالضعف الذي سببه الشرك الخفي.

إن الأقوياء بإيمانهم واستقامتهم هم السعداء ، والضعفاء بشركهم وانحرافهم هم التعساء .

واعلم أيها الأخ يقيناً أن الشيء الذي لا تستطيعه هو الشيء الذي لا تريد أن تكونه ، قوة الإيمان مطلب أساسي، و إلا فلا قيمة للحياة من دون قوة في الدين ، وإن القوة مصدر للثقة، والثقة لا توجد إلا في قلوب المؤمنين ، وإذا أردت القوة الحقيقية فابحث وأنت في شهر الصيام عن قوة لا تحتاج إلى غيرها ، إنها قوة الله عز وجل . إذا كان الله معك فمن عليك ، وإذا كان عليك فمن معك ، ويا رب ماذا وجد من فقدك؟ وماذا فقد من وجدك ؟

لغة الشكوى والاستجداء والتوسل لن تحقق لنا شيئاً لأننا نعيش في عالم الأقوياء :

إن الجبن ، والخورة ، والاستكانة ، والاستسلام ، والانهزامية ، والذل ، وجميع المفردات في قاموس الضعف مرفوضة في حياة المؤمنين الصادقين ، فأنت كائن لم تخلق لتكون مسلوب الإرادة ، بارد الهمة ، تأمل دعاء رسول الله ﷺ :

((اللهم وأعوذُ بك من العجْزِ والكَسَلِ ، وأَعوذُ بك من البخْلِ والجُبْنِ ، وأعوذ بك من غَلَبَةِ الدَّيْنِ وقَهرِ الرجال))

[أخرجه أبو داود عن أبي سعيد الخدري]

كيف نبحث عن القوة ونحن ضعفاء ؟؟؟

ولكن أيها الأخوة ، كيف نبحث عن القوة ونحن ضعفاء ؟ إن الحديث عن القوة النابعة من الضعف ليس دعوة إلى الرضا بالضعف ، أو إلى السكوت عليه ، بل هو دعوة للاستشعار القوة حتى في حالة الضعف . إذاً يجب أن نبحث في كل مظنة ضعف عن سبب قوة كامنة فيه ، ولو أخلص المسلمون في طلب ذلك لوجدوه ، ولصار الضعف قوة ، لأن الضعف ينطوي على قوة مستورة يؤيدها الله في حفظه ورعايته ، فإذا قوة الضعف تهد

الجبال ، وتدك الحصون ، كما ترون وتسمعون ، أنت قوي ، هذا سرّ ضعفك ، وأنت ضعيف هذا سرّ ضعفك .

لذلك نستطيع أن نقابل القنبلة الذَرية بقنبلة الذُرية ، أي بتربية جيل ، واعٍ ، ملتزم ، ينهض بأمته ، ويعيد لها دورها القيادي في الأمم .

يقول أحد علماء الغرب الذين اهتدوا إلى الإسلام : " أنا لا أصدق أن يستطيع العالم الإسلامي اللحاق بالغرب على الأقل في المدى المنظور ، ولكنني مؤمن أشد الإيمان أن العالم كله سيركع أمام أقدام المسلمين ، لا لأنهم أقوياء ، ولكن لأن خلاص العالم في الإسلام ، ولكن بشرط أن يحسنوا فهم دينهم ، وأن يحسنوا تطبيقه ، وأن يحسنوا عرضه على الطرف الآخر" .

توظيف الله عز وجل طغيان الطغاة في الأرض لخدمة المسلمين و دينهم :

وإذا عرجنا على الموضوع الساخن ؛ موضوع فلسطين نقول لهؤلاء الذين يحاولون تهويد مقدساتنا : ولو علمتم أيها الطغاة ماذا قدمتم لدين الله ، وللمؤمنين من خير لم تريدوه ، لندمتم أشد الندم ، فنحن بسبب طغيانكم أكثر وعياً ، وأكثر تماسكاً ، وأكثر وحدة ، وأكثر تمسكاً بديننا ، وأكثر قرباً من ربنا ، وأكثر مقاومة لكم أيها الأعداء. ولو أنفقنا المليارات المملیرة لما استطعنا أن نعريكم كما عريتم أنفسكم في حرب غزة فشكراً لكم ، لقد أعنتم شعوب الأرض على أن تكفر بكم ، لقد أحييتم فينا مفهوم الجهاد ، فكسرنا عصاكم الغليظة مرات ومرات ، ولا تنسوا أيها الطغاة أن لكل أجل كتاباً ، وأنكم قد اقترب أجلكم ، وأن تقريراً من حلفائكم يؤكد أنكم لن تستطيعوا أن تبقوا في فلسطين أكثر من عشرين عاماً قادمة .

فاسمعوا قول الله عز وجل خالق السماوات والأرض :

﴿ وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ ﴾

(سورة القصص)

والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته

والحمد لله رب العالمين

ندوة (13) : حكمة الصيام وزكاة الفطر

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة:

الأستاذ جمال:

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتمها على حبيب رب العالمين، سيدنا محمد بن عبد الله، وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين.

أيها الأخوة والأخوات السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وأسعد الله أوقاتكم جميعاً بكل خير، وطيبت أوقاتكم أوقات الخير، أوقات العبادة، أوقات الصيام، ونسأله تعالى جلّ جلاله أن يتقبل أعمالنا، وأن يجعلها خالصة لوجهه الكريم.

في ندوة رمضان أيها الأخوة والأحبة اليوم يسعدنا أن نستضيف فضيلة الشيخ الدكتور محمد راتب النابلسي الداعية الإسلامي.

فضيلة الشيخ السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الدكتور راتب:

وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته أستاذ جمال جزاك الله خيراً.

الأستاذ جمال:

دكتور محمد راتب النابلسي، نعيش أيام رمضان الخير، هذا الشهر المبارك، الذي يفيض علينا ربنا من خلاله بالرحمات والعطاءات، هذه العطاءات لا تعد ولا تحصى، لا يعرفها إلا من يكابدها، إلا الصائم، وهناك نتائج ايجابية تنعكس على هذا الإنسان الذي عرف ربه فأطاعه وصام هذا الشهر المبارك، كيف نتحدث عن الصوم ونتائجه الطيبة على نفسية الإنسان الصائم؟.

الصيام ثاني أكبر عبادة في الإسلام:

الدكتور راتب:

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد، وعلى آل بيته الطيبين الطاهرين، وعلى صحابته الغر الميامين، أمناء دعوته، وقادة ألويته، وارضَ عنا وعنهم يا رب العالمين. أستاذ جمال، الصيام عبادة، بل هو ثاني أكبر عبادة في الإسلام، والعبادات في الإسلام من روعتها أنها معللة بمصالح الخلق، بينما الطقوس في الأديان الوضعية هي حركاتٌ، وسكناتٌ، وتمتماتٌ، وإيحاءات، وكلماتٌ، لا معنى لها، لكن الأمام الشافعي يقول: "العبادات في الإسلام معللة بمصالح الخلق"، فما من عبادة إلا ولها أهداف كبيرة، فالصيامُ مثلاً، يقول الله عز وجل:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾

[سورة البقرة]

تتقون ماذا؟ تتقون الشقاء، تتقون غضب الله، تتقون سخطه، تتقون معصيته، تتقون ضياع الآخرة، فالتقوى من الوقاية، والإنسان متى يتوقى؟ حينما يرى رؤية صحيحة.

إنسان يمشي في طريق ليلاً، هناك عقبات، وأكمات، وحفر، وحشرات، لو أن مصباحاً ساطعاً بيده يرى كل شيء، يرى الحفرة فيتقيها، يرى الأكمة فيبتعد عنها، يرى الحشرة فيقتلها، فالإنسان لا يتقي الأخطار إلا إذا تمتع برؤية، هذه الرؤية وردت في آية كريمة:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُوراً تَمْشُونَ بِهِ ﴾

[سورة الحديد الآية:28]

من ذكر الله أدى واجب العبودية و من ذكره الله منحه الأمن و الحكمة:

الإنسان حينما يتصل بالله، الصيام من أجل الصلاة، والصلاة من أجل الصلاة، والحج من أجل الصلاة، والزكاة من أجل الصلاة، العبرة أن هذا المخلوق الضعيف يتصل بالإله العظيم، يكتسب منه الغنى، الحكمة، الرضا، السعادة، القوة، العلم، فالله تعالى حينما قال:

﴿ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ ﴾

[سورة العنكبوت الآية:45]

قالوا العلماء: ذكر الله أكبر ما فيها، هذا رأي، هناك رأي آخر: ذكر الله لك أيها المصلي أكبر من ذكرك له، إنك أن ذكرته أديت واجب العبودية، لكنه إن ذكرك منحك الأمن، أسعدك منحك الأمن، منحك الحكمة، منحك الرضا، منحك السعادة، منحك السكينة، منحك التوازن، منحك الشجاعة، منحك العدل:

﴿ وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا ﴾

[سورة الأعراف الآية:180]

إن مكارم الأخلاق مخزونة عند الله تعالى، فإذا أحبّ الله عبداً منحه من مكارم الأخلاق، فالإنسان حينما يصوم يدع الطعام والشراب، يدع المباحات، يدع ما أبيح له طوال العام، فأي شيء أباحه الله له يدعه في الصيام، تقرباً

إلى الواحد الديان، والله عز وجل عندما ينهانا عن السرقة، والكذب، والغش، الأوامر واضحة جداً، لكن الله عز وجل يقول في بعض الأحاديث القدسية:

((كلُّ عملِ ابنِ آدمَ له إلا الصيامُ، فإنه لي وأنا أجْزِي به))

[أخرجه البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي والنسائي ومالك عن أبي هريرة]

الأستاذ جمال:

لماذا . سماحة الشيخ الدكتور محمد راتب النابلسي . الصيام بحدِّ ذاته الله عز وجل يجزي به؟

الصيام عبادة الإخلاص:

الدكتور راتب:

لأنه حينما تقول أستاذ جمال لابنك: نظف أسنانك، الأمر واضح، ادرس، الأمر واضح، نم باكراً، الأمر واضح، أما الطعام على الطاولة، والابن جائع، وهو ابنك، وطعامك حلال، تقول له: لا تأكل، فإذا كان مؤدباً أدباً عالياً، وإذا كان واثقاً من حكمتك يستجيب، لذلك نسبة العبودية في الصيام عالية جداً، لأن الله أمرك أن تترك الطعام وأنت بحاجة إليه.

الأستاذ جمال:

ولا أحد يعلم بترك هذا الطعام إلا أنت شخصياً.

الدكتور راتب:

شيء آخر دقيق جداً: أنت حينما تكون في البيت وحدك، والثلاجة فيها ماء بارد، والوقت حر لا يحتمل، والإنسان يكاد يموت من العطش، ما الذي يمنعه أن يشرب؟ مراقبة الله له، إذاً كأن الصيام عبادة الإخلاص، أي كأنك تكتشف إخلاصك لله، تكتشف أن الله معك، أن الله يراقبك، لا يمكن أن تعصيه، فكأن الله نمّا فينا العبودية له، لنترك الطعام والشراب، ونمّا فينا الإخلاص له، حينما نمتنع ونحن بالبيت وحدنا عن أن نضع قطرة ماء في فمنا.

الأستاذ جمال:

دكتور محمد راتب النابلسي، السؤال الذي يخطر في بالي الآن هو، وفي ندوتنا الرمضانية هذه، موضوع العادة والعبادة، أي أخشى ما نخشاه أن تتحول هذه العبادة إلى عادة، كيف يمكن أن نتخلص من موضوع العادة لنصل إلى حقيقة العبادة؟.

من صام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه:

الدكتور راتب:

والله الذي تخشاه وقع، هناك صيام كعادة من عاداتنا، صيام اجتماعي، لقاءات، سهرات، ندوات، مسلسلات، غيبة، نميمة، والجماعة صائمون، هذا الصيام عند الله مرفوض رفضاً كلياً، الصيام شهر عبادة، شهر استقامة، شهر ضبط العين، ضبط اللسان، شهر القرآن، شهر الإنفاق، شهر الصلة بالله، شهر قيام بالليل، شهر الإنابة إلى الله، شهر الخلوة مع الله، هذا شهر عبادة، لأن:

((من صام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه، ومن قام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه))

[أخرجه البخاري ومسلم وابن خزيمة عن عائشة أم المؤمنين]

إنسان عليه ديون بالملايين، أتيح له أن تطوى صفحة هذه الديون، شيء لا يقدر بثمن، وجميع المؤمنين في هذا الشهر أمامهم فرصة ذهبية، أن تزاح عنهم كل الذنوب التي كانت بينهم وبين الله.

بالمناسبة: ما كان بينك وبين الله العفو عنه سهل جداً، لأن حقوق الله مبنية على المسامحة، لكن ما كان بينك وبين العباد لا بد من الأداء أو المسامحة.

الأستاذ جمال:

إذاً نحن أمام هذه الجزئية التي تتفضل بها سماحة الشيخ موضوع حقوق الله عز وجل مبنية على المسامحة، أنا أتوجه إلى ربي عز وجل بلحظة صفاء، الله يتجلى ويمحو عني السيئات، لكن حقوق الناس مبنية على المشاححة، كيف نبين هذا الموضوع؟ وكيف نوجه نداء لكل من يأكل حق اليتيم، وحق الفقير، وحق الذي يؤتمن على أموال اليتامى؟ أي هذا الموضوع كيف نوضحه؟

الذنوب بين الناس لا تغفر إلا بالأداء أو المسامحة:

الدكتور راتب:

أنا أوجه نداءً لأخوتي المشاهدين أن الإنسان حينما يجود بنفسه، والجود بالنفس أقصى غاية الجودِ، الإنسان حينما يجود بنفسه هل من هناك عمل أعظم؟ قال عليه الصلاة والسلام:

((' يُغْفَرُ للشهيد كلُّ ذَنْب إلا الدَّيْنَ))

[أخرجه مسلم عن عبد الله بن عمرو بن العاص]

صحابي جليل خاض مع النبي المعارك تلو المعارك، ومات في المعركة، يقول: أعليه دين؟ فإن قالوا: نعم، يقول: صلوا على صاحبكم، شيء يقصم الظهر، حقوق العبادة مبنية على المشاححة، لذلك قال تعالى:

﴿ يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ ﴾

[سورة الأحقاف الآية:31]

أي بعض ذنوبكم، يغفر لكم الذنوب التي بينكم وبينه، أما الذنوب التي بينكم وبين العباد فلا تغفر إلا بإحدى حالتين: بالأداء، أو بالمسامحة.

حتى الأخوة الكرام لا يتوهمون أنهم إذا صاموا هذا الشهر، عليهم حقوق، عليهم ديون، هذه لا تسقط، لا تسقط أبداً إلا بالمسامحة أو الأداء، أما هذا الوهم أن نحن نصوم وكل الذنوب التي على كاهلنا والمتعلقة بالعباد تغفر، لا تغفر، لا يغفر إلا ما كان بينك وبين الله، أما ما كان بينك وبين العباد فهذه الذنوب لا بد من تؤدى أو أن أصحاب الحقوق يسامحونك بها.

الأستاذ جمال:

أي بعض الناس يذهب إلى الحج وطمعه بالحديث الشريف:

((رجع كيوم وَلَدَتْهُ أمُّه))

[أخرجه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي ومالك عن أبي هريرة]

يظن أن كل شيء قد انتهى.

الدكتور راتب:

فيما بينه وبين الله فقط.

الأستاذ جمال:

نتحول إلى حديث موضوع هذا الشهر المبارك، فيه الحنو على الفقير، فيه الغني الذي عليه أن يؤدي زكاة ماله، وزكاة المال حصن للمال وتحصين له، وهناك الفقير الذي ينتظر مساعدة هذا الغني، كيف نتحدث بدايةً عن موضوع الزكاة سماحة الشيخ؟.

الزكاة تؤخذ ولا تعطى و تتعلق بسلامة الوضع المالي في الأمة:

الدكتور راتب:

أستاذ جمال الزكاة لها آية في القرآن تعد أصلاً في الموضوع، قال تعالى:

﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ ﴾

[سورة التوبة الآية:103]

أستاذ جمال، نقف في هذه الآية عند كل كلمة، خذ: هذا خطاب للنبي الكريم، لكن العلماء قالوا: هذا خطاب للنبي لا على أنه نبي، ولا على أنه ولي أمر المسلمين بصفته الزمنية، هذا الخطاب يؤكد أن الزكاة تؤخذ ولا تعطى، لأنها نظام مالي تعد أصلاً في توزيع الثروات، لأن الشيء الخطير أن الكتلة النقدية التي هي بأيدي الناس، الحال الطبيعية التي أرادها الله أن تكون متداولة بين كل أيدي الأمة، فإذا جُمّعت هذه الكتلة النقدية بأيد قليلة وحرمت منها الكثرة الكثيرة كان الوضع خطيراً، كان الخلل كبيراً، كان الطريق مسدوداً إلى تقدم الأمة، لأن

بالزكاة تتعلق سلامة الوضع المالي في الأمة، بالزكاة تتعلق حقوق الفقراء، بالزكاة تتعلق واجبات الأغنياء، فلذلك هذه الزكاة ليست على مزاج المسلم، يدفع أو لا يدفع، الآية تقول:

﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ ﴾

هذه ناحية أولى.

وجوب الزكاة في جميع الأموال من دون استثناء لمن يملك النصاب:

لكن العلماء قالوا: الزكاة بعض المال، أي اثنان ونصف في المئة،

﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ ﴾ الحقيقة مصادرة الأموال كلها هذا الشيء ليس وارداً في نظام الزكاة، الزكاة تؤدى من المال جزء منه،

﴿ خُذْ مِنْ ﴾ لكن الأموال جاءت جمع، ما معنى الجمع هنا؟ أي أن الزكاة تجب في كل أنواع المال، حتى في الثروات الباطنية، زكاة الركاز، هذه ملك المسلمين جميعاً، فالذي عنده ثروات باطنية يجب أن يؤدي زكاتها، الإنتاج الزراعي عليه زكاة، العسل عليه زكاة، النقدان الفضة والذهب عليها زكاة، الزروع عليها زكاة، الورق عليه زكاة، العملات كلها عليها زكاة، المال:

﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ ﴾ المال: الشيء الذي له قيمة، ويباع، ويشترى، ويتداول، فتجب الزكاة في جميع الأموال من دون استثناء، حتى الإنتاج الزراعي، حتى الثروات الباطنية، حتى الأموال المنقولة والغير منقولة، حتى في الأنعام، فالزكاة تجب في جميع الأموال

﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ ﴾ لكن جاءت الأموال جمعاً، وجاء معها ضمير غائب الجمع، أي تؤخذ من جميع المسلمين من دون استثناء، ليس في الإسلام إنسان معفى من هذه الفريضة، لكن كلمة ضريبة متعلقة

بالضرب، وقد يكون قاسياً، أما الزكاة من التزكية، فالآية تقول:

﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً﴾

تأكد:

أن من خلال الكلمات التي سبقت الصدقة أن الزكاة فرضت على كل المسلمين من دون استثناء، من كان يملك النصاب طبعاً، وأن الزكاة تجب في جميع الأموال، وأن الزكاة فرضت على كل المسلمين من دون استثناء، لكن الله عز وجل أراد في هذه الآية أن يسميها صدقة، ما معنى صدقة هنا؟ الصدقة هنا تعني الزكاة، لكن الزكاة سميت صدقة لأنها تؤكد صدق الإيمان في الإنسان.

تناقض الطبع مع التكليف ثمن الجنة:

أستاذ جمال . بارك الله بك . بالإنسان طبع ومعه تكليف، الطبع يتناقض مع التكليف، فالإنسان طبعه أن يأخذ المال، والتكليف يقتضي أن ينفقه، طبعه يقتضي أن يبقى نائماً في الفراش، والتكليف يأمره أن يصلي الفجر في وقته، طبع الإنسان يقتضي أن يخوض في فضائح الناس، والتكليف يقتضي أن يصمت، فمن تناقض التكليف مع الطبع يكون ثمن الجنة، ولأن المال محبب:

﴿ وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبّاً جَمّاً ﴾

[سورة الفجر]

كما قال الله عز وجل، وقد قال الله عز وجل:

﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾

[سورة آل عمران الآية:14]

فلأن المال محبب كان إنفاقه قربة إلى الله، لأن المال محبب:

﴿ لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ ﴾

[سورة آل عمران الآية:92]

كان إنفاقه قربة إلى الله جلّ جلاله، فلذلك سمى الله الزكاة هنا صدقة لأنها تؤكد صدق الإنسان في معرفة الواحد الديان.

الزكاة تطهر المعطي من الشح والآخذ من الحقد:

الآن بدأنا ندخل في صلب الموضوع

﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا ﴾

أستاذ جمال هناك أمراض وبيلة، أمراض عضالة، أمراض مميتة، كالورم الخبيث، كالاحتشاء في القلب، كالخثرة في الدماء، أنا أؤكد لك أن هناك أمراضاً تصيب النفس لا تقل عن أمراض الجسم، أكبر هذه الأمراض الشح:

﴿ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾

[سورة الحشر]

الزكاة تطهر الغني من الشح، ماذا يقابل الغني المترف؟ فقير معدوم، الفقير حاقد، يرى الغني بمركباته، ببيوته، بقصوره، بطعامه، بشرابه، باستكباره، بعلوه، يحقد، فحينما يؤدي الغني زكاة ماله، ما الذي يحصل؟ يطهر الفقير من الحقد، فكأن الزكاة طهرت المعطي والآخذ، طهرت المعطي من الشح، وطهرت الآخذ من الحقد.

الزكاة تنمي نفس الغني بحيث يرى أنه أحد أركان المجتمع:

لكن النقطة الدقيقة جداً: أن هذا التطهير يعم المجتمع كله، فالإنسان حينما يعطي من ماله الذي جمعه من كسب حلال لهؤلاء الفقراء تنشأ المودة، بين أن يكون الفقير حاقداً وعدواً وبين أن يكون الفقير محباً وحارساً، اختلف الوضع اختلافاً كلياً، بالزكاة يتماسك المجتمع، فأولاً قال عليه الصلاة والسلام:

((برئ من الشح من أدى زكاة ماله))

[أخرجه الطبراني عن جابر بن عبد الله]

وللحديث تتمة:

((من أكثر ذكر الله فقد برئ من النفاق))

[أخرجه الطبراني في الصغير عن أبي هريرة]

((وبرئ من الكبر من حمل حاجته بيده))

[رواه القضاعي والديلمي عن جابر مرفوعا وهو عند ابن لال عن أبي أمامة. وفي لفظ بضاعته بدل سلعته، والشرك بدل الكبر، قال ابن الغرس ضعيف]

فالآية تقول:

﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا ﴾

أما التزكية، لو سمحت لي، الغني حينما يؤدي زكاة ماله يشعر بنمو في نفسه، رأى أنّ ماله حلّ مشكلة الفقراء، رأى ابتسامة الأطفال على وجوههم وعلى محياهم، رأى هذه الأسر تماسكت، حينما يؤدي الغني زكاة ماله ينعش الفقير فهو تنمو نفسه.

أستاذ جمال، حجمك عند الله بحجم عملك الصالح، والغنى والفقر بعد العرض على الله، والذي يقدم من ماله للفقراء يشعر أن الله يحبه، تنمو نفسه، تنمو مشاعره، يصبح أقرب إلى الله، فالزكاة فضلاً عن أنها تطهر الغني

من الشح، تنمي نفس الغني، تنميه بحيث يرى أنه أحد أركان المجتمع.

الأستاذ جمال:

دكتور راتب ، هناك قضية هامة جداً، نعمة العطاء أحلى وأجمل وأمتع من نعمة الأخذ، أي هكذا ربيت النفس الإنسانية.

قيمة الإنسان عند الله لا بقدر ما يأخذ بل بقدر ما يعطي:

الدكتور راتب:

والله لا بدّ من تعليق . جزاك الله خيراً . يمكن أن ترى أنّ على رأس الهرم البشري زمرتان؛ الأنبياء والأقوياء، الأنبياء أعطوا ولم يأخذوا، الأقوياء أخذوا ولم يعطوا، الأنبياء ملكوا القلوب، الأقوياء ملكوا الرقاب، الأنبياء يمدحون في غيبتهم، الأقوياء في حضرتهم، الأنبياء عاشوا للناس، والأقوياء عاش الناس لهم، والناس جميعاً تبع لقوي أو نبي، بمعنى أن الصائم حينما يؤدي زكاة ماله هو من أتباع الأنبياء، والأنبياء أعطوا ولم يأخذوا. أستاذ جمال، في اللغة العربية صفة اسمها أريحي، الأريحي هو الذي يرتاح للعطاء، وأنا أقول لك بصدق: إن قيمة الإنسان عند الله لا بقدر ما يأخذ بل بقدر ما يعطي، بل قيمة الإنسان بالمجتمعات كلها بقدر ما يعطي، فالمؤمن يعطي لأن الله عز وجل قال:

﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى * وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى ﴾

[سورة الليل]

هذا المؤمن صدق أنه مخلوق للجنة، فلما صدق أنه مخلوق للجنة اتقى أن يعصي الله خوفاً منه، و بنى حياته على العطاء، يعطي من وقته، يعطي من ماله، يعطي من خبرته، يعطي من علمه، يعطي من جاهه، المؤمن

بنى حياته على العطاء، التعبير المعاصر إستراتيجية العطاء، بينما غير المؤمن بنى حياته على الأخذ، فأنت ما الذي يسعدك أن تعطي أم أن تأخذ؟ اكتشف نفسك، حينما ترى أنك تسعد بالعطاء فأنت مؤمن ورب الكعبة.

الأستاذ جمال:

تختتم حديثنا دكتور محمد راتب النابلسي بكلمات موجزة عن صدقة الفطر، كيف تؤدى؟ متى تؤدى؟ من فرضت عليه صدقة الفطر؟.

صدقة الفطر:

الدكتور راتب:

الحقيقة أن هذه الصدقة عجيب أمرها، تجب على كل مسلم يملك قوت يومه، الذي عنده وجبة طعام واحدة تجب عليه زكاة الفطر، لماذا؟ قال: لأن الله أراد أن نذوق طعم الإنفاق ولو كنا فقراء، الإنفاق له طعم رائع جداً، ولا يعرفه إلا من ذاقه، فكأن الله أرادنا أن نذوقه في العام مرة، أنت فقير أنفق، والذي يعطي يأخذ أيضاً، أي الفقير يعطي ويأخذ، لكن هذه الصدقة طُهرة للصائم من اللغو أو الرفث، مثلاً: نظرة لم تكن مقصودة، أو كلمة لم تكن مقصودة، كلمة أو نظرة طُهرة للصائم من اللغو أو الرفث، وطعمة للمسكين، تجب حتى على الفقراء الذين يملكون قوت يومهم، الله أراد من زكاة الفطر أن يذوق المسلم ولو كان فقيراً طعم الإنفاق، الإنفاق شيء مسعد.

الأستاذ جمال:

على مبدأ كما قال الإمام الشافعي:

يغطى بسماحة كل عيب وكم عيب يغطي السخاء

***

فالسخاء نعمة لا يعرفها .كما تفضلت سماحتك . إلا من يعيشها، موضوع صدقة الفطر سماحة الشيخ؟.

صدقة الفطر تؤدى مالاً أو عيناً والأولى أن تؤدى عيناً:

الدكتور راتب:

لكن هناك نقطة دقيقة جداً يجب أن أنوه بها:

﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ ﴾

تزكية المال، المال ينمو بالزكاة، ينمو بقانون اقتصادي، أنت حينما وضعت بأيدي الفقراء كتلة نقدية، هذه أصبحت قوة شرائية، يعودون بها إلى السوق، ومن السوق إلى الصندوق، إذاً المال ينمو، والغني ينمو، والفقير ينمو، هي متعلقة بالقسم الأول، أما هذه الصدقة صدقة الفطر تؤدى مالاً أو عيناً، والأولى أن تؤدى عيناً.

الأستاذ جمال:

يحل الفقير مشكلته خاصة أيام قادمة ويكون العيد بيننا، ماذا تقول في ختام الحديث وبكلمات أيضاً موجزة سماحة الشيخ أنه: ماذا بعد رمضان؟ صمنا مدرسة الثلاثين يوماً، ماذا يترتب علينا بكلمات؟.

بطولة الإنسان أن يرقى برمضان رقياً نوعياً:

الدكتور راتب:

هذه البطولة أن ترقى برمضان رقياً نوعياً، أن تتابع هذا الرقي بعد رمضان، كل رمضان نرقى رقياً نوعياً، أما إذا عاد المرء بعد رمضان كما كان قبل رمضان ما استفاد إطلاقاً، الصيام موضوع تنمية، تنمية إيمانية، تنمية نفسية، والتنمية حبّ لله، وبالتعبير الدقيق كأنه درج في كل رمضان نرتقي درجة، أما إذا عدنا بعد رمضان إلى ما كنا عليه فهذه الحكمة البالغة ألغيت.

الأستاذ جمال:

إذاً نقول رمضان كما بدأنا شهر الحب، والخير، والحنان، والعطاء، والقرب إلى الله عز وجل، وتزداد الشكيمة بين الناس حباً لمجتمع نحن نسعد أن يكون قوياً معافى.

الدكتور راتب:

شهر القرآن شهر قيام الليل، شهر صلاة الفجر في المسجد، شهر غض البصر، شهر ضبط اللسان، شهر الحب، وشهر نسيان الضغائن، وشهر الزكاة، وشهر الصدقات.

خاتمة و توديع:

الأستاذ جمال:

نسأل الله عز وجل التوفيق، والقبول، اللهم تقبل صيامنا، وصلاتنا، وركوعنا، واجعل ذلك في صحيفة أعمالنا يوم نرقى.

شكري الجزيل لسماحة الشيخ الدكتور محمد راتب النابلسي، الداعية الإسلامية التي أفاض بإيجاز وأوضح خلال ثلاثين دقيقة، فعلاً استفدنا شكراً سيدي.

والحمد لله رب العالمين

ندوة (14) : دعاء بمناسبة عيد المولد النبوي الشريف

بسم الله الرحمن الرحيم

أيها الإخوة الكرام ؛ السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آل بيته الطيبين الطاهرين ، وعلى صحابته الغر الميامين ، وأمناء دعوته ، وقادة ألويته ، وارضَ عنا وعنهم يا رب العالمين .

يا رب

يا رب أنت غنى كل فقير، وعزة كل ذليل ، وقوة كل ضعيف ، ومفزع كل ملهوف فحاشى يا رب أن نفتقر في غناك ، وأن نضل في هداك ، وأن نذل في عزك ، وأن نضام في سلطانك ، فما من مخلوق يعتصم بك من دون خلقك فتكيده أهل السماوات والأرض إلا جعلت له من بين ذلك مخرجا ، وما من مخلوق يعتصم بمخلوق دونك إلا جعلت الأرض هوياً تحت قدميه وقطعت أسباب السماء بين يديه.

يا ربي

يا ربي أخرجنا من ظلمات الجهل والوهم ، إلى أنوار المعرفة والعلم ، ومن وحول الشهوات ، إلى جنات القربات .

يا سيدي

وأنت يا سيدي يا رسول الله، يا صاحب الذكرى، يا من جئت الحياة فأعطيت ولم تأخذ، يا من قدست الوجود كله، ورعيت قضية الإنسان، يا من زكيت سيادة العقل، ونهنهت غريزة القطيع، يا من هيأك تفوقك لتكون فوق

الجميع، فعشت واحداً بين الجميع، يا من أعطيت القدوة، وضربت المثل، وعبدت الطريق، يا من كانت الرحمة مهجتك، والعدل شريعتك، والحب فطرتك، والسمو حرفتك، ومشكلات الناس عبادتك.

يا سيدي يا رسول الله أشهد أن الذين بهرتهم عظمتك لمعذورون، وأن الذين افتدوك بأرواحهم لهم الرابحون، أي إيمان، وأي عزم، وأي مضاء، وأي صدق، وأي طهر، وأي نقاء أي تواضع، وأي حب، وأي وفاء!.

يوم كنت طفلاً يا سيدي يا رسول الله عزفت عن لهو الأطفال، وعن ملاعبهم، وعن أسمارهم، وكنت تقول لأترابك إذا دعوك إلى اللهو: أنا لم أُخلق لهذا.

ويوم جاءتك رسالة الهدى وحُملت أمانة التبليغ، وقد قلت لزوجتك، وقد دعتك إلى أخذ قسط من الراحة: انقضى عهد النوم يا خديجة.

ويوم فتحت مكة التي آذتك، وأخرجتك، وكادت لك، وائتمرت على قتلك، ولقد ملئت راياتك الأفق ظافرة عزيزة، قلت لخصومك بالأمس: اذهبوا فأنتم الطلقاء.

ويوم دانت لك الجزيرة العربية من أقصاها إلى أقصاها و:

﴿ جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ﴾

(سورة النصر)

ودخل الناس :

﴿ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجاً ﴾

(سورة النصر)

صعدت المنبر واستقبلت الناس باكياً، وقلت لهم باكياً: من كنت جلدت له ظهراً فهذا ظهري فليقتد منه، ومن كنت أخذت له مالاً فهذا مالي فليأخذ منه، ولا يخشى الشحناء فأنها ليست من شأني، ولا من طبيعتي.

اللهم انصرنا على أنفسنا، حتى ننتصر لك، حتى نستحق أن تنصرنا على أعدائنا.

اللهم اجعل هذا البلد آمناً، مطمئناً سخياً، رخياً، مستظلاً بظل كتابك، ملتزماً بهدي نبيك محمد ﷺ وسائر بلاد المسلمين.

يا ربي إن أعداءك وأعداءنا يقولون كما قالت عاد من قبل:

﴿ مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً ﴾

(سورة فصلت الآية: 15)

يا ربي لقد غاب عنهم بغرورهم أنك أشد منهم قوة.

اللهم إنا نسألك بدموع الأطفال وبكائهم، وبخشوع الشباب وتضحياتهم، وببطولة الشابات واستشهادهن، وبصلاح الأمهات ووعيهن، وبركوع الشيوخ ودعائهم.

اللهم إنا نسألك باستغاثة المستغيثين، والتجاء الملتجئين، وتسبيح المسبحين، وحمد الحامدين، ألا تتخلى عنا، ومنا من يفعل ما نستحق أن تتخلى عنا، يا رب العالمين، لا تكلنا إلى أنفسنا طرفة عين، ولا أقل من ذلك، وأصلح لنا شأننا كله يا كريم.

اللهم إنك أنت القائل:

﴿ وَكَانَ حَقّاً عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾

(سورة الروم)

فإن كنا يا رب لا نستحق أن تنصرنا بعدلك فانصرنا برحمتك، وإن كنا لا نستحق أن تنصرنا استحقاقاً فانصرنا تفضلاً.

نسألك اللهم بوعدك الذي وعدته على ذاتك العلية، نسألك اللهم بإيماننا بك أن تنتصر لنا، وأن تنتصر لإخوتنا في العراق وفلسطين، وفي كل بلاد المسلمين، وأن ترد عنهم كيد الكائدين، عاجلاً غير آجل، بما شئت وكيف شئت يا رب العالمين.

اللهم وفق ولاة المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها فيما تحب وترضى، اللهم وفق بينهم، ووحد كلمتهم، واجمعهم على الحق والخير والهدى.

والحمد لله رب العالمين

ندوة (15) : ندوة رمضان – وما خلقت الجن والأنس إلا ليعبدون

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة:

الأستاذ علاء :

أيتها السيدات! أيها السادة المشاهدون! سلام الله عليكم، ورحمته، وبركاته، وبارك الله صيامكم، ومرحباً وأهلاً بكم في هذه الندوة الرمضانية.

أخواتي و أخوتي: هنالك الكثير الذين يتساءل عن حقيقة سرّ وجوده وعيشه على هذه البسيطة، وعن البساط في الحاضنة والكون، خدمة وتكريماً له و للإنسانية جمعاء، وإذا ما أدرك الإنسان كنه سرّ وجوده، وعمل بمقتضاه، ماذا يمكن أن يكون؟ وما هي ثمار ذلك عليه أولاً وعلى المجتمع وعلى الإنسانية جمعاء إذا علمنا يقيناً أن غاية وجودنا هي عبادة الله الخالق سبحانه وتعالى؟ يقول الله عز وجل:

﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾

[سورة الذاريات: 56]

عن العبادة، ومفهومها، وأنواعها، وصنوفها، واختلافها باختلاف مهمات العابدين تتحدث ندوتنا هذه، ويسعدني أن أكون بمعية فضيلة الأستاذ الشيخ بشير عيد الباري مفتي دمشق، وأستاذنا الدكتور محمد راتب النابلسي أستاذ الإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة، أهلاً بكم.

الدكتور راتب:

بكم أستاذ علاء جزاك الله خيراً.

الأستاذ علاء:

تسمح لي سيدي أن أبتدئ عند أستاذنا وشيخنا الأستاذ الشيخ بشير، كيف نُعرّف العبادة؟

الإنسان إذا علم أنه خلق للعبادة سارع إليها:

الأستاذ الشيخ بشير عيد الباري:

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، وصلِّ اللهم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين. بادئ ذي بدء: أريد أن أبارك للمشاهدين والمشاهدات بحلول شهر رمضان، تقبل الله صيامنا وصيامكن جميعاً، وقد بدأت يا أستاذ علاء بأن الإنسان في هذا الوجود يجب عليه أن يعلم لمَ خلق؟ ولأي شيء خلق؟ لو كان خلقه كبقية المخلوقات لما تميز خلقه، ولقد قال الله عز وجل:

﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آَدَمَ ﴾

[سورة الإسراء: 70]

وهذا التكريم إنما هو بالتكليف الذي كلفه الله عز وجل بالعبادة، ولذلك قال تعالى:

﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِي*مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعِمُونِي*إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴾

[سورة الذاريات: 56-58]

فإذا علم الإنسان أنه خلق للعبادة سارع إليها، هناك أناس لا يعلمون من الحياة وخلقهم إلا أنهم يأكلون، ويشربون، ويأتون الشهوات، وحسب، على حدِّ قول القائل: إنما الدنيا طعام وشراب، فإذا فاتك شيء فاتك الخير كله، فعلى الدنيا السلام، هذا مفهوم الماديين، أما مفهوم الذي عرف الله، وعرف لما خلق، وعرف وعلم أن الله عز وجل قد أسبغ عليه نعماً كثيرة ظاهرة وباطنة، هذه النعم ربما علمنا منها، وربما لم نعلم عنها شيئاً، فلذلك هو يشكر الله عز وجل على هذا الخير، وعلى هذا العطاء.

التدرج في العبادة حتى يتقبل الإنسان التكاليف:

الإنسان في هذا الوجود مكلف بتكاليف بعد أن منّ الله عليه بنعمة الإسلام، وكلمة لا إله إلا الله محمد رسول الله، وهي الركن الأول من أركان الإسلام، هذه تجبره وتفهمه على أنه عبد لله، إذا أقررت لله بالعبودية، وأقررت لرسول الله بالرسالة، عليك أن تلتزم بحق هذه الشهادة، لا تزال لا إله إلا الله تنفع صاحبها ما لم يستخف بحقها، ولذلك عندما أتى الأعرابي إلى النبي عليه الصلاة والسلام وشهد بين يديه بلا إله إلا الله ومحمد رسول الله، قال: هل عليّ غيرها؟ أراد الرسول أن يتدرج مع هذا الأعرابي، قال: إلا أن تصلي خمس صلوات في اليوم والليلة، قال هل عليّ غيرها؟ قال: إلا أن تخرج الزكاة في موعدها، هكذا يعلمنا الإسلام التدرج، ولذلك على المرء الذي يرعى عائلة، وعلى الأم التي ترعى أبناءها ونساءها، عليها أن تتدرج في العبادة معهم شيئاً فشيئاً، حتى يتقبلوا هذه التكاليف:

﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾

[سورة طه:132]

هذا الإله المنعم الذي أنعم علينا بهذه النعم:

﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴾

[سورة التين: 4]

﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ* خُلِقَ مِنْ مَاءٍ دَافِقٍ* يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ* إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ ﴾

[سورة الطارق: 5-8]

وهكذا:

﴿ أَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقاً أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا* رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّاهَا ﴾

[سورة النازعات: 27-28]

فَانْظُرْ لِنَفْسِك ثُمَّ انْتَقِلْ لِلْعَالَمِ الْعُلْوِيّ ثُمَّ السُّفْلِيّ تَجِدْ بِهِ صُنْعًا بَدِيعَ الْحُكْمِ لَكِنْ بِهِ قَامَ دَلِيلُ الْعَدَمِ.

الأستاذ علاء:

سيدي الأستاذ الدكتور محمد راتب، الزّجاج يقول في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾، قال: ما خلقتهم إلا لأدعوهم إلى عبادتي، وأنا مريد للعبادة منهم. كيف نفهم معنى العبادة؟ وعندما نفهم معنى العبادة ماذا يترتب على ذلك؟

تعريف العبادة:

الدكتور راتب:

بسم الله، والحمد لله، والصلاة والسلام على سيدنا محمد، وعلى آل بيته الطيبين الطاهرين،أستاذ علاء جزاك الله خيراً.

بادئ ذي بدء: الإنسان كائن متحرك ليس سكونياً، لمَ هو متحرك؟ لأن الله عز وجل أودع فيه حاجة إلى الطعام حفاظاً على بقائه، أودع فيه حاجة إلى الطرف الآخر حفاظاً على بقاء نوعه، أودع فيه حاجة ثالثة، حاجة التفوق حفاظاً على بقاء ذكره، فهذه الحاجات الثلاثة تجعله كائناً متحركاً، ولهذا الخالق العظيم تعليمات التشغيل

والصيانة لهذا الإنسان، الإنسان أعقد آلة في الكون، وله صانع حكيم، ولهذا الصانع الحكيم تعليمات، إذا جاءت حركة هذا الإنسان وفق منهج الله فقد عبده، إن جاءت حركة هذا الإنسان حفاظاً على بقائه كفرد، وحفاظاً على بقاء النوع عن طريق الزواج، وحفاظاً على بقاء الذكر عن طريق التفوق، إذا لبى هذه الحاجات الثلاثة معاً تفوق، فإذا جاءت هذه التربية وفق تعليمات الصانع، الجهة الوحيدة التي ينبغي أن تتبع تعليماتها هي الجهة الصانعة لأنها الجهة الخبيرة، قال تعالى:

﴿ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴾

[سورة فاطر: 14]

فحينما تأتي حركتي اليومية وفق منهج الله الذي رسمه صانع هذا الإنسان، أكون قد عبدت الله عز وجل، لذلك في تعريفات العبادة أنها: طاعةٌ طوعية وليست قسرية، لأن الله عز وجل مع أنه خالقنا ومع أننا في قبضته، ما أراد أن تكون علاقتنا به علاقة إكراه، قال تعالى:

﴿ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ ﴾

[سورة البقرة: 256]

أراد أن تكون علاقتنا به علاقة حب، قال تعالى:

﴿ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ ﴾

[سورة المائدة: 54]

إذاً هي طاعة ليست قسرية لكنها طوعية، ممزوجةً بمحبةٍ قلبية، فما عبد الله من أطاعه ولم يحبه، وما عبد الله من أحبه ولم يطعه، طاعة طوعية، ممزوجة بمحبة قلبية، أساسها معرفة يقينية، تفضي إلى سعادة أبدية.

العبادة هي غاية الحب لله مع غاية الخضوع له:

في هذا التعريف جانب سلوكي، وجانب سببي، وجانب جمالي، أولاً السلوك هو الأصل، نحن يمكن أن نضغط نشاطات التجارة كلها بكلمة واحدة إنها الربح، فإن لم تربح فلست تاجراً، الآن يقال: هل يمكن أن أضغط نشاطات الدين كلها بكلمة؟ إنها الاستقامة، فإن لم تستقم لن تقطف من ثمار الدين شيئاً، يبقى الدين فلكلوراً عادات، تقاليداً، تراثاً، يبقى الدين خلفية إسلامية، أرضية إسلامية، تصوراً إسلامياً، اهتمامات إسلامية، الدين هو التطبيق فما لم نستقم على أمر الله لن نستطيع أن نقطف من ثمار الدين شيئاً، إذاً هي حركة، لكن وفق منهج الله. هذه العبادة معنى عبده أي أطاعه، هي غاية الحب مع غاية الخضوع، هي طاعة طوعية، ممزوجة بمحبة قلبية، أساسها معرفة يقينية، تفضي إلى سعادة أبدية.

هناك جانب معرفي، وجانب سلوكي، وجانب جمالي، المعرفي هو السبب، والسلوكي هو الأصل، والجمالي هو النتيجة.

فلو شاهدت عيناك من حسننا الذي رأوه لما وليت عنا لغيرنا ولو سمعت أذناك حسن خطابنا خلعت عنك ثياب العجب وجئتنا.

ولو ذقت من طعم المحبة ذرة عذرت الذي أضحى قتيلاً بحبنا ولو نسمت من قربنا لك نسمة لمت غريباً واشتياقاً لقربنا ولو لاح من أنوارنا لك لائحٌ تركت جميع الكائنات لأجلنا.

***

الأستاذ علاء:

رسيدي الكريم من خلال هذا الفهم للعبادة، وعلة الوجود من أجل العبادة، إذاً عندما يصل الإنسان إلى هذه الحالة بينه وبين ربه وتكون الصلة مباشرة، هذا يفضي إلى شيء في الحياة على نفسه وأسرته ومجتمعه.أ

وامر الدين ليست حداً لحرية الإنسان ولكنها ضمان لسلامته:

الدكتور راتب:

أستاذ علاء الشيء الدقيق أن مدينة مثل باريس مدينة كبيرة، فيها مسارح، فيها دور سينما، فيها حدائق، فيها جامعات، فيها معامل، فيها بيوت للسكن، إنسان ذهب إلى هذه المدينة كي ينال الدكتوراه نقول: علة وجوده الوحيدة في هذه المدينة نيل الدكتوراه، أنا أقول لك قياساً على هذا المثل: وعلة وجودنا في الأرض عبادة الله، لكن العبادة لا نفهمها فهماً ضيقاً بل نفهمها فهماً شمولياً؛ الخضوع لمنهج الله التفصيلي، إذا فهمنا أن علة وجودنا في الأرض أن نعبد الله، ينبغي أن نقيم الإسلام في أنفسنا أولاً، وفي بيوتنا ثانياً، وفي أسرتنا وأولادنا، وفي أعمالنا، أنت حينما تتحرك في بيتك وعملك، وفي نشاطاتك، وفي أوقات فراغك، وفي كل أهدافك، وفق منهج الله، فأنت عبد لله، وأنت مطيع له، ومنهج الله عز وجل منهج علمي، بمعنى أن العلاقة بين الأمر وبين نتيجته علاقة علمية، أي علاقة سبب بنتيجة، كي أوضحها إنسان يركب مركبة معه عشرة طن، مرّ على جسر كتب عليه أقصى حمولة خمسة طن، فإذا تلفت هل هناك شرطي يراقبني يكون أحمقاً، الجسر يحاسبه سوف يسقط، أنت حينما ترى أن العلاقة بين الأمر الإلهي ونتيجته علاقة علمية، علاقة سبب بنتيجة، تكون فقيهاً، فلذلك أنا أدعو أخوتي المشاهدين إلى فهم الدين هذا الفهم.

تمشي في الفلاة فإذا بلوحة كتب عليها حقل ألغام ممنوع التجاوز، أيها الإنسان إذا قرأت هذه اللوحة هل تشعر بحقد على من وضعها؟ لا، تشعر بامتنان، هل ترى هذه اللوحة قيداً لحريتك أم ضماناً لسلامتك؟ أنت حينما تؤمن أن كل أوامر الدين ليست حداً لحريتك ولكنها ضمان لسلامتك كلوحة ممنوع التجاوز حقل ألغام، تكون فقيهاً.

الله عز وجل ما خلق الإنسان إلا ليرحمه و يسعده في الدنيا و الآخرة:

النتيجة الطبيعية لفهم العبادة كما أراد الله أن أتحرك في علاقتي مع نفسي، في علاقتي مع زوجتي، مع أولادي، في علاقتي في عملي، في أوقات فراغي، أن أتحرك وفق منهج الله، حتى أحقق الهدف الذي من أجله خلقت، خلقت للسعادة، والدليل:

﴿ إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ ﴾

[سورة هود:119]

خلقنا ربنا ليرحمنا، خلقنا ليسعدنا، عندما يقصر الطالب في أداء واجبه، ويتلقى تأديباً من أستاذه يقول بعقلية ساذجة: هذا المعهد خلق لتعذيبنا، لا، هذا المعهد صنع لتخريج قادة للأمة، أما حينما أخطأ أحد الطلبة فتلقى عقاباً، أنت حينما ترى أن بعض المصائب تعني أن الحياة كلها متاعب، قال تعالى:

﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾

[سورة الذاريات: 56]

﴿ إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ ﴾

[سورة هود:119]

خلقهم ليرحمهم.

الأستاذ علاء :

أستاذ بشير، الآن تحدثنا عن فهم: العبادة سر الوجود، لماذا وجد الإنسان على هذه الأرض واستخلفه الله في الأرض وحمله رسالة؟ الآن المفهوم العامي الذي يسود سواد الناس بأن العبادة هي الصلاة، والصيام، والحج، والزكاة، هل العبادة تنحصر في هذه الموضوعات أم أن العبادة تشمل كل حركة وسكون للإنسان على هذه الأرض؟

العبادة تشمل كل حركة وسكون للإنسان على هذه الأرض:

الأستاذ الشيخ بشير عيد الباري:

الذي تفضلت به أستاذ علاء هي أركان الإسلام، والأركان يقوم عليه البنيان، وهذا البنيان متشعب الفروع، فأركان الإسلام كما ورد في الحديث:

((بني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله، وإقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة، وحج البيت، وصوم رمضان))

[متفق عليه عن عبد الله بن عمر]

الركن الأول الإتيان بالشهادتين، ويبنى بعد الإتيان بالشهادتين هذا البناء الراسخ، وهذه الأسس المتينة، ثم بعد ذلك تأتي الفروع، لا إله إلا الله لا تزال ترفع صاحبها ما لم يستخف بحقها، الاستخفاف بحقها أن نترك الصلاة، الاستخفاف بحقها أن ندع الزكاة، الاستخفاف بحقها أن نترك الصيام، وبعض الناس يعتذرون في رمضان أن هناك فحوصاً و أموراً لا يقدرون على الصيام فيها، هذه معاذير لا يقبلها الله عز وجل، والفقهاء فتحوا أبواباً وقالوا: الذي يكلف بمشقة شديدة لا تطاق عليه أن يبيت النية صباحاً، ثم بعد ذلك يبقى في صيامه، فإذا أرهقه

الصيام ولم يستطع الإتمام أفطر: ﴿ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ﴾، ثم بعد ذلك الحج، نحن نرى أن هذه التكاليف الشرعية فيها ترابط لهذا المجتمع، هذا الترابط ينتج عنه التعاون، ثم بعد ذلك يحسب أكثر الناس والعوام إنما هذا الدين صلاة، وصيام، وحج، وزكاة، فقط، مفهوم العبادة أوسع وأشمل، رعايتي لعائلتي عبادة، الزارع في مزرعته عندما يكون فيها عبادة، الصانع في مصنعه عندما يخلص في إنتاج صنعه عبادة، الفلاح عندما يحرث الأرض عبادة، الصدق عبادة، الكذب حرام، التعاون عبادة، العطاء حلال وهكذا، نحن تميزنا بأخلاق، وأخلاق الله عز وجل يأمرنا رسول الله ﷺ أن نتخلق بها، فكل كمال ينسب إلى الله عز وجل ينبغي أن نتمثل به، ورسول الله قد تمثل بأخلاق الله عز وجل، فهو الصادق الأمين، وهو كل خلق صدر عنه إنما هو في أعلى المستويات.

الإسلام حينما يأمر بالصيام يأمر بالخلق الكريم وسعة الصدر والأخلاق العالية:

بايع رجل رسول الله فأعطاه النبي جزءاً وبقي جزء من المال عنده، فقال: ابقَ في مكانك وأنا سآتيك بهذا المبلغ، فذهب هذا الرجل، ونسي موعد رسول الله ﷺ، وتذكره بعد ثلاثة أيام فأتى إلى المكان الذي تعاقدا عليه فوجد النبي عليه الصلاة والسلام في مكانه، لو كانت مع أحدنا لأرغى وأزبد، ما كان من رسول الله إلا أن قال له يا هذا لقد شققت علي، أنا هنا منذ ثلاثة أيام، هذه أخلاق نبوة، أخلاق سيد الأنبياء، فلماذا نحن لا نكون في شهر رمضان على أفضل حال مع أن بعض الناس يجعلونه موسماً للغضب، وأن الصيام مدعاة إلى الغضب، وإلى السخط، هذا لا يجوز في شرع الله، إنما الإسلام حينما يأمر بالصيام يأمر بالخلق الكريم، بسعة الصدر، بالعطاء، بالأخلاق العالية الرفيعة، لذلك وصف الله عز وجل عباد الرحمن بقوله:

﴿ وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْناً وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَاماً ﴾

(سورة الفرقان: 63)

حتى إن كثيراً من الناس حين يرون في رمضان بعضهم يسخط يقول: اعذره إنه صائم، وكأن الصيام مدعاة إلى الخلق السيئ، لا، إن الخلق الرفيع في الصيام، سعة الصدر في الصيام، كل خلق كريم ينسب إلى رسول الله ﷺ علمنا أن نوسع صدورنا في عائلتنا، في أولادنا، في خدمنا، في كل عمل نعمله في هذه الحياة.

الأستاذ علاء:

سيدي تأسيساً على اتساع مربع ومفهوم العبادة أنها لا تقتصر على الصيام، والصلاة، والزكاة، والحج، هل للعبادة أنواع تخصصية مرتبطة بمهمات موكولة إلى شرائح بشرية معينة؟

من استقام على أمر الله أصبح الطريق بينه و بين الله عز وجل سالكاً:

الدكتور راتب:

أستاذ علاء أريد أن أعلق تعليقاً سريعاً وهو أن الإنسان حينما يستقيم على أمر الله في رمضان مثلاً يشعر أن الطريق بينه وبين الله سالك، صار هناك خط مفتوح مع الله عز وجل:

﴿ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ ﴾

[سورة العنكبوت: 45]

الآن تأتي الصلاة:

﴿ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾

[سورة العنكبوت: 45]

نهي وازع لا نهي رادع، هناك فرق كبير، بين نهي الرادع ونهي الوازع، قال علماء التفسير: ذكر الله أكبر ما فيها.

من ذكره الله منحه الأمن و الطمأنينة و الحكمة و الرضا:

لكن لابن عباس . رضي الله عنه . ملمح رائع جداً يقول: ذكر الله لك أيها المصلي وأنت في الصلاة أكبر من ذكرك له. إنك إن ذكرته أديت واجب العبودية، لكنه إذا ذكرك . الشاهد . منحك الأمن:

﴿ فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ * الَّذِينَ آَمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ ﴾

[سورة الأنعام: 81-82]

إذا ذكرك منحك الرضا، أن ترضى عن حياتك، وعن عقيدتك، وعن دينك، وعمن حولك، هذه حالة رائعة جداً، منحك الحكمة:

﴿ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيراً ﴾

[سورة البقرة: 269]

أنت بالحكمة تسعد بزوجة، أي زوجة، ومن دون حكمة تشقى بزوجة ولو أنها من الدرجة الأولى، بالحكمة تجعل العدو صديقاً، بالحكمة تتدبر أمرك بالمال القليل، ومن دون حكمة تبدد المال الكثير، فالحكمة، والرضا، والأمن، والتوفيق، والحفظ، هذه كلها من نتائج الصلاة، والصيام من أجل الصلاة، والحج من أجل الصلاة، والزكاة من أجل الصلاة، والصلاة من أجل الاتصال بالله، من ثمار هذه العبودية لله، من ثمار الخضوع لمنهج الله إحكام الصلة بالله، والصلاة عندئذ صلة بالله حقيقية، تشتق منها الكمال الإلهي، إن مكارم الأخلاق مخزونة عند الله تعالى، فإذا أحبّ الله عبداً منحه خلقاً حسناً.

لآن هناك شيء دقيق جداً يمنحك الأمن، يمنحك الرضا، يمنحك الحكمة، يمنحك الحفظ، يمنحك التوفيق، هذه ثمار الصلاة التي من أسبابها الصيام بالمعنى الواسع، هذا تعريف على الفقرة السابقة.

أنواع العبادة:

أما العبادة لها أنواع، وتختلف باختلاف شرائح الناس، طبعاً هناك عبادة قاسم مشترك بين الجميع، كل يصوم، ويصلي، ويحج، ويؤدي زكاة ماله، ويطبق منهج الله في الأرض مع من حوله، هذا المفهوم المشترك بين كل المسلمين، لكن أنت غني عبادتك الأولى إنفاق المال، وما جعلك الله غنياً إلا لتصل بغناك إلى أعلى درجات الجنة، المال قوة، أنت من؟ عالم؟ مهمتك إلقاء العلم، وألا تأخذك في الله لومة لائم، هذه العبادة الأولى، قال تعالى:

﴿ الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَداً إِلَّا اللَّهَ ﴾

[سورة الأحزاب: 39]

أنت قوي؟ عبادتك الأولى إحقاق الحق، وإبطال الباطل، إذا كنت بجرة قلم تحق حقاً، وتبطل باطلاً، أنا أقول كلمة دقيقة: ما جعل الله الغني غنياً إلا ليصل بغناه إلى أعلى درجات الجنة، وما جعل الله العالم عالماً إلا ليصل بإلقاء علمه إلى أعلى درجات الجنة، وما جعل الله القوي قوياً إلا ليسخر قوته ليكون في أعلى درجات الجنة، فللإنسان فرص عالية جداً كما قال النبي عليه الصلاة والسلام:

((المؤمن القويُّ خيْر وأحبُّ إلى الله من المؤمن الضعيف))

[مسلم عن أبي هريرة]

أستاذ علاء القوي خيارات الأعمال الصالحة أمامه لا تعد ولا تحصى، لذلك إذا كان طريق القوة سالكاً وفق منهج الله ينبغي أن تكون قوياً، أما إذا كان طريق القوة على حساب مبادئك وقيمك فالضعف وسام شرف لك.

الأستاذ علاء:

الآن سيدي كما نسمع هناك مجموعة من العبادات، هناك عبادة الهوية، عبادة الظرف، عبادة العصر، وهذا ينضوي تحت فقه الأولويات، كما تفضلت الغني العبادة الأولى إنفاق المال، والقوي إحقاق الحق، والعالم إلقاء العلم دون أن تأخذه في الله لومة لائم، كيف نتبين العبادات الأخرى؟

عبادة الظرف و عبادة العصر:

الدكتور راتب:

هناك عبادة الهوية تكلمنا عنها، الآن عبادة الظرف، أي عندك أب مريض . لا سمح الله . العبادة الأولى العناية بالأب، عندك ضيف، العبادة الأولى إكرام الضيف، عندك ابن في الشهادة الثانوية، العبادة الأولى تهيئة الجو لهُ، هذه عبادة الظرف، هناك فقر أحياناً، هناك سفر، هناك ظروف مستحدثة طارئة، فالعبادة بالمعنى الثاني عبادة الظرف، أن تؤدي واجبك وهذه عبادة الظرف، إذا كان لك أب مريض فأول عبادة قبل أن تذهب إلى زيد أو عبيد لتقنعه بالإسلام أول عبادة لك العناية بالأب، عندك ضيف العناية بالضيف، هذه عبادة الظرف. أيضاً عندنا عبادة ثالثة عبادة العصر، إذا أراد الطرف الآخر إفقارنا العبادة الأولى استصلاح الأراضي، وإنشاء السدود، واستخراج الثروات، وجمع الأموال، كي نقف أمام أعدائنا، هذه عبادة أيضاً، نوفر فرص عمل للشباب، نزوج الشباب، هذه أشياء مهمة، هذا من صلاح الدنيا، أنا حينما أرى أن الطرف الآخر يريد إفقارنا، أو يريد إذلالنا، أو إفسادنا، أو إضلالنا، هناك طرف آخر يراقب حياتنا، فالطرف الآخر أحياناً يريد إفقارنا، بكل حرب خليجية، تنتقل مئات المليارات من بلادنا إليهم، أو إضلالنا طرح الشبهات، يجب أن نوضح الأمور، أو إفساد

الشباب يجب أن نحصن الشباب، هناك ظروف كثيرة قد تطرأ على الأمة، هذه عبادة العصر.

الأستاذ علاء:

أي في مواجهة العولمة الظالمة التي تريدنا هوية، وأرضاً، وإمكانات، وتريدنا حقوقاً، لا بد من أن نقدم هذه العبادة ولا بد من أن تكون في سلم الأولويات.

على الإنسان تجنيد جميع الطاقات لخدمة أمته الإسلامية:

الدكتور راتب:

بحسب الظرف، الظرف العام يقتضي أن نجند الطاقات لخدمة هذه الأمة، أن نهيئ فرص عمل للشباب، أنا أقول: هذا الشاب أمامه تطرفين، هو يحتاج إلى فرصة عمل، يحتاج إلى زوجة، يحتاج إلى بيت، وما لم تلبّ هذه الحاجات للشباب، الشباب أمام تطرفين، تطرف تفلتي، إلغاء القيم، أو تطرف تشددي، التكفير ثم التفجير، أما حينما أسعى لتأمين فرص عمل للشباب، حينما أسعى لتأمين مساكن للشباب، حينما أسعى لتأمين زوجات للشباب، أنا ماذا أفعل؟ الطاقات الشابة وظفتها لخدمة الأمة.

الأستاذ علاء:

كما الوقود في داخل المحرك، ينضبط ويعطي قوة وخيراً.

الدكتور راتب:

نحن في كل عصر عندنا ظروف محيطة بنا، أحياناً يقتضي أن نستخدم كل طاقتنا للرد على هذه الظروف التي تتحدانا، أنا أقول: هذه العبادة مهمة جداً على مستوى الأمة، قال تعالى:

﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا ﴾

[سورة القصص: 4]

كل شيء يوحدنا، يذيبنا في بوتقة واحدة، لذلك أنا أقول: في عصر معين، عصر طرح الأمور الخلافية، ممنوع أن نطرح أمراً خلافياً، يمكن أن تدعو إلى الله لخمسين عاماً في المتفق عليه، تجمع المسلمين في بوتقة واحدة، تجعلهم يذوبون في منهج واحد، لذلك سهل جداً أن تطرح مسألة خلافية، لكن البطولة أن تطرح القواسم المشتركة بيننا جميعاً.

خاتمة و توديع:

الأستاذ علاء :

وحدة الأمة مقدمة على كل شيء، الحقيقة كنت أتمنى أن نستمر في الحديث لكن الوقت أدركنا، ونرجو الله عز وجل في هذا الشهر الكريم أن يتقبلنا عباداً حقيقيين، نفهم حقيقة العبادة، والوجود، والرسالة، وحقيقة وجودنا على هذه الأرض، وبالتالي نستقيم وتستقيم الأسرة والمجتمع بشكل عام.

أعزائي المشاهدين في نهاية هذه الحلقة لا يسعني إلا أن أشكر ضيفي الكريمين، فضيلة الأستاذ الشيخ بشير عيد الباري مفتي دمشق، وأستاذنا الدكتور محمد راتب النابلسي أستاذ الإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة، شكراً جزيلاً وكل عام وأنتم بخير.

والحمد لله رب العالمين

ندوة (16) : معاجم القرآن الكريم

بسم الله الرحمن الرحيم

مساء الخير أيها الأعزاء، أهلاً وسهلاً بكم في حلقة جديدة من هذا البرنامج:

تحتل كتب الفهرسة العلمية المعجمية ؛ أي التي تسير وفق حروف المعجم تحتل أهمية كبرى في الدراسات العلمية، ومنها دراسات القرآن الكريم.

وإذا كانت الدراسات المعجمية للقرآن الكريم قديمة العهد، فإن الفهرسة العلمية، سواء منها ما تناول الألفاظ، أو المعاني، أمر حديث نسبياً.

لعل أهم محاولة في هذا الباب، الكتاب الذي بأيدينا اليوم لهذه الحلقة، وهو كتاب المعجم المفهرس لمعاني القرآن العظيم، إعداد محمد بسام رشدي الزين، وأشراف محمد عدنان سالم، الكتاب من إصدار دار الفكر بدمشق، ودار الفكر المعاصر في بيروت، ويقع في مجلدين أثنين وهو من القطع الكبير.

نرحب أيها الأعزاء بضيفينا العزيزين لهذه الحلقة، الأستاذين محمد كامل شربجي، الباحث المعروف، ومحمد راتب النابلسي الباحث المعروف أيضاً ؛ والأستاذ المحاضر في كلية التربية بجامعة دمشق.

أستاذ راتب:

نستكمل أيضاً جانب هذه المقارنة، ونتحدث عن المعاجم المفهرسة لألفاظ القرآن الكريم، باعتبار أن الأستاذ محمد تناول المعاجم المفهرسة للمعاني، أو الكتب التي فصلت المعاني.

لابد من مدخل سريع لنصل من خلاله إلى الموضوع، ربنا سبحانه وتعالى يقول:

﴿ فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى (123)﴾

(سورة الرحمن: 1 . 2 . 3 . 3 . 4)

وقد ورد تعليم القرآن قبل خلق الإنسان، وقد أجاب المفسرون عن هذا الترتيب بأن هذا الترتيب ليس ترتيباً زمنياً، إنما هو ترتيباً رتبي، بمعنى أن وجود الإنسان لا معنى له من دون منهج يسير عليه.

﴿ فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى (123)﴾

(سورة طه: 123)

الرحمن علم القرآن، وعلم الإنسان البيان، بل علمه القرآن عن طريق البيان، والبيان أرقى أداة اتصال بين أفراد النوع، بل البيان أرقى أداة للتعبير عن النفس البشرية في ارتفاعها، وانحطاطها في قوتها، وضعفها. البيان إلقاء وتلقي، والبيان كتابة وقراءة، بالإلقاء والتلقي نتفاهم فيما بيننا وبالكتابة والقراءة تنقل الثقافات من جيل إلى جيل ومن أمة إلى أمة.

أما المعجم المفهرس للقرآن الكريم، فقد وضعه محمد فؤاد عبد الباقي في عام 1939، رتب فيه كلمات القرآن الكريم وفق نظام الألف بائي، وجعل إلى جانب الكلمة الآية التي وردت فيها، أو الآيات التي وردت فيها، منوهاً إلى عدد هذه الآيات إن زادت عن واحدة، ثم إنه أشار إلى رقم الآية في السورة، وإلى اسم السورة، وإلى رقمها، وما إذا كانت مكية، أو مدنية.

إلا أنه ينبغي أن نقف قليلاً على طريقة البحث في هذا المعجم إن هذا المعجم رتب كلمات القرآن الكريم وفق مبدأ أن أصل اللغة أصل فعلي مجرد ثلاثي، فمثلاً لو أردنا أن نبحث عن آية في هذا المعجم.

﴿ كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ (18)﴾

(سورة المطففين: 18)

فالكتاب أسم، نبحث عنها في فعل كتب، الأبرار جمع مفردها بر، فعلها برا، برا مضعف، نفك التضعيف، ونبحث عنها في فعل بررا، عليين جمع مفردها علّي، من على، على فيها ألف، منقلبة عن واو، إذاً من علوا مثلاً آية

ثانية.

﴿ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّاراً (10) يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَاراً (11)﴾

(سورة نوح: 10 . 11)

[استغفروا]: فعل مزيد بثلاثة أحرف، نبحث نحو بفعله المجرد [غفر].

[غفارا]: غفار صيغة مبالغة أسم الفاعل، نبحث عنه في [غافر] وغافر في [غفر].

فلابد من أن نعود إلى أصل الكلمة الفعلي الثلاثي المجرد وهذا يقتضي أن نكون ملمين بطريقة استعمال المعاجم، ولكن قد يسأل سائل، ما الفائدة التي نجنيها من استعمال هذا المعجم ؟

الحقيقة أنه قد يحفظ الباحث آية، لكنه لا يدري أين هي في كتاب الله، وفي أية سورة، فقد يستخدم هذا المُعجم لمعرفة موقع هذه الآية من كتاب الله، إلا أن في حالات أخرى، قد يحفظ الكاتب كلمة من آية، هذه الكلمة كافية أن تبحث عنها، فلو أن إنسان في ذهنه، أن هناك في القرآن آية فيها زخرف، زخرف القول، من فعل زخرف الرباعي، يصل إلى هذه الآية:

﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوّاً شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُوراً وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ (112)﴾

(سورة الأنعام: 112)

﴿ حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلاً أَوْ نَهَاراً فَجَعَلْنَاهَا حَصِيداً كَأَنْ لَمْ تَغْنَ بِالْأَمْسِ﴾

(سورة يونس: 24)

وقد يقرأ الباحث مقالة في إعجاز القرآن العلمي أو في إحكامه العددي مثلاً: قد يقرأ أن عدد كلمات البر في القرآن الكريم، أو أن نسبة عدد كلمات البر في القرآن الكريم، إلى عدد كلمات البحر يساوي تماماً نسبة مساحة البر " اليابسة " إلى البحر في الأرض، هذا من إعجاز القرآن العددي، أو من إحكامه العددي كما يقول بعض العلماء كيف السبيل إلى التأكد من هذه الحقيقة ؟ باستخدامه هذا المعجم المفهرس.

المذيع:

الآن لو انتقلنا إلى الشق الثاني، لماذا إذا كانت هذه الغاية من المعاجم الألفاظ ؛ ألفاظ القرآن الكريم، فما هي الغاية من معاجم المعاني ومنها هذا المعجم الذي بين أيدينا.

الأستاذ:

بس أريد أن أتابع الحديث.

المذيع:

كي لا نستطيل كثيراً.

الأستاذ:

حول معجم آخر، معجم ألفاظ القرآن الكريم لا يحتوي على الضمائر ولا الكلمات، بينما معجم الأدوات والضمائر، معجم آخر يتحدث عن الأدوات والضمائر، تعلمون أستاذ مصطفى، أن الكلمة أسم وفعل وحرف:

الاسم: ما دل على إنسان أو حيوان أو نبات أو جماد أو صفة.

الفعل: ما دل على حدث في زمن معين.

أما الأداة ؛ أي الحرف: كلمة ليس لها معنى إلا إذا اتصلت بغيرها من الكلمات، كحروف الجر مثلاً، الباء، من، إلى، عن، لم إلى آخره.

باحث يبحث عن كلمة [كم] كم التكثيرية، كم مرة وردت في كتاب الله ؟ مثلاً:

﴿ كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ (249)﴾

(سورة البقرة: 249)

﴿ كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ﴾

(سورة الأنعام: 6)

فكلمة [كم] وردت 9 مرات في كتاب الله.

لو أن الباحث أراد أن يبحث عن كلمة [أنا]، إنها وردت 64 مرة في كتاب الله.

﴿ إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي (14)﴾

(سورة طه: 14)

﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾

(سورة يوسف: 108)

﴿ وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ﴾

(سورة إبراهيم: 22)

الحقيقة المعجمان:

معجم ألفاظ القرآن الكريم المفهرسة لها.

ومعجم الأدوات والضمائر يتكاملنا.

أما سؤالكم الكريم ما معنى استخدام معجم المعاني ؟

ألان الباحث مثلاً، يجول في ذهنه معنى من المعاني، لا يدري ما إذا كان القرآن أشار إليه أم لم يشر، لا يدري إن أشار، هل أشار كثيراً أم قليلاً، لو أنه أشار كثيراً، هل جاءت هذه الإشارات موحدةً أم منوعة، هنا تظهر قيمة معجم معاني القرآن الكريم العظيمة مثلاً:

موضوع البحر، مفهوم البحر مثلاً: ورد في القرآن الكريم كيف ورد، وبكم آية ورد ؟ وبأية طريقة ورد ؟ وكم نوع من أنواع هذا المعنى جاءت فيه الآيات الكريمة ؟ البحر مثلاً، ورد بشكل عام مثلاً:

﴿ ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (41) ﴾

(سورة الروم: 41)

لكن البحر ورد في معناً آخر، في تسخير البحر للإنسان.

﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آَدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً (70)﴾

(سورة الإسراء: 70)

ورد البحر في معجم المعاني بألفاظ القرآن العظيم، بمعنى تنوع ماءه مثلاً قال تعالى:

﴿ مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ (19) بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ (20) فَبِأَيِّ آَلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (21)﴾

(سورة الرحمن: 19 ـ 20 ـ 21)

في هذه الآية أعجاز علمي، اكتشفت السفن الفضائية والأقمار الصناعية أن بين كل بحرين حاجزاً، خط بين البحرين، بين البحر الأحمر والبحر العربي، بين الأبيض والأطلنطي، هذا الخط طبيعته إلى الآن مجهولة، ولكن هذا الحاجز الذي أشارت إليه الآية يمنع اختلاط أي بحر بالبحر الآخر، فالكل بحر مكوناته وكثافته وملوحته، وهذه لا تختلط بالبحر الآخر، وهذا الحاجز متغير متحرك، بفعل الرياح والمد والجزر، قال تعالى:

﴿ مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ (19) بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ (20) فَبِأَيِّ آَلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (21)﴾

(سورة الرحمن: 19 ـ 20 ـ 21)

ثم أن هذا البحر ورد في هذا المعجم بمعنى حل طعامه قال تعالى:

﴿ أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ وَطَعَامُهُ مَتَاعاً لَكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ﴾

(سورة المائدة: 96)

وقد ورد في هذا المعجم أيضاً: البحر والنار، قال تعالى:

﴿ وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ (6)﴾

(سورة الطور: 6)

والشيء الذي يلفت النظر، أن الماء مكون من أوكسجين وهدرجين، والهدرجين غاز شديد الاشتعال، والأوكسجين يساعد على الاشتعال، ربما لو تلقى البحر أمراً من الله عز وجل، لأصبح كله ناراً:

﴿ وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ (6)﴾

إذاً ورد البحر بشكل عام، ووفق موضوعات رئيسية، كالبحر وتسفيره، والبحر و ظلماته، والبحر وأنواع مياهه، والبحر وحل صيده، والبحر والنار.

المذيع:

إذاً شكراً على هذا المثال التطبيقي أستاذ راتب.

الآن لو تحدثنا أستاذ شربجي عن منهج هذا الكتاب الذي بين أيدينا المعجم المفهرس لمعاني القرآن العظيم.

المذيع:

بشكل عام نستطيع أن نلخص، أو نعطي مجمل لما تفضلت به أن كل باحث يريد أن يبحث في معنى عام وما يندرج تحته من معاني جزئية لمسألة واحدة بإمكانه أن يعود إلى هذا المعجم فيجد بغيته فيه. أحب أن أشير لو سمحت لي إشارة بسيطة حول منهج هذا الكتاب وهو الأخذ بأوائل الكلمات دون الرد إلى الجذور، الواقع هناك معاجم ولعلها قديمة، البعض منها قديم عملت وفق هذا المنهج مثلاً بين يديّ كتاب غريب القرآن وهو معجم لشرح الألفاظ التي تحتاج إلى شرح في القرآن الكريم، وهناك عشرات بل أكاد أقول مئات الكتب التي تحدثت عن غريب القرآن، هذا الكتاب لأبي بكر محمد بن عزيز السجستاني المتوفى سنة 330هـ، هذا الكتاب في الواقع يرتب المواد وفق أوائل الكلمات دون الرد إلى الجذر الثلاثي.

هناك من لا يقر هذه الطريقة لكن الواقع أنا أرى أن فيها نوع من التسهيل والتيسير، لا سيما للذين لا يتقنون تماماً رد الكلمات إلى جذورها.

المذيع:

الواقع الوقت المتبقي قليل أستاذ راتب ملاحظات عامة على هذا الكتاب الذي بين أيدينا لو تفضلت.

الأستاذ راتب:

أنا أتمنى على مؤلفه وأرجو أن يكون مع المشاهدين، أن يزوده بفهرسٍ يدرج فيه أسماء الموضوعات الكبرى والفرعية، ليسهل الرجوع إليه، وأتمنى عليه أيضاً، أن يكتب إلى جانب المعنى الفرعي أو الرئيسي عدد الآيات التي وردت في هذا المعنى، فهذا مما يعين على البحث، والدرس، في كتابه.

إلى أن مفهوم الأمية الآن هو الذي لا يستعمل الحاسوب وهناك برامج تقنية، الحاسوب رفع الدقة من واحد إلى مليون، وسهل الجهد والوقت من مليون إلى واحد، وهناك برامج في القرآن الكريم تجيبك عن أي سؤال في ثوان معدودات، هذا ما أتمنى على مؤلف الكتاب ما يفعله.

وقد قال الإمام العقبوري: تأخذ ألفاظه من حفاظه، وتأخذ معانيه ممن يعانيه، وفضل كلام الله على كلام خلقه كفضل الله على خلقه.

والكون قرآن صامت، والقرآن كون ناطق، والنبي عليه الصلاة والسلام قرآن يمشي، لأن السيدة عائشة حينما سئلت عن أخلاقه قالت: كان خلقه القرآن .

المذيع.

إذاً، الواقع لعل أيضاً الأستاذ محمد يوافقنا أن هذا الجهد الضخم فعلاً يحتاج إلى الفهرس الذي يحدد الألفاظ، يعني كون أن هذا معجمياً لا يغني عن فهرس في نهاية الكتاب.

أيها الأعزاء ختاماً لهذه الحلقة التي دارت حول كتابنا وهو المعجم المفهرس لمعاني القرآن العظيم، إعداد محمد بسام رشدي الزين وإشراف محمد عدنان سالم، إصدار دار الفكر بدمشق ودار الفكر المعاصر في بيروت، أتوجه بالشكر الجزيل لضيفينا العزيزين الأستاذ محمد كامل الشربجي الباحث المعروف والأستاذ محمد راتب نابلسي الباحث المعروف أيضاً والأستاذ المحاضر في كلية التربية بجامعة دمشق، شكراً جزيل لضيفينا العزيزين. أيها الأعزاء شكراً لكم لقائنا في الأسبوع القادم إن شاء الله.

والحمد لله رب العالمين

ندوة (17) : الاستقامة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، وعلى آل بيته الطيبين الطاهرين، وعلى صحابته الغر الميامين، أمناء دعوته، وقادة ألويته، وارضَ عنا وعنهم يا رب العالمين، اللهم أخرجنا من ظلمات الجهل والوهم إلى أنوار المعرفة والعلم، ومن وحول الشهوات إلى جنات القربات.

عبادة الله عز وجل علة وجود الإنسان في الأرض :

أيها الأخوة المشاهدون، قيل: الاستقامة عين الكرامة، والحقيقة أن المسلم ما لم يستقم على أمر الله لن يقطف من ثمار الدين شيئاً، عندئذٍ يصبح الدين ثقافةً، وعادات، وتقاليد، يصبح الدين شعوراً إسلامياً، طموحاً إسلامياً، أرضية إسلامية، خلفية إسلامية، لكن الإسلام شيء آخر، ذلك لأن علة وجود الإنسان في الأرض أن يعبد الله، قال تعالى:

﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾

[سورة الذاريات]

والعبادة في أدق معانيها: طاعة طوعية، ممزوجة بمحبة قلبية، أساسها معرفة يقينية، تفضي إلى سعادة أبدية، هي طاعة، هي استقامة، هي التزام، هي وقوف عند الحلال والحرام، أن يراك الله حيث أمرك، أن يفتقدك حيث نهاك، الاستقامة هي الدين كله، وما لم نستقم على أمر الله لن نقطف من ثمار الدين شيئاً، هذه حقيقة مرة لكنها أفضل مئة مرة من الوهم المريح، ذلك أن الإنسان كائن متحرك، ما الذي يحركه؟ تحركه حاجات أودعها الله فيه، تحركه الحاجة إلى الطعام والشراب، ولولا هذه الحاجة لما وجدت على ظهر الأرض شيئاً، حاجته إلى الطعام

والشراب حفاظاً على وجوده كفرد، لكن حاجته إلى الجنس هي حفاظ على بقاء النوع، بعد حاجته إلى الطعام والشراب حفاظاً على وجوده الشخصي، ومع حاجته إلى الجنس حفاظاً على بقاء النوع، هناك حاجةٌ إلى تأكيد الذات هذه الحاجة هي الحفاظ على بقاء الذكر، لقد أودع الله بالإنسان الشهوات، قال تعالى:

﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾

[سورة آل عمران الآية:14]

هذه الشهوات تجعلنا نتحرك، كالمحرك في المركبة، نتحرك نحو تلبية هذه الحاجات، ولكن هذه التلبية يمكن أن تكون بمستوى180 درجة، إلا أن الشارع الحكيم والمنهج القويم سمح للإنسان أن يتحرك بدافع شهواته مئة درجة، ما الاستقامة؟ أن يوقع حركته في الحياة وفق هذا الحيز الذي سمح الله به، هذا مفهوم الاستقامة بشكل دقيق جداً، الحركة التي نتحركها بدافع من حاجتنا إلى الطعام.

من اتبع هواه وفق هدى الله عز وجل لا شيء عليه :

لذلك حينما وصف الله الأنبياء، وصفهم بأنهم يأكلون الطعام، هم مفتقرون في وجودهم إلى تناول الطعام، ومفتقرون إلى ثمن الطعام، فقال الله عز وجل:

﴿ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ ﴾

[سورة الفرقان الآية:20]

هذه حاجة أولى، والحاجة إلى الطرف الآخر، حاجة الشاب إلى شابة، وحاجة الشابة إلى شاب، هذه الحاجة حفاظاً على بقاء الجنس البشري، وأما الحاجة الثالثة فهي الحاجة إلى بقاء الذكر، فلذلك هذه الشهوات حينما نتحرك من خلالها وفق منهج الله لا شيء علينا، والدليل قوله تعالى:

﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنَ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ﴾

[سورة القصص الآية:50]

أي المعنى المخالف أن الذي يتبع هواه وفق هدى الله عز وجل لا شيء عليه إطلاقاً، ليس في الإسلام حرمان، ما من شهوه أودعها الله في الإنسان إلا جعل له قناةً نظيفةً تسري خلالها، الشهوات التي أودعت فينا يمكن أن نلبيها وفق منهج الله بطريقة رائعة ونظيفة، ولها ثمرة كبيرة، فلذلك حينما أودع الله في الإنسان حبّ المرأة سمح له بالزواج، حينما أودع الله في الإنسان حبّ المال سمح له بالكسب المشروع، فأي شهوة أودعت فينا لها قناة نظيفة تسري خلالها، لذلك الشهوة إما أن تكون سلماً نرقى بها إلى أعلى عليين، أو أن تكون دركات نهوي بها إل أسفل السافلين.

حقيقة الاستقامة أن الحركة التي يتحركها الإنسان بدافع من شهواته، حينما يجعلها وفق الحيز الذي سمح الله به يكون مستقيماً، فليس في الإسلام حرمان، ما من شهوة أودعها الله في الإنسان إلا جعل له قناةً نظيفةً تسري خلالها.

هل من سؤال حول هذا الموضوع؟

أسئلة وأجوبة :

السؤال الأول:

فضيلة الدكتور، جزاكم الله عنا كل خير، أود أن أسأل عن الفرق بين العمل الصالح والاستقامة؟

الفرق بين العمل الصالح والاستقامة :

الدكتور راتب:

والله سؤال دقيق جداً، بارك الله بك، الاستقامة تشبه طريقاً إلى الله، قبل الاستقامة كان هناك عقبات، أكمات، حفر، بالاستقامة أزلنا كل العقبات، وصار الطريق سالكاً إلى الله، الاستقامة طابعها سلبي، يقول لك: أنا ما كذبت، ما اغتبت، ما غششت، ما أكلت مالاً حراماً، طبيعة الاستقامة إذا وازنها الإنسان مع العمل الصالح طبيعة سلبية، حينما تمتنع عن أي معصية، عن أي شيء نهى الله عنه، فأنت مستقيم، أما العمل الصالح فعطاء، أن تعطي من مالك، من وقتك، من جاهك، من علمك، من إمكاناتك، هذا العمل الصالح، هو الذي يرقى بالإنسان.

﴿ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ ﴾

[سورة فاطر الآية:20]

الاستقامة تمهيد، لكن هناك حقيقة دقيقة، الاستقامة والعمل الصالح إذا اجتمعا تفرقا، إذا قلنا: الاستقامة والعمل الصالح، الاستقامة امتناع، والعمل الصالح عطاء، أما إذا قلنا: الاستقامة وحدها تعني العمل الصالح، وإذا قلنا: العمل الصالح وحده يعني الاستقامة، إذا اجتمعا تفرقا، لذلك الاستقامة سلبية، امتناع عن أي شيء نهى الله عنه، أما العمل الصالح فعمل ايجابي، عطاء، والإنسان يرقى بالعطاء، أي بالاستقامة نسلم، وبالعمل الصالح نسعد، الإنسان بحاجة إلى سلامةٍ، وإلى سعادة.

السؤال الثاني:

دكتور راتب، ما علاقة الاستقامة بـ:

﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾

[سورة الفاتحة]

علاقة الاستقامة بقوله تعالى

﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾

الدكتور راتب:

الحقيقة

﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾

إحدى الآيات في الفاتحة، وقد جمع القرآن في الفاتحة، وجمعت الفاتحة بـ

﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾

نحن يا رب نعبدك ولكن أعنّا على هذه العبادة، فالإنسان حينما يركع بالصلاة كأنه يقول: سمعاً وطاعة يا رب، حينما يقرأ الفاتحة، يقرأ المصلي

﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾

﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴾

[سورة الفاتحة]

الآن لو قرأ من القرآن:

﴿ وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾

[سورة الإسراء الآية:53]

حينما يركع كأنه يقول: سمعاً وطاعةً يا رب، وحينما يسجد يقول: يا رب أعني على طاعتك، فالإنسان مفتقر، ألم يقل سيدنا يوسف عليه السلام:

﴿وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ ﴾

[سورة يوسف الآية: 33]

فأنت لا حول لك عن معصية الله إلا بمعونة الله، ولا قدرة لك على طاعة الله إلا بمعونة الله، فجمع القرآن كله في الفاتحة، وجمعت الفاتحة في

﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾

وللعالم الكبير ابن القيم كتابٌ عظيم اسمه مدارج السالكين في منازل إياك نعبد وإياك نستعين ، بارك الله على هذا السؤال، سؤالٌ آخر.

السؤال الثالث:

فضيلة الدكتور هل للاستقامة مستويات؟

مستويات الاستقامة :

الدكتور راتب:

طبعاً، ترك الكبائر مستوى، ترك الصغائر مستوى أرقى، ترك ما سوى الله مستوى أرقى وأرقى، فكلما ازددت معرفة بالله تزداد استقامتك دقة، مثلاً إنسان لا يرتكب الكبائر، هذا مستقيم، نوع من الاستقامة، لا يقتل، ولا يزني، ولا يشرب الخمر، لكن حينما يغتاب الإنسان إنساناً، الغيبة معصية ليست كالزنا طبعاً، هناك مستوى أدق حينما تبتسم ابتسامة ساخرة هذا عمل لا يرضي الله عز وجل، فكلما ازددت معرفة بالله ازددت دقة في استقامتك إلى أن تصبح استقامتك وفق منهج الله تماماً، فالقضية قضية معرفة، كلما عرفته أكثر ازددت طاعة له أكثر.

السؤال الرابع:

فضيلة الدكتور، هل يكفي أن نستقيم فنحقق تمام عبوديتنا لله عز وجل؟

الإنسان بالاستقامة يسلم وبالعمل الصالح يسعد :

الدكتور راتب:

الإنسان أودع الله فيه الشهوات، لكن الشيء المهم أنه فُطر، وجُبل، وبُرمج، وولف، كلها كلامات تشبه بعضها، فُطر على حبّ وجوده، وعلى حبّ سلامة وجوده، وعلى حبّ كمال وجوده، وعلى حبّ استمرار وجوده، حينما تستقيم على أمر الله تحقق سلامة وجودك، مثلاً: اخترت امرأة صالحة تسلم من الشقاء الزوجي، ربيت أولادك وفق منهج الله تلافيت عقوق الأولاد، أنت حينما تستقيم على أمر الله، تحقق سلامة وجودك، لكنك حينما تعمل عملاً صالحاً تحقق كمال وجودك، هناك فرق كبير، بالاستقامة تسلم، وبالعمل الصالح تسعد، بالاستقامة تحقق سلامة وجودك، بالعمل الصالح تحقق كمال وجودك، وأما استمرار وجودك فكيف يكون؟ بتربية أولادك:

﴿ وَالَّذِينَ آَمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ ﴾

[سورة الطور الآية:21]

شكراً لكم على هذه الأسئلة، وأرجو لكم مستقبلاً باهياً، وصياماً مقبولاً، إن شاء الله.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

والحمد لله رب العالمين

الفهرس

الفصل الأول : دروس تلفزيونية

الفصل الثاني : ندوات مختلفة